مكتبة ياسمين

CARLEY FORTUNE

كارلي فورتشن

الكاتبة الأكثر مبيعًا على قوائم نيويورك تايمز

قابلني عند البحيرة

Meet Me at the Lake

ترجمة: نهى الشاذلي

الرواق للنشر والتوزيع

قابلني عند البحيرة

يسعدنا انضمامكم إلى قناة

مكتبة ياسمين

معكم نكبر ونستمر بكل جديد

قابلني عند البحيرة

كارلي فورتشن

ترجمة: نهى الشاذلي

الطبعة الأولى: سبتمبر 2024

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

للنشر والتوزيع

186 عمــارات امـتـــــداد رمسـيــس 2
مدينــة نــصـــر - القــاهـــرة - مــصـــر
هاتف: 20220812006+
rewaq2011@gmail.com
www.alrewaqpublishing.com

الإخراج الفني: ضياء فريد
تصميم الغلاف: عبد الرحمن الصواف
المراجعة اللغوية: سهيلة رمضان
الترقيم الدولي: 2-236-824-977-978
رقم الإيداع: 14697/ 2024

Copyright © 2022 by Carley Fortune

كارلي فورتشن

مكتبة ياسمين

قابلني عند البحيرة

ترجمة: نهى الشاذلي

الرواق للنشر والتوزيع

إلى ماركو

من أجل مجموعة الأسطوانات الموسيقية الأولى، والمجموعة التي تلتها، وخصوصًا لأنك أخفضت الصوت.

1

telegram @
yasmeenbook

الآن

فعلتُها ووصلتُ إلى مكتب الاستقبال دون أن يلاحظني أحد. مكتبٌ لافتٌ للنظر، قطعة منحوتة من جذع شجرة كبير، بدائي، رغم ذلك ليس باليًا. هو تجسيدٌ لذوق أمي. لا أحد خلفه. أسرعت بالمرور بمحاذاته لأدلف إلى المكتب، عزلتُ نفسي بداخله وأغلقت الباب ورائي.

غرفة المكتب أشبه بكوخ للصيد أكثر من كونها مساحة للعمل. جدران من الصنوبر، مكتبان من الطراز القديم، ونافذة صغيرة يُزينها ستار رقيق منقوش بالمربعات. أشكُّ أنها تغيرت كثيرًا منذ تشييد المنتجع في الثمانينيات. لا شيء يدل على مقدار الوقت الذي قضته أمي هنا، باستثناء صورة لي في طفولتي معلقة على الحائط الخشبي، ونفحة خفيفة من عطر كلينيك.

ارتميتُ على أحد الكراسي ذات الجلد المتآكل، شغلت المروحة البلاستيكية الصغيرة على الطاولة. أنا متعرّقة بالفعل، لكن الجو خانق هنا؛ إنه واحد من الأماكن القليلة في المبنى ليست مزوَّدة بتكييف هواء. رفعتُ ذراعيّ مثل فزّاعة، حركتهما إلى الأمام وإلى الخلف. آخر ما أحتاج إليه هو بقع تحت الإبطين.

بينما كنتُ أنتظر لأنتعش قليلًا، وقبل أن أستبدل بحذائي آخر ذا كعب عالٍ، أخذت أحدّق إلى كومة من مطويات دعائية لمنتجعنا. بخطٍّ زاهٍ فوق صورة لشاطئ وقت غروب الشمس كُتِب: *منتجع بروكبانكس؛ إقامتك المُنتَظَرة في موسكوكا*. أما المنتجع فبازغ في الخلفية مثل كوخ ريفي كبير. كدتُ أضحك من ذلك. إنه منتجع بروكبانكس الذي فشلت في الابتعاد عنه.

قد ينسى جيمي أنني وافقت على فِعل ذلك الليلة. بإمكاني التسلل عائدة إلى المنزل، تنزلق ساقيّ في بنطال مريح، وأغطس في دلو من النبيذ الأبيض البارد.

اهتز مقبض الباب.

يا له من حظ.

نادى جيمي: «فيرني؟ ماذا حدث للقفل؟ هل أنت بكامل ملابسك في الداخل؟»

جاوبته بصوتٍ مكتوم: «أحتاج إلى خمس دقائق.»

قال: «لن تتراجعي، أليس كذلك؟ لقد أقسمتِ أن تفعلي هذا.» لكن التذكير غير ضروري. خفت من ذلك طوال اليوم، أو ربما طوال حياتي.

«أعرف، أعرف. أنهي بعض الأوراق.» أغمضت عيني بشدّة عندما استدركت الخطأ وقلت: «على وشك الانتهاء».

«أيَّة أوراق؟ هل هي طلبية الأقمشة؟ لدينا نظام لذلك».

كان لدى أمي نظام لكل شيء، وجيمي لا يريدني أن أُفسد أيًّا من ذلك.

شعر بالقلق. هذا موسم الذروة. لكن ما زالت غرف نزلاء كثيرة فارغة. عدتُ منذ ستة أسابيع، اعتقد جيمي أنها مسألة وقت حتى أُبدِّل الأمور. لست متأكدة أنه مُحِق. لست حتى على يقين أنني سأبقى.

«لا يمكنك منعي من دخول مكتبي الذي أعمل فيه. لدي مفتاح».

أخذت ألعن بيني وبين نفسي. بالطبع لديه مفتاح.

من المُحرِج أن يضطر لسحبي من هنا إلى الخارج، وأنا متأكدة تمامًا أنه سيفعل ذلك. لم أُحدِث مشكلة في المنتجع منذ عام تخرجي في المدرسة الثانوية، ولن أفعل ذلك الآن. يشعرني وجودي هنا أحيانًا بأنني عدت إلى الوراء، لكنني لم أعد تلك المراهقة الهوجاء ذات السبعة عشر عامًا.

أخذت نفسًا عميقًا، وقفت وملَّست براحتيْ يديّ على ثوبي من الأمام. إنه شديد الضيق، لكن الجينز الممزق الذي أقضي به كل حياتي غير مناسب لغرفة الطعام. أوشكتُ على سماع صوت أمي عندما كنت أبدِّل ملابسي منذ قليل.

أعرف أنكِ تفضلين ارتداء منامتكِ طوال اليوم، لكن لكل أجواء ما يناسبها، عزيزتي بيا[1].

فتحتُ الباب.

قُصَّت خصلات شعر جيمي الشقراء المموجة حتى صارت قصيرة، وصففت بعناية. لكنه ما زال بوجهه الطفولي ذاته منذ كنا صغارًا، عندما ظنّ أن استخدام مزيل العرق شيء اختياري.

---

(1) Pea تعني حبة بازلاء. تدلل الأم ابنتها باسم (بيا). (المترجمة)

سألني: «هل تقصدين طلبية الأقمشة؟»

جاوبته: «ليست هي بالتأكيد. لديكَ نظام».

جفل جيمي غير متأكد مما إن كنت أمزح. هو المدير العام للمنتجع منذ ثلاث سنوات، رأسي لا يستوعب ذلك. بدا لي كالمُتنكِّر بالبنطال القماشي الرسمي وربطة العنق. في نظري، لا يزال عاشق البحيرة الذي يرتدي ملابس السباحة وعُصابة الرأس.

لم يعُد يعرف كيف يتعامل معي. مشتت بين محاولة إرضائي، بصفتي مديرته الجديدة، ومحاولة منعي من إحداث الفوضى. يجب أن يوجد قانون كوني يُجرِّم عمل من كانوا مرتبطين سابقًا معًا.

قلت له: «كنتَ مرحًا في الماضي.» ابتسم. ارتسمت خطوط عميقة بجانب شفتيه وعينيه الزرقاوين بلون السماء. إنه جيمي الذي غنى ألبوم Jagged Little Pill لألانيس موريسيت كاملًا وهو تحت تأثير المخدرات، مرتديًا قفطانًا بنفسجيًّا سرقه من كوخ السيدة روز.

من أكثر الأشياء التي أحببتها في جيمي، أنه كان مُحِبًّا للفت الانتباه بقدر حبه لعدم ارتداء لباس داخليّ. لا أحد ينظر إليّ عندما أكون مع جيمي. كان حبيبًا جيدًا، لكنه أيضًا وسيلة مثالية لتشتيت انتباه الناس عني.

قال: «وكذا أنتِ.» ثم حدق إليَّ وأكمل: «هل هذا فستان والدتك؟»

أومأتُ برأسي وقلت: «لا يناسبني.» أخذته من خزانة أمي منذ قليل هذا المساء. لونه أصفر كناري. هو واحد مما لا يقل عن دزينتين من الفساتين الزاهية الملونة التي بلا أكمام، زيّ أمي المسائي.

مرت لحظة صمت، هي كل ما يلزم لأفقد شجاعتي. «اسمع، لا أشعر بأنني..»

قاطعني جيمي: «لا، لا تفعلي هذا بي يا فيرني. لقد كنتِ تتهربين من عائلة هانوفر طوال الأسبوع، وسيغادرون غدًا.»

وفقًا لكلام جيمي، أقامت عائلة هانوفر في منتجع بروكبانكس لمدة سبعة صيوف. يتصرفون وكأن لديهم شيئًا يريدون إثباته، ويرشحون هذا المكان لعدد كبير من النزلاء. فهمتُ من طريقة جيمي في تقطيب حاجبيه وهو يحدق إلى شاشة الحاسوب، أن المنتجع بحاجة ماسة إلى أن يرشحه الناس، وأن الحال أسوأ مما أفصح عنه. ترك لي المحاسب رسالة أخرى يطالبني بالاتصال به.

قال جيمي: «لقد انتهوا بالفعل من أكل الحلو. أخبرتهم أنكِ ستخرجين حالًا. يريدون أن يقدموا لكِ التعازي بأنفسهم.»

خمشتُ ذراعي اليمنى بأظفاري عدة مرات قبل أن أتمالك نفسي. يجب ألا يكون هذا الأمر في غاية الصعوبة. في حياتي الواقعية، أدير ثلاثة فروع لمقهى مستقل في غرب تورونتو اسمه «فلتر». وأشرف على افتتاح فرعنا الرابع والأكبر في خريف هذا العام، وهو الفرع الأول المزوَّد بمحمصة داخلية. صار التحدث إلى الزبائن جزءًا من طبيعتي.

قلت له: «حسنًا، أنا آسفة. يمكنني القيام بذلك.»

تنهد جيمي وقال: «رائع.» نظر إليّ كالمُعتذِر ثم أضاف قائلًا: «من الأفضل أيضًا أن تتوقفي عند بعض الطاولات وترحبي بالزبائن في أثناء وجودك هناك. أنت تعرفين أن هذه هي التقاليد.»

أعرف ذلك. كانت أمي تذهب إلى المطعم كل مساء، لتتأكد أن ذاك الزبون أحب سمك التروت الملون بألوان قوس قزح، وأن الآخر قضى ليلته الأولى مرتاحًا. جنونية تلك التفاصيل التي تمكنت من تذكرها عن النزلاء، وهم أحبوها من أجل ذلك.

كانت تقول إن تأسيس عمل أو شركة عائلية، لن يغدو له معنى إلا إن صدَّرت وجهًا لاسم منتجع بروكبانكس. وعلى مدار ثلاثة عقود، كان هذا الوجه هو وجهها. مارجريت بروكبانكس.

ألمح جيمي بوضوح، إلى ضرورة ذهابي إلى غرفة الطعام لتحية النزلاء، لكنني تجاهلته. لأنني، وبمجرد ذهابي إلى هناك، سيصبح الأمر رسميًّا.

رحلت أمي.

وأنا هنا.

عدت إلى موطني من جديد، إلى المنتجع، آخر مكان قد أخطط للذهاب إليه.

اتجهتُ بصحبة جيمي إلى مكتب الاستقبال. لا أحد خلفه بعد. توقفت أنا وجيمي في الوقت نفسه.

تمتم: «ليس مرة أخرى.»

بدأت موظفة الاستقبال -المناوبة لهذه الليلة- العمل قبل بضعة أسابيع، وهي تميل إلى الاختفاء. لو أمي هنا لطردتها بالفعل.

قلت: «ربما يجب أن نحل محلها حتى تعود، فربما يجيء أي أحد.»

شخَصَ جيمي ببصره إلى السقف، وأخذ يفكر، ثم حدق إلى وجهي. وقال: «محاولة جيدة، لكن عائلة هانوفر أهَم.»

أكملنا طريقنا نحو الأبواب فرنسية الطراز التي توصِل إلى المطعم. مفتوحة يعوق إغلاقها مصد، وصوت تصادم الأواني وضجيج المحادثات السعيدة يصل إلى الردهة، مع رائحة خَبْز عجينة الساوردو الطازجة. بعد المدخل، ترى الأسقف عالية، ذات عوارض خشبية، ونوافذ مطلة على البحيرة، نصف دائرية، مظهرها مُذهل. كان هذا تجديدًا أقامته أمي بعد تسلّمها للمنصب من جدتي وجدي. غرفة الطعام كانت لها كخشبة مسرح. لا يمكنني تخيُّل الغرفة دون وجودها وهي تتجول بين الطاولات.

أخذت نفسًا هادئًا، ثنيت خُصلة شعري الشقراء المائلة إلى الأبيض خلف أذني. صوتها تردد في رأسي.

لا تختبئي وراء شعرك يا بيا.

أوشكنا على المرور من المدخل، في حين خرج زوجان يتأبط كل منهما ذراع الآخر، في الستينيات من عمرهما، يكسوهما بالكامل ملابس قماشية من الكتان سكريّ اللون.

فتح جيمي ذراعيه وقال: «السيد والسيدة هانوفر، جئنا توًّا باحثين عنكما. اسمحا لي أن أقدم لكما فيرن بروكبانكس.»

ابتسم ثنائي هانوفر لي ألطف ابتسامة، ابتسامتهما كانت كتربيت على الكتف تُشبه قول: *هوّني عليكِ.*

قالت السيدة هانوفر: «شعرنا بالأسف الشديد عندما سمعنا خبر رحيل والدتك.»

رحيل

كلمة غريبة لوصف ما حدث.

كانت ليلة مظلمة. ظهرت غزالة عند الزجاج الأمامي. اصطدم الفولاذ بالجرانيت. تطايرت مكعبات ثلج على الطريق السريع.

حاولت ألا أفكر في لحظات أمي الأخيرة. حاولت عدم التفكير فيها مطلقًا. يمكن لوابل الحزن اليومي، والصدمة والغضب، أن يُصعبوا وقوفي على قدميّ في الصباح. أشعر برجفة بسيطة الآن، حاولت عدم إظهارها. مر أكثر من شهر على الحادث، وفي حين أن الناس رغبوا في التعبير عن تعاطفهم، فلا بد من حدّ لمقدار المعاناة التي يمكن للآخرين تحملها.

قال السيد هانوفر: «من الصعب تخيل هذا المكان دون ماجي. لطالما ارتسمت على وجهها ابتسامة واسعة. أحببنا مقابلتها. حتى أننا أقنعناها بتناول مشروب معنا في الصيف الماضي، أليس كذلك؟» أومأت زوجته موافقة في حماس، كما لو أنني قد لا أصدقهما، وقالت: «قلت لها إن رؤيتها تتجول في الأنحاء تُشعرني بالدوار، ويا لها من ضحكة تلك التي ضحكتها.»

وفاة والدتي، ومستقبل المنتجع موضوعان ليس لدي استعداد لمناقشتهما، هذا هو السبب الآخر الذي جعلني أتجنب الذهاب إلى المطعم. فلدى الزبائن الدائمون شيء ما ليقولوه عن كلا الأمرين. شكرت السيد والسيدة هانوفر وغيرت الموضوع لأتحدث عن عطلتهما، ورياضة التنس، والطقس الجميل، وسد القندس[1] الجديد. الأحاديث العابرة سهلة. أنا في الثانية والثلاثين من العمر،

---

(1) سد يبنيه حيوان القندس بالطين والخشب في البركة؛ ليحميه من الحيوانات المفترسة مثل الذئاب والدببة. (المترجمة).

كبرتُ كفاية عن الاستياء من النزلاء أو الاهتمام بأحكامهم عليّ. بل هي التي تُشعرني بالغضب. ظننت أنها قد تقبلت حقيقة أن حياتي في تورنتو. ما الذي كانت تفكر فيه عندما تركت المنتجع لي؟ وفيمَ كانت تفكر عندما ماتت؟

قالت السيدة هانوفر مرة أخرى: «نحن في غاية الأسف لخسارتك. أنتِ تشبهينها كثيرًا».

قلت موافقة: «أجل.» القامة الصغيرة نفسها. الشعر الفاتح الباهت ذاته، وكذلك العينان الرماديتان.

قال جيمي لينقذني: «حسنًا، أنا متأكد أنكما ترغبان في الذهاب إلى غرفتكما لتستمتعا بليلتكما الأخيرة هنا. ستحظيان بمشاهدة منظر الألعاب النارية الخلاب من شرفتكما.» ابتسمت له شاكرة، فغمز لي دون أن يلاحظ أحد.

كنا نشكّل فريقًا جيدًا عندما عملنا معًا في طفولتنا أيضًا. في البداية، استخدمنا كلمة سرية عندما يحتاج أحدنا إلى النجاة من ضيف مزعج أو مُتطلِّب: كلمة «*البطيخ*». الرجل الأرمل المسن الذي لم يتوقف عن إخباري أنني أذكره بحبه الأول: *البطيخ*. صياد الطيور الذي وصف لجيمي كل أنواع الطيور في المنطقة وصفًا مفصلًا: *البطيخ*. ولكن بعد صيف قضينا كل أيامه معًا في كوخ التجهيزات، حيث سحبنا الزوارق والقوارب من البحيرة، بدأنا نتفاهم دون كلام، باتساع طفيف في أعيننا أو اعوجاج في شفاهنا.

بمجرد أن تحركا نحو المصعد قال: «الأمر ليس بشعًا. أليس كذلك؟» لكنني لم أرد.

مد جيمي ذراعه نحو مدخل صالة الطعام. لا شك في الداخل كثير من زبائن المنتجع الدائمين، لكن هناك أيضًا كثير من العامة. وبحظِّي هذا، سيلاحظني أحد زملائي من المدرسة الثانوية بمجرد دخولي. تدفق الدم في طبلتي أذنيّ كسيارة نقل على الطريق السريع.

قلت: «لا أعتقد أن بإمكاني فعل ذلك. سأعود إلى المنزل. لقد استُنزِفت.»

إنها ليست كذبة. لازمني الأرق فور عودتي. أستيقظ كل يوم في غرفة نوم طفولتي مشوشة ولم أنم إلا قليلًا. نظرت إلى التشابك الكثيف لأغصان الشجرة خارج النافذة، مذكّرة نفسي بالمكان الذي أنا فيه، وبالسبب وراء وجودي هنا. في البداية، كنت أضع وسادة فوق رأسي وأعاود النوم، ثم أستيقظ في الظهيرة وأترنح هابطة الدرج، أقضي بقية اليوم بين الكربوهيدرات وحلقات مسلسل The Good Wife.

لكن بعد ذلك، اتصل جيمي بي وأمطرني بالأسئلة، وظهرت وِتني دون سابق إنذار لتعطيني محاضرة عن الوقت الذي أقضيه مرتدية منامتي -ذلك النوع من الحب العنيف الذي لا يمكن أن يقدمه لك إلا صديق مقرب- ولذا غيّرت ملابسي. شرعتُ أغادر المنزل، أزور المنتجع، أتجول عند مرفأ العائلة لأسبح أو لأشرب قهوتي الصباحية، تمامًا كما اعتادت أمي أن تفعل. حتى إنني ركبت القارب الصغير عدة مرات. وجودي في الماء هو إحساس جميل، كما لو أن لديّ نتفة من السيطرة، حتى لو أنَّها موجهة فقط لتحريك قارب صغير.

ما زلت أستقبل حزنًا جارفًا، غضبًا، وهلعًا كلما فتحت جفنيّ. إلا أن ذلك صار يمر عليّ الآن بصمت، بعدما كان صاخبًا كمقطوعة موسيقية عسكرية.

أطلعني جيمي بصبر، على مدى الأسابيع القليلة الماضية، على كل ما تغير في السنوات الطويلة الماضية، منذ أن عملت هنا، لكن الأكثر إثارة للدهشة هو كل ما لم يتغير. عجين الساوردو. النزلاء. حقيقة أنه لا يزال يناديني بـفيرني.

تعارفنا قبل مدة طويلة من بداية تواعدنا. يقع كوخ عائلة برينجل بعد خليجين جنوب البحيرة. يعرف أجداده أجدادي، ووالداه ظلا يأتيان إلى المطعم لتناول السمك ورقائق البطاطس كل يوم جمعة. والآن، بعد تقاعدهما، صارا يقضيان معظم فصل الصيف في موسكوكا، ثم يعودان إلى جويلف في سبتمبر. استأجر جيمي منزلًا في المدينة، لكنه اشترى قطعة الأرض الخالية المجاورة لأرض أسرته ليبني فوقها منزلًا على مدار العام. يحب البحيرة أكثر من أي شيء آخر.

قال جيمي: «إنه يوم كندا الوطني. رؤيتك فارقة مع النزلاء والموظفين. حلَّ الصيف. لا أطلب منك الصعود على المسرح وإلقاء خطبة قبل بدء الألعاب النارية.» ليس بحاجة إلى أن يضيف إلى كلامه، *مثلما كانت تفعل والدتك*.

«فقط اذهبي وقولي مرحبًا.»

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

ابتلعت ريقي، أمسكني جيمي من كتفيّ، ناظرًا في عينيّ، وقال: «يمكنك فعلها. لقت اقتربتِ جدًّا من ذلك. أنت مرتدية ملابسك بالفعل. وذهبت إلى هناك مليون مرة من قبل.» أخفض صوته وأردف: «لقد فعلناها هناك، تذكرين؟ جناح رقم 3.»

تأففت وقلت: «بالطبع تعلم أي جناح كان ذلك.»

«يمكنني أن أرسم لكِ خريطة بجميع الأماكن التي دنّسناها. كوخ التجهيزات وحده...»

ضحكتُ، لكن ببعض الاضطراب، قلت: «كفى.» ها أنا هنا مع حبيبي السابق، نتحدث عن الأماكن التي مارسنا الجنس فيها، في منتجع والدتي المتوفاة حديثًا. لقد عبث الكون بحياتي.

«فيرني، إن الأمر ليس صعبًا. هذا كل ما أقوله.»

أوشكتُ على إخبار جيمي أنه مخطئ، وأن الأمر في غاية الصعوبة، لكن بعد ذلك لمحتُ بطرف عيني عُذرًا يجعلني لا أفعل. إنه رجل فارع الطول، يسحب حقيبة سفر فضية إلى مكتب الاستقبال، الذي لا يوجد أحد خلفه بعد.

يولينا ظهره الطويل كناطحة سحاب، لكن يمكنك معرفة أن بدلته باهظة الثمن. مصنوعة بطلب خاص من أجله، على الأرجح. القماش الأسود مُصمّم بدقة ليلائم جسمه، وبطريقة مثالية تتطلب قياسات دقيقة، وإمكانية سحب مبلغ سخيّ من بطاقة الائتمان. أشك أن قياس الملابس الجاهزة يكفي لتغطية ذراعيْ هذا الرجل، كما أن طيَّة كمّه مثالية، وكذلك شعره المُثبَّت بعناية إلى الوراء. فاحم السواد، لامع، ومصفف بحرص فائق، تمامًا مثلما فُصِّلَت سترته. للأمانة،

ملابسه مبالغ فيها. هذا منتجع جميل، واحد من أجمل المنتجعات في شرق مسكوكا، يظهر الموظفون دائمًا بملابس ملائمة وبشكل مرتب، لكن النزلاء عادةً ما يفضلون ارتداء ملابس مريحة، خاصةً في فصل الصيف.

قلت لجيمي: «سأذهب لمساعدته، أحتاج إلى التدرب على إجراءات استقبال النزلاء. تعال وتأكد أنني أفعل ذلك بطريقة صحيحة.»

لا مجال للجدال. لا يمكننا ترك هذا الرجل الأنيق واقفًا هناك.

اعتذرت للرجل على انتظاره عندما صرنا بالقرب من مكتب الاستقبال. قلت: «مرحبًا بك في منتجع بروكبانكس.» ثم ألقيت نظرة سريعة للأعلى، رغم ارتدائي حذاء ذا كعب عالٍ، كان أطول مني بحوالي قدم.

سألته وأنا أضغط على مفتاح تشغيل الحاسوب: «هل واجهتك أي صعوبة في العثور علينا؟» لم يتفوه الرجل الطويل بحرف. آخر امتداد للطريق غير معبد، غير مضاء، تتخلله منعطفات خطرة عبر الأحراش. في بعض الأحيان، يُرهِق ذلك الناس الوافدون من المدينة، خاصةً عندما يصلون بعد غروب الشمس. ظننت أن هذا الرجل من تورونتو، وربما من مونتريال. سيُعقد مؤتمر طبي الأسبوع القادم، وقد وصل بعض الأطباء مبكرًا للاستمتاع بعطلة نهاية الأسبوع الطويلة.

«لا.» مرر يده على ربطة عنقه، ولم يقل شيئًا آخر.

أدخلت رمز مروري وقلت: «جيد، هل أنت مع أطباء الأمراض الجلدية؟» تصفحت القائمة الرئيسة، وعندما لم يرد، تنحنحتُ وحاولت مرة أخرى: «هل لديك حجز لدينا؟»

نطق الكلام ببطء، كما لو أنه يتفحصه ليتأكد من خلوه من الأخطاء: «نعم.»

ليس لدي أدنى فكرة عن مشكلته. عادة ما يُبدي الرجال الذين يرتدون بدلة كهذه ثقة أكبر بالنفس. لكنني رفعت رأسي بعد ذلك، فرأيت وجهًا في غاية الجمال، منحوت ببراعة، ومشدود جدًّا. بدا في سني نفسه، ومألوفًا بطريقة غريبة.

أنا متأكدة أنني رأيت هذا الوجه من قبل. شيء في الأنف يبدو مألوفًا. ربما ممثل، رغم أن المشاهير عادةً لا يظهرون مرتدين بدلة وحالقين ذقونهم حديثًا، أو على الأقل لم يكونوا كذلك في الماضي.

«الاسم؟»

ارتفع حاجباه عندما سمع سؤالي، كما لو أنه تفاجأ لأنني سألت. ثم لاحظت مدى قتامة لون عينيه، سوداوين مثل جناح غراب، تقلصت معدتي. لقد اتخذ وضعية مثالية. تسارع النبض في قلبي، ارتدَّت دقاته في أطراف أناملي وكعبيْ قدمي. وفورًا بحثت عن الندبة. ها هي: تحت شفته على الجانب الأيسر من ذقنه، تكاد لا تُرى إلا إن تعمدت البحث عنها. لا يمكنني أن أصدق أنني ما زلت أعرف كيف أبحث عنها.

لكنني أعرف.

أعرف هذا الوجه.

أعرف أن قزحيتيه ليستا فعلًا سوداوين، في ضوء الشمس، تصيران بلون قهوة الإسبريسو.

أعرف كيف أصيب بتلك الندبة.

لأنني، رغم محاولتي لنسيانه، أعرف بالضبط من هذا الرجل.

2

14 يونيو، قبل عشر سنوات

تبقى خمس دقائق فقط للوصول إلى المحطة، والترام متوقّف. اندفعنا أنا ووِتني من مؤخرة الترام عابرين خلال حشد مكثف من الأجساد، ونحن نتمتم باعتذارات غير صادقة تمامًا، قبل أن نتعثر خارجين إلى الرَّصيف وننطلق.

صرخت ناظرة خلفي: «أسرعي يا وِتني.»

التأخر لم يكن خيارًا متاحًا. هناك حافلة واحدة تتجه شمالًا في ذلك اليوم، ورغم أن كلتينا لم تقل ذلك، فإنّ وِتني وحقيبتها الضخمة بحاجة إلى أن تكونا على متن تلك الحافلة. قضينا ثلاثة أيام معًا في شقتي الصغيرة، وربما لن تصمد صداقتنا إن قضينا معًا يومًا رابعًا.

أفلت شمس السماء، تاركة ضيّها يتلألأ بين المباني، ينثر ألقه على الأبراج الزجاجية، بينما كنا نجري بطول شارع دنداس، وأقدامنا تدهس الرصيف الممتلئ بالنتوءات والحُفَر. إن نظرت إلى الأعلى، فسأجد أن الوهج مفزع، أما على مستوى الأرض، فوسط مدينة تورونتو مغمور بظِل الصباح الأزرق الرمادي. كان التباين بهيًّا. ذكرني ارتداد الضوء من النوافذ بالوطن، بغروب الشمس الذي رأيته يومض على سطح مياه البحيرة.

أردت التوقف وأظهرت ذلك لوِتني. لكن لم يكن لدينا ثانية لنضيعها، وحتى لو لدينا الوقت، أشك في أنها لن ترى أي شيء ساحر في خطوط الأفق المتلألئة. حاولت أن أريها تورونتو كما أراها بعيني طوال رحلتها هنا، ولم أنجح بعد.

وصلنا إلى محطة الحافلات متأخرتين دقيقة واحدة، لكن المسافرين وقفوا في صفٍ طويل بجوار الحافلة المتوقفة في المحطة رقم 9، بدوا ساخطين بدرجات مختلفة. لم يكن السائق ظاهرًا في المكان.

التقطتُ نفَسي وقلت: «الحمد لله.»

طوت وِتني جسدها في ضيق، واضعة يديها على ركبتيها. تساقطت خصلات من شعرها الكستنائي الكثيف من شعرها المعقوف، والتصقت بخديها القرمزيين. قالت: «أنا. أكره. الجري».

عندما استعادت أنفاسها، تأكدنا أن لدينا بيانات المغادرة الصحيحة وانضممنا إلى صف الانتظار من نهايته. المحطة في الأساس هي موقف سيارات ضخم، كأنه إبط تورونتو الداكن والرطب. للهواء طعم الشطائر المباعة في ماكينات البيع الآلية، وعوادم الوقود، والبؤس.

تحققت من الوقت على هاتفي. تجاوزنا العاشرة بالفعل. كنت على وشك التأخر عن مناوبتي في المقهى.

قالت وِتني: «لستِ مضطرة للانتظار. أستطيع أن أتولى الأمر ابتداءً من هذه اللحظة.»

أنا ووِتني صديقتان مقربتان منذ الابتدائية. وجهها مستدير ولها عينا غزال عسليتان وأنف صغير يشبه حبة الكرز، في معظم الظروف يجعلها تبدو بريئة براءة خادعة. محاولة وِتني لكي تبدو شجاعة لطيفة، لكنها ظلت ضامّة حقيبتها النايلون إلى حضنها وكأنها ستُسرق إن لم تكن في غاية الانتباه.

في الثانية والعشرين من العمر، لم تكن وِتني قد مكثت وحدها في تورونتو من قبل، ولو لمدة عشر دقائق، ورغم معرفتي أنها ستكون في أمان، لم أكن لأتخلى عنها في أحد أقذر أزقَّة المدينة.

قلت لها: «لا بأس. أرغب في توديعك.»

وثبت على أصابع قدميها وقالت: «فقط فكري، قريبًا لن أضطر لقطع كل هذه المسافة لنتقابل.»

لم يكن الطريق طويلًا، ساعتان ونصف نتمتع فيهما بالمناظر الطبيعية الخلابة، لكن بغض النظر..

ألصقت ابتسامة على وجهي وقلت: «لا أستطيع الانتظار.»

نظرت خلفها وقالت: «أعلم أنك تحبين هذا المكان، لكنني أحيانًا لا أفهم السبب.»

وقف رد ساخر على طرف لساني منتظرًا.

ندرة زيارات وِتني لي خلال الجامعة بمثابة موضوع حساس وجارح لي. لم أكن متأكدة مما إن كان ذلك بسبب عدم استقرار علاقتنا بعد شجارنا الكبير بسبب «سلوكي المدمّر للذات» في المدرسة الثانوية، أم لأنها ببساطة لم تحب المدينة؟ لكن من الجليّ في كل زيارة أنها فضلت البقاء في مدينة هَنتسفيل. لم ترفض اقتراحاتي، لكنها لم

تتحمس لها كثيرًا أيضًا. لم تكن هذه هي وِتني. وِتني من النوع الذي يقول نعم لكل شيء، وأي إمكانية للهرج والمغامرات تعتبرها خبرًا سعيدًا.

عندما وصَلَت هذا الأسبوع قالت: «بصراحة، سأسعد بتناول الخبز والجلوس في شقتك خلال اليومين المقبلين.»

بكل صدق، أغضبني ذلك. وقتي في تورونتو ينفد، وما زالت أشياء كثيرة أريد القيام بها. من المفترض أن تصير وِتني مرشدتي. لكن بدلًا من ذلك، شعرت أنني أجرّها بجواري في الأنحاء.

«ما الذي لا تفهمينه؟» قلتها ملوحة بسخرية، بينما بصق رجل على الأرض في المحطة التي تلت محطتنا.

انكمشت وِتني منزعجة، ثم نظرت إلى هاتفها وقالت: «جيمي أرسل إليَّ رسائل نصية. يريد مني أن أعطيك قبلة نيابة عنه.» تجعد أنفها في أثناء قراءتها لرسائله. «قبّلي فيرني قبلة وداعٍ. قبلة حارّة عميقة. بل وأشجع على ذلك. إرسال صورة. وجه يغمز.»

هززت رأسي، مقاومة ابتسامة أوشكت أن ترتسم على وجهي. بدا جيمي مثل كلب من فصيلة لابرادودل، سعيدًا ومتعطشًا للمتعة، بشعره المموج الذهبي. يشعرني سماع اسمه أنني صرت أخفّ بعض الشيء. قلت: «حبيبي قال ذلك؟ أنا مندهشة.»

«إنه يتوق إلى رؤيتك هناك. نحن جميعًا نتوق إلى ذلك.»

ابتلعت ريقي، ثم رأيت أخيرًا رجلًا يرفل في زيّ أزرق فاتح يتجه نحو الحافلة.

صاح أحد الركاب به: «خذ وقتك، كأننا لسنا متأخرين.»

تابعت وِتني قائلة: «أنا في غاية الحماس لأننا سنبقى في المكان نفسه مرة أخرى.»

أومأتُ، لفظت الكلمات بصعوبة: «أنا أيضًا.»

أربع سنوات من العيش بعيدًا عن صديقتي المقربة وحبيبي: كان يجب أن أعد الثواني حتى نلتقي من جديد. لم أرَ جيمي منذ الرّحلة المفاجئة في عيد الحب. عمل مدربًا للتزلج على الجليد خلال فصل الشتاء في بانف، لكنه عاد إلى المنتجع منذ عطلة مايو الطويلة. أنهيتُ عامي الدراسي الأخير في الجامعة. كان يجب أن أبقى هناك معه. أن أحزم حقائبي بعد اختباري النهائي في أبريل. بدلًا من ذلك، أقنعت أمي بالسماح لي بالبقاء حتى نهاية يونيو لأستمتع بالتجول في المدينة حتى موعد حفل التخرج، الذي سيقام خلال أسبوع من الآن. كسبت تعاطفها بصفتها سيدة أعمال، قلت لها إن مديري يواجه صعوبة في إيجاد نادلة بديلة لي تصنع القهوة.

دارت الحافلة من جديد، ثم بدأ السائق يقذف بالأمتعة في جزءها السفلي. مع تقدم الركاب وتضاؤل الصف، تعانقنا أنا ووِتني عناقًا طويلًا.

قالت: «أحبك، بيبي.»

النشأة في منتجعٍ يشبه ذلك الذي في فيلم Dirty Dancing لا بد وأن يرافقها لقبًا يشبه الذي كان يُطلَق على بطلة الفيلم. «بيبي.» كرهت هذا الاسم. حتى أنه ليس ملائمًا لي. البطلة التي لُقِّبَت بـ «بيبي» في الفيلم كانت من النزلاء.

وقفت على أصابع قدمي، عدَّلْتُ غطاء السترة الذي وضعَته على رأسها، شددت الأربطة لأُحكِم ربطه حول وجهها، وقلت: «أنا أيضًا أحبك.» على الأقل، هذه لم تكن كذبة.

بمجرد أن وجدت وِتني مقعدًا، أرسلت إليها قبلة في الهواء، وتناولت سماعات الأذن من حقيبتي القماشية. ضغطت على زر التشغيل، تاركة صوت فرقة توكينج هيدز يغمرني ويغطي على صوت محرك الحافلة، وصوت تكتكة العد التنازلي الذي ارتفع صوته مع مرور الوقت.

تسعة أيام إضافية حتى يتعين عليّ العودة إلى المنزل.

سماعاتي معالجي النفسي وعباءة التخفي التي أرتديها. يقع مقهى تو شوجارز على بُعد بضعة أبنية من المحطة، ليس بعيدًا بمسافة كافية لتغسل الموسيقى شعوري بالذنب، أو تُنسيني المنتجع والمسؤوليات التي تنتظرني هناك. الماضي أيضًا ينتظر عودتي إلى البيت. فيرن بروكبانكس كانت مادة أساسية للشائعات الكثيرة في مدرسة هَنتسفيل الثانوية. مضت سنوات، لكنني أعرف أشخاصًا لا يزالون يذكرون أنني «تلك الفتاة» التي فقدت السيطرة على نفسها. لحسن الحظ، سيصبح المقهى مزدحمًا بما فيه الكفاية لكي ينتقل تفكيري إلى وضع التشغيل التلقائي حينما أُحضِّر فنجان الإسبريسو العاشر.

توجهت شرقًا، اصطدمت بحشود السياح في تقاطع يونج ودُنداس. أحببت الزحام الكثيف هناك، اللافتات الإعلانيّة المُضيئة، والحافلات ذات الطابقين، لكن ما أحببته فعلًا هو وجود أشخاص في كل مكان، ولا أحد منهم ينظر إليَّ. يعبر يوميًّا مائة ألف شخص من هذا التقاطع، وسط هذا الجنون، كنت لا أحد بجدارة.

اعتدتُ أن أخبر الناس أنني من هَنتسفيل، لكن هذا لم يكن دقيقًا تمامًا. يقع المنتجع بعيدًا عن المدينة، على شواطئ بحيرة سموك الصّخرية. الانتقال إلى تورونتو للدراسة الجامعية مثل الانتقال إلى القمر. تمنيت لو استطعت أن أظل مستكشفة فضائية إلى الأبد.

رفعت صوت الموسيقى، حركت كتفيّ للأمام وللخلف حتى تجد أشعة الشمس الدافئة طريقها إلى عنقي. كان من المتوقع أن يسجل الطقس رقمًا قياسيًا في درجة الحرارة. تغدو تورونتو في أفضل حالاتها في شهر يونيو. تمتلئ الباحات والحدائق بفرحة بداية الصيف المتفجرة. في يونيو، يُعتبَر اليوم الحار نعمة. أما في أغسطس، فيعتبر عبئًا ثقيلًا، فيه تنتشر رائحة القمامة الكريهة والمتعفنة في أرجاء المدينة.

كنت قد ارتديت بنطالًا قصيرًا من الجينز (مُقطَّعا يناسب الموضة حينها) وبلوزة قصيرة قطنية بلا أكمام تحت قميص قصير الأكمام وجدته في متجر فاليو فيليدج. القميص فضفاض، شفاف، منقوش بزهور صغيرة بنية اللون شعرت أنها أضفت أناقة التسعينيات إلى القميص. تكاد البقعة الصفراء عند طرفه لا تُرى.

صُفَّت صناديق معدنية ممتلئة بالجرائد أمام مقهى تو شوجارز كأنها تحرسه. التقطت نسخة من صحيفة *ذا جرِد* الأسبوعية المجانية، التي أحبها أكثر من غيرها، قبل أن أسحب الباب. كان مغلقًا. شعرت بالحيرة، دفعت المقبض مرة أخرى، ثم لصقت أنفي بالزجاج. المقهى أفضل مكان لدي في العالم، وجدته خاليًا إلا من لويس. لعقَت رائحة الطلاء الرطب أنفي فور انفتاح الباب.

سألته وأنا أخلع سماعات الأذن، وأدلف إلى الداخل: «لماذا أغلقنا؟» توقفت عندما رأيت لوحة بالأبيض والأسود تغطي أحد الجدران وسألته: «ما هذا؟»

لكن لويس أشار إلى رأسي وسألني: «ما هذا؟»

«تصفيفة شعر.»

انفجر ضاحكًا وقال: «هذه ليست تصفيفة شعر. لقد قصصتِ شعرك كله.» ثم أردف مبتسمًا: «أحببته.»

شددت واحدة من الخصلات القصيرة في الخلف، طولها يكاد لا يكفي لأمسك بها بين أصابعي. صففت شعري بعد مناوبتي الأخيرة، قبل وصول وِتني. ويعتبر هذا تغييرًا كبيرًا، إذا وضعنا في الاعتبار أن طول شعري كان يتجاوز كتفي بكثير.

قلت: «لا أتذكر أنني طلبت رأيك، لكن شكرًا. حسنًا، ما الذي يحدث هنا؟»

طوى لويس ذراعيه أمام صدره العريض وسألني: «ألم تسمعي عن اللوحة الجدارية؟» كثير من الموظفين جاءوا وذهبوا من مقهى تو شوجارز، لكنني أنا وهو عملنا معًا لمدة ثلاث سنوات.

أجبت: «لا.»

«حسنًا، لدينا لوحة جدارية الآن. أو أنها على وشك أن تصبح لدينا.»

نظرت حولي. يبدو أنَّ الفنان قد اختفى. خمنتُ: «وأنتَ وأنا سنرعى هذه الجدارية؟»

سحب ميدالية مفاتيح صغيرة من جيبه وقال: «واحد منّا فقط سيكون الراعي. لقد قمت بهذا اليومين الماضيين. والآن حان دورك.»

حدقت إلى لويس. فكرة قضاء ساعات وحدي مع شخص غريب، واضطراري لإجراء محادثة معه، فكرة مُنفِّرة أكثر من فكرة إلقاء خُطبة أمام الناس.

قلت: «لا.»

رد لويس بنبرة ذات لحن: «نعم، أنا ذاهب إلى الجزيرة. سألتقي بعض الأصدقاء في العبَّارة خلال نصف ساعة.»

زمجرت بـــ«حسنًا» وأخذت المفتاح، ثم رميت أغراضي على الطاولة وتجولت بالقرب من الجدارية. «إذًا، أين مايكل أنجلو مقهانا؟»

رد لويس: «ذهب ليجلب شيئًا ليأكله. من المفترض أن ينهيها مبكرًا بعد الظهر، بعدها يمكنك المغادرة. سنغلق حتى الغد.»

يمكنني تحمل بضع ساعات أخرى. لديّ سيجارة ملفوفة في حقيبتي، خططت للتدخين في الزقاق بعدما ننتهي. أردت أن أتجول في مدينتي وأعود إلى مكاني في الحي الإيطالي.

سألني لويس: «هل أعجبتكِ؟»

تأملت الجدارية. رسم الفنان نسخة مغايرة ومرحة للأفق والواجهة البحرية في تورنتو. بدا كل شيء مشوهًا قليلًا. برج سي إن كان صغيرًا، قبضت عليه مخالب حيوان الراكون. ازدهرت تورنتو في الآونة الأخيرة، انتشر ذاك النوع من الفخر بالمدينة العصرية في كل مكان: على القمصان القطنية، والملصقات، وحتى على حقيبتي

القماشية، التي رُسِم عليها خريطة الحي الإيطالي، وعليها أسماء شوارع الحي.

قلت: «لا أعرف. تبدو.. بدائية نوعًا ما؟»

«سمعت صوتًا عميقًا آتيًا من خلفنا: «يا إلهي!»

استدرت ببطء.

كان شابًا يرتدي أفرول عمل من القطن أزرق فضفاض، في سني نفسه تقريبًا، ويحمل كيسًا ورقيًا به طعام. طوله غير عادي، ووقفته مفرود الظهر جعلته يبدو أطول. انساب شعره الأسود الأشعث خلف أذنيه مباشرة. أنفه مائل إلى الطول، لكنه يلائمه.

قال لويس: «هذا هو مايكل أنجلو مقهانا.»

برز فك الشاب وعظمتا وجنتيه اللذان يميلان إلى الحدَّة. لم أعرف إلى أين أنظر، فيه كثير من التفاصيل، جميعها في غاية الجمال.

قال الشاب مُصححًا: «مايكل أنجلو البدائي.» أخفضت بصري. إنه مذهل الجمال لدرجة تُعجِزُني عن النظر إليه بشكل مباشر. يرتدي حذاء عمل بنيّ، برقبة طويلة وأربطة وردية فاقعة اللون.

مد لي يده وقال: «أفضل أن تناديني ويل. ويل باكستر».

حدقت إلى راحتيْ يديه الضخمتين، غامقتين بلون النفط المندلق.

سأل ويل بعد لحظة، معيدًا ذراعه إلى جانبه: «وأنتِ؟»

حملقتُ إلى لويس ساخطة. أسوأ نوع من الرجال هم الوسيمون بهذه الطريقة. مغرورون، ومهووسون بأنفسهم، ومملون. بالإضافة إلى ذلك، هو طويل. عندما يجتمع الجاذبية والطول معًا، فهذا يعني أنه غير محتمل بالمرة. أراهن أن الشيء الوحيد الذي عاناه هذا الشاب

هو العثور على بنطال مضبوط على مقاسه. لوَّح لويس بحركة طفيفة من يده كما لو أنه يقول *لا بأس به.*

«فيرن.»

رفع ويل حاجبيه، طالبًا مزيدًا. قلت: «بروكبانكس.» وضعت أناملي خلف أذني لأزيح عنها خصلات شعري، لكنني لم أجد منها ما يكفي لأعيد ترتيبه.

قال ويل وهو يبتسم بطريقة مبالغ فيها: «أشعر بالأسف لأنني سمعتك تقولين إنك تعتقدين أن عملي بدائي، يا فيرن بروكبانكس، لأنني أعتقد أنكِ مضطرة لقضاء بقية اليوم معي.»

ابتسمت له ابتسامة خفيفة.

قال لويس: «حسنًا يا أولاد، أنا ذاهب. ويل، على عكس الانطباع الأول، فيرن لن تعضّك.»

قلت: «مهلًا.»

قبّل لويس خدي وقال: «سأراكِ يوم الاثنين.» ثم همس في أذني: «إنه شخص رائع. كوني لطيفة».

أغلقت الباب وراء لويس، شاعرة بنظرات ويل تحدق إلى وجهي من الجانب.

«ماذا؟»

«أخبريني لماذا لم تعجبكِ.»

أخرج ويل كعكة من الكيس الورقي، ومزق ورق التغليف.

قرقرت معدتي. كنت قد أعددت أقراص الفطائر التي أحبتها أمي كوجبة إفطار لتوديع وِتني، لكن ذلك قبل عدة ساعات. قسم ويل الكعكة إلى نصفين ومدّ يده إليَّ بقطعة كبيرة.

قلت: «شكرًا.»، ودفعتها إلى فمي. هي بالليمون والتوت الأحمر. أدرنا وجهينا للجدار. كل شيء إلا الزاوية اليمنى بدا مكتملًا.

قلت: «حيوان الراكون جيد.» عندما لم يرد، رفعت رأسي محدقة إليه. كان أكثر جاذبية عن قرب. انحناءة أهدابه السفلية مبالغ فيها، سوداء كالبحيرة في منتصف الليل. طويلة ورقيقة، تُقبّل الجلد تحت عينيه، مُحدثة تباين مع الأفرول الفضفاض والمتراخي الذي ارتداه، بطريقة في غاية الإثارة والعجب. تأملت الجدارية مرة أخرى وقلت: «ليست مريعة.»

انفجرت ضحكته فجأة وبلا مقدمات مثل الألعاب النارية. إنها البهجة عندما تتجسد في صوت. «قولي لي ما تعتقدينه حقًا.»

«إنها فقط ليست من النوع الذي سأختاره. اختلف المكان هنا تمامًا عما كان قبل ستة أشهر.» قرر مديري أن المكان يحتاج إلى «تجديد حَداثي». تبدَّلت الكراسي الخشبية ذات القواعد التي بلون الكرز وحلَّ محلها كراسي البلاستيك الأسود المصبوب. طُليت الجدران الفيروزيّة بالأبيض. لا ملصقات للفنان رِنوار بعد الآن.

أخطأتُ ونظرت إلى ويل مرة أخرى. طريقته في النظر إليَّ بإعجاب جعلتني غير مرتاحة. «لستِ من هواة التغيير؟»

«كنت أحب المقهى على حاله القديم.» أشرت إلى زاوية بجوار النافذة وأردفت: «كان لدينا هنا كرسي قديم برتقالي مخملي، وكل

كتب الطبخ لنجيلا لوسون.» نادرًا ما اطّلع عليها أحد، لكن كتب نجيلا كانت شيئًا مميزًا عندنا. «كان لدينا ستار من الخرز الخشبي مُعلقًا هناك.» وأشرت إلى الباب الذي يوصِل إلى مطبخ التحضير.

على الجدار الذي يرسم ويل فوقه لوحة كبيرة من الفلين، أعلى ركن الحليب والسكر، حيث ظل الناس يثبتون عليها ورق إعلانات عن دروس البيانو، وفرص التواصل المفقودة، وخيوط مُحاكة بشكل دائري، وأي شيء حرفيًا. في العام الماضي، طلب أحد زبائننا الدائمين الزواج بمن يُحب عن طريق تثبيت لافتة تحمل عبارة: «*أنا أحبك، شون. هل نتزوج؟*» نزع بعض الشرائط الموضوعة بشكل عمودي على اللافتة، تحت كل منها كتبت الإجابة نفسها: نعم.

قلت: «كان الجو دافئًا هنا. يبدو مختلفًا تمامًا الآن. صار في غاية الـــ... جفاف.»

قال ويل وهو ينفض عن جيوب ملابسه فتات الكعكة: «أفهم قصدك.» رأيتُه يرتدي خاتم ذهب بسيط منقوش بختم في إصبعه الصغير. «في كل مرة أعود إلى تورنتو أجدها تغيرت قليلًا، وأحيانًا تتغير كثيرًا.»

«ألا تعيش هنا؟»

قال: «أعيش في فانكوفر، لكنني نشأت هنا. ونعم، إنها في تطور مستمر. رغم ذلك ليس لدي مانع في هذا.» أزاح شعره الأسود عن وجهه وأردف: «كلما صرتُ في الوطن، أصبح لدي فرصة لتعرّف المدينة من جديد».

قلت بتعبيرات وجه جامدة: «يا لها من رومانسية.» لكن كلماته اجتاحت مجرى دمي مثل جرعة إسبريسو.

3

الآن

نظرتُ إلى ويل من مكاني في مكتب الاستقبال، أصابعي تنقر فوق لوحة المفاتيح، وحلقي جاف. نظرت عيناه بثبات في عينيّ. لم يعطني اسمه بعد، ترددت نظرات جيمي بيننا، محركًا رأسه يمنة ويسرة مثل جرو حائر بين لعبتين ملونتين.

كنا في الاثنين والعشرين من عمرنا عندما تقابلنا أنا وويل آخر مرة، وهو لم يصبح كما تخيلته على الإطلاق. أتساءل عما إذا كان يفكر في الشيء نفسه عني، فلا بد أنه يعرف من أكون. لا بد أنه يعرف أن منتجع بروكبانكس هذا هو منتجع بروكبانكس *الذي أملكه*.

قال جيمي وهو يدفعني جانبًا، بينما نتبادل النظر أنا وويل: «أحتاج فقط إلى اسمك حتى أتمكن من البحث عن الحجز.» ضاقت زاويتا عينيه. لم يكن متأكدًا أنني عرفته. لكنني عرفته بالطبع، رغم أن ويل باكستر هذا مختلف تمامًا عن الويل باكستر الذي عرفته من قبل.

لا يزال طويلًا وعظام فكه حادة، رغم أن البدلة ضللتني، وكذلك الشعر. مصفف إلى الوراء كاشفًا عن جبينه ومثبتًا بأحد منتجات تثبيت الشعر. لا يزال ممشوق القوام، لكنه صار يتمتع بالجلادة. إنه تأثير البدلة والشعر وبنية الجسد، بالإضافة إلى العشر سنوات منذ آخر مرة رأيته.

رغم أن ذلك غير متوقع، فالبدلة المفصَّلة، وقَصَّة الشعر التي كلفته مائتي دولار، تُناسبانه. تلك الأناقة التي يتمتع بها.

ثبت نظراته عليّ وهو يمرر لي بطاقة الائتمان وهويته على مكتب الاستقبال وقال: «ويل باكستر.»

قضيت مع ويل يومًا واحدًا فقط، وقد غير حياتي. ظننت يومًا أنه قد يكون توأم روحي. اعتقدت ذات مرة أننا سنكون هنا معًا، في ظروف مختلفة تمامًا. تخيلت ذات مرة أشياء كثيرة عن ويل.

وقد أضعت كثيرًا من وقتي وأنا بالغة، وأنا أتساءل عما حدث له.

ربما استطعت منع فكي السفلي من التدلي حدّ الارتطام بالسجاد البنفسجي، لكنني لم أستطع السيطرة على أنفاسي. فستان أمي اللعين في غاية الضيق، لدرجة أنني استطعت رؤية صدري وهو يعلو ويهبط. ويل أيضًا لاحظ. أطرق بصره للحظة، وعندما عاد لينظر إليَّ، أخذ نفسًا متقطعًا.

قال جيمي: «سيد باكستر، أرى أنك حجزت إحدى الغرف هذا العام.»

سمعته بصعوبة.

بدا أن ويل أيضًا لم يسمعه، لأنه لم يجب، وميَّل رأسه لأسفل بدلًا من ذلك.

«فيرن.» قالها ويل، جاء صوته عميقًا، خرج اسمي من فمه ثخينًا، كما لو كان محبوسًا تحت حفنة من الإسفلت.

لم أكن متأكدة من الخطوة الصحيحة التي عليّ اتخاذها هنا. ما الخطوة الأكثر أمانًا؟ يضمن لي التظاهر بعدم تذكره أقصى حماية،

لكنني لست ممثلة جيدة. لم أكن متأكدة قط ما إن كان تذكُّري بوضوح للأربع والعشرين ساعة التي قضيتها مع ويل معقولًا، أم أنني لو لم أتذكر سيعتبر هذا حماقة؟

أخذت أخمش جلد ساعدي، بينما تابع ويل حركة يدي. بسطت يدي وضغطت على سطح المكتب، شاعرة بالسوء لأنه لديه هذا التأثير فيَّ.

«أنتِ هنا.» قالها كأنه لم يجمع توًّا أكثر كلمتين ساخرتين متناقضتين في اللغة وتفوه بهما.

أنا هنا؟ أنا هنا؟ أردت الصراخ في وجهه. أردت أن أسأله أين كان بحق الجحيم. كانت فكرته أن نلتقي في المنتجع. ظهرت أنا. وهو تأخر تسع سنوات.

فتحت شفتي ثم أغلقتهما. فتحتهما مرة أخرى، لكن الكلام لم يخرج من فمي.

همس جيمي في أذني: «أنتِ بخير؟» هززت رأسي.

حركت شفتي بكلمة *البطيخ،* على أمل أن يتذكر.

فرك جيمي يديه وقال: «سيد باكستر، من المؤسف أن على السيدة بروكبانكس المغادرة هذه الليلة. لكنني سأسعد لمساعدتك في تسوية إقامتك.»

تجنبت النظر في عيني ويل، أومأتُ برأسي، وتحركت بحذر حول الطاولة.

قال جيمي: «أرى أنك ستقيم في كوخ رقم 20.»

اللعنة. اللعنة. اللعنة. اللعنة

اندفعت نحو الأبواب الرئيسة، خافضة رأسي. قبل أن أتسلل إلى الخارج، سمعت ويل ينادي باسمي، ثم بدأت أركض.

الهروب من ويل باكستر مرهق. أعلم ذلك، لأنني قضيت تسع سنوات في الركض، هاربة على هذا الدرب. من المفترض أن يقودني إلى مكان بعيدًا عنه، متخللة بعض الضباب السحري وغابة مسحورة لأصل إلى أرض النسيان. هربت من شعوري بإصبعه يتشابك مع إصبعي. هربت من الألم. الذي كان يحرق بحرارة وحدة، مثل رمح يخترق قفصي الصدري. مع مرور الوقت، شحب وصار وجعًا راكدًا. لكن الليلة، لا مهرب.

اندفعت نحو الدرج المصنوع من الحجر الرملي أمام المنتجع. بمجرد أن هبطت إلى الممر، انغرس كعب حذائي العالي في الحصى وتعثرت. حمَّلت وزني على أطراف قدميّ، لكنني بصعوبةٍ استطعت التحرك بضع بوصات في كل مرة. لقد تركت نعلي المريح في المكتب. صرت أسب وألعن، خلعت حذائي وأخذت أصرّ على أسناني كلما آلمني الحصى. عشت في المدينة لفترة طويلة جدًّا. اعتدنا القفز أنا ووِتني حول المباني بأقدام حافية طوال الصيف.

ابتعدت ثلاث خطوات إضافية عندما سمعت صوت خطوات أقدام تهبط الدرج بسرعة مهرولة خلفي.

«فيرن. انتظري.»

لكنني لم أنتظر. بل زدت من سرعتي، تعثرت، ثم اندفعت بقوة إلى الأمام. وخزني الشعور بالمهانة قبل أن يخز الحصى راحتيْ يدي وركبتي.

سأل ويل من فوقي: «أنتِ بخير؟»

تأسفت على اليوم الذي ولد فيه. تأسفت على الاثنين اللذين تبادلا العناق قبل تسعة أشهر من ذلك. تأسفت على كثير من الأشياء وأنا مستلقية هناك. ضغطت جبيني إلى الأرض، وغرست أصابعي في الحصى. لعلي أستطيع التنقيب عن مخرج من هنا.

«سأساعدك على النهوض، حسنًا؟»

قبل أن أتمكن من قول لا، وأنه ليس حسنًا، وأنه لا شيء في هذا حسن، أمسكني ويل من ذراعي وسحبني لأقف على قدميّ.

وقفت مترنحة، نافضة عني بعض الأوساخ والحصى، انحنى ويل ليتفحص الضرر. رأسه على بعد بضع بوصات من رأسي، قريب جدًّا، تمكنت من شم عطره، رائحة سجائره، وجلده، وشيء حلو، مثل الكراميل المحروق. أبقيت تركيزي مثبتًا على ساقي.

قال: «هذا يبدو سيئًا.» ثم مرر إصبعه بجانب لطخة دم بدأ مكانها ينتفخ بالفعل. كنت في غاية الدهشة، لدرجة جعلتني أعجز عن فعل أي شيء سوى المشاهدة.

قلت بحدة: «لا بأس.» عندما تجرأت بإلقاء نظرة عليه، وجدته يحدق إليَّ من بين أهدابه الداكنة.

قال: «هذه أنتِ.» لم يبدُ مندهشًا لأنه رآني.

وقفت معتدلة، وكذلك فعل ويل، فرَد نفسه ليصير بطوله الكامل.

حدقت إلى رابطة عنقه. قال ذات مرة إنه من المستحيل أن يرتدي واحدة. تساءلت عن بقية جوانب الخطة التي لم يُنفذها.

قال: «هل أنتِ بخير؟ ترغبين في الجلوس؟» أشار إلى مقعد خشبي يطل على البحيرة، رغم أن ظلمة المكان لم تمكننا من رؤية الشاطئ البعيد. عبق الهواء برائحة العشب الطازج المقطوع، وزهور البتونيا، والصنوبر. تتداخل المساحات المشذبة والحدائق المحروثة حول المنتجع مع الدغل القريب. نظرت نحو المرسى، حيث كان يجهز قليل من رجال الإطفاء المحليين عرض الألعاب النارية لهذه الليلة، ابتلعت ريقي.

هززت رأسي، ودار عقلي. ألف شيء أردت أن أقوله لويل، ولم يبدُ أن بإمكاني اختيار شيء واحد منهم لأقوله.

فرك ويل عنقه وقال: «أنت تذكرينني، أليس كذلك؟» خرجت كلماته وكأنها تسير بحرص وبخطوات حذرة على حبل مشدود، أربع خطوات حذرة.

أتذكره؟ السؤال سخيف لدرجة أنه يكاد يبدو مضحكًا. أمي هي التي أنقذت حياتي، لكن ويل هو الذي ساعدني لأعرف كيف أجعلها ملكي.

التقط ويل حذائي من الأرض واقترب مني خطوة ليناولني إياه. تعبيرات وجهه متحفظة، والحركة هزتني. هناك نزلاء في كل مكان، مستلقين على ملاءات مفروشة على العشب، ممددين أجسادهم على كراسي البحر أمام الشاطئ، منتظرين بدء الألعاب النارية، لكنني لم أهتم.

قلت: «آه، أنا أذكرك.» داعب ضوء المصابيح خده من الأعلى. ومضت في عقلي صورته تلك الليلة، حيث داعب ضوء شمعة وجهه.

«وما أود معرفته هو ماذا تفعل هنا.»

طرَف عندما سمع نبرة صوتي، وهو يمسك الحذاء بيننا.

أضفت بحدة وأنا أخطف منه الحذاء: «في منتجعي، هل أخطأتَ في التاريخ؟»

«لا. أنا..»

قلت: «لا تحاول أن تخبرني أن هذه مجرد صدفة. ألا تعلم؟» بدا مرتبكًا. قال خافضًا صوته: «أنا هنا للمساعدة.»

«عم تتحدث؟»

«ألم تخبرك والدتك؟ لقد عينتني استشاري أعمال.»

ارتد عنقي للخلف مثل آلة قذف الحجارة وقلت: «والدتي؟ كيف تعرف والدتي؟» نفثت غضبًا، ثم أغمضت عيني. نسيت للحظة أنها توفيت.

قال ويل: «قابلتها هنا الصيف الماضي. ظننتُ أنها قد أخبرتكِ. كما ظننتُ أن هذا ربما يكون سبب وجودك هنا. طلبَت مساعدتي في التخطيط الإستراتيجي وأفكار لـــــ...»

لوَّحت له بحذائي ليتوقف عن الكلام. أنا منهكة. لا أستطيع التركيز على حقيقة أن أمي عينت مستشار أعمال، والمفارقة الأغرب من ذلك، أن هذا المستشار هو ويل. ويل، الموجود هنا. ويل، الذي جاء هنا الصيف الماضي. ويل، الذي عرف والدتي. ويل، الذي اعتقد أنني أعرف بقدومه. ويل، الذي على الرغم من كل هذا، لم يتصل بي قط. كل هذا فوق احتمالي.

أخذت نفسًا عميقًا لأواجه الحقيقة الأهم. «ويل»، قلتها وبدا اسمه غريبًا على لساني. «أمي توفيت.»

همس كأنه يحدث نفسه أكثر مما يحدثني: «ماذا؟ لا. لقد تحدثت معها... لم يمر وقت طويل على هذا.»

«كانت حادثة سيارة. في شهر مايو الفائت.» سردت الحقائق كما لو أزيل لاصق جروح، بنظافة، وبأقل انتباه ممكن لمعنى الكلام. شرحت له كيف تعطلت آلة تصنيع الثلج في المطعم في أثناء تقديم العشاء، وكيف استعاض النُدُل عن ذلك باستخدام موزع ثلج في أحد طوابق غرف النزلاء.

عندما اشتكى أحدهم من الضوضاء المستمرة، قررت أمي أن تقود السيارة إلى المدينة بنفسها لجلب صندوق مليء بالثلج. كان الطريق مظلمًا، وأشك أنها رأت الغزال قبل أن يصطدم بزجاج السيارة الأمامي.

أثار ذلك غضبي بشكل غير معقول، كيف أصرت على أداء المهام التي من السهل أن تكلفها لشخص آخر. في النهاية، قتلها تفانيها.

مسح ويل على وجهه، الذي أصبح أكثر شحوبًا، وقال: «هل أنتِ بخير؟ بالطبع لستِ بخير.» أجاب عن سؤاله بنفسه. «حقًا لم تكوني تعلمين بقدومي. أنتِ هنا لأنك فقدت والدتك».

مددتُ يديّ باسطة راحتيهما، إشارةً إلى حيرتي واندهاشي، وليس إظهارًا لمهاراتي الاستعراضية، وقلت: «أنا صاحبة هذا المكان الآن. إنها تركَته لي.» خفض ويل نظره محدقًا إليَّ، فأشحت بنظري بعيدًا. ما زالت تلاحقني تلك الأسابيع التي قضيتها في الاستيقاظ في منتصف

الليل والتقلُّب في سريري لساعات، والإرهاق الذي غزا عظامي طافحًا على جلدي.

قال بهدوء ورقة: «فيرن،» لف الخاتم في خنصره. كنت قد نسيت عادة لف الخاتم هذه. «أنا في غاية الأسف.»

طعنني اعتذاره في صدري كما يُطعَن المرء بسن فأس. ليس هذا ما أردت أن يعتذر عنه. ارتجفت شفتي السفلى.

مد يده نحو ذراعي، مرتجفةً أبعدت ذراعي عنه وقلت: «إياك.»

ناداني جيمي من أعلى الدرج: «فيرني؟ أنتِ بخير؟»

قلت: «أنا بخير.» وتحركت جانبًا لأفسح المجال لمجموعة متجهة نحو مبنى المنتجع.

تمنى جيمي للنزلاء ليلة سعيدة، مشيدًا بلذة كعكة السلطعون قبل أن يهبط درجتين في كل خطوة لينضم إلينا. جيمي ليس طويلًا مثل ويل، لكن لطالما كان مرتاحًا في جسده. يستخدمه كما لو كان عملاقًا. قال مضيقًا عينيه وهو يسلم ويل المفتاح: «نسيتَ مفتاحك يا سيد باكستر، وحقيبتك أيضًا، لكنني سأوصلهما إلى جناحك.»

نفش ويل نفسه ليصير أطول، وأخذ بطاقة المفتاح الممغنطة وقال: «أقدّر ذلك.»

سأل جيمي وهو يقلّب نظره بيننا: «إذًا يعرف أحدكما الآخر؟»

«لا.» قلتها في الوقت نفسه الذي أجاب فيه ويل بـ «نعم.»

خفض جيمي نظره لينظر إلى ساقيّ وقال: «هناك عدة إسعافات أولية في المكتب. دعيني أنظف هذا.»

قلت: «لا تقلق حيال هذا، حقًا يا جيمي، أنا بخير.»

لاحظتُ اللحظة المحددة التي أدرك فيها ويل الاسم. جفل بعينيه مرتين، وأغرقت الصدمة وجهه مثل فيضان وافد.

ركع جيمي أمامي ليفحص الجرح، فنظرت سريعًا إلى ويل كردّ فعل لا إرادي. لكنه يراقب جيمي، بيدين مثبتتين بجانبه.

سألني جيمي: «أنتِ متأكدة أنك بخير، فيرني؟» ثم رفع رأسه محدقًا إليَّ، مكملًا حديثه: «لم يعجبني هذا المنظر.»

كنت واقفة بين جيمي برينجل وويل باكستر، بقدمين حافيتين وركبتين مجروحتين، وبعد مرور أقل من شهرين على وفاة والدتي. قلت: «آه، أجل.»

قال جيمي: «لم أصدقك، ستأتين معي.» ثم نهض واقفًا مرة أخرى وقال: «لا يمكنك خداعي يا فيرني.» همس بها في أذني، لكنني متأكدة أن ويل باستطاعته سماعه.

لا يجب أن أشعر بالذنب، لكنني شعرت به. كرهت أنني شعرت بذلك.

تنحنح ويل وقال: «سأترككما تتصرفان في هذا الموضوع، ثم، أنا آسف، فيرن.» ونظر إليَّ مطولًا. اعتقدت أنه قد يقول شيئًا آخر، لكنه مضى في طريقه بعد ذلك.

فرقعت أولى الألعاب النارية في السماء بضجيج وخفقان. أضاءت قمم الأشجار. لكنني لم أنظر إلى الأعلى. حدقت إلى ويل وهو يسير مبتعدًا عني، مثلما فعل قبل عشر سنوات.

أنتِ وأنا بعد عام واحد، يا فيرن بروكبانكس. لا تخذليني.

هذا آخر شيء قاله.

4

14 يونيو، قبل عشر سنوات

دائمًا ما يُرخي الشّباب أجسادهم. يتكئون على الأبواب وتتدلى أجسادهم وتنحني على طاولات المطاعم. في الغالب، استخدمني جيمي مسندًا لذراعيه، يسند بكوعه إلى كتفي. أما ويل فقامته أكثر انتصابًا.

رسم جناح طائرة تحلق عند حافة الأفق، بينما تظاهرتُ أنا بقراءة مجلة *ذا جرِد*. مفكرتي على الطاولة، مفتوحة على قائمة بالأشياء التي أرغب في القيام بها، وأشياء أريد أن أراها وآكلها وأشربها قبل أن أعود إلى الوطن خلال أسبوع تقريبًا. لم أستفد كثيرًا من الإقامة في أكبر مدينة في كندا، وكل وقتي بين الدروس والواجبات المنزلية والعمل. أملتُ في العثور على فكرة أو اثنتين لا تكلفاني مالًا طائلًا لأضيفهما إلى قائمة أهدافي، لكنني حدقت إلى ظَهر ويل المستقيم وثبات قبضته على الفرشاة. وأكثر ما أثار انتباهي هو طريقته في صلب طوله. إنه ليس متراخيًا بالتأكيد.

قال ويل: «يمكنني الشعور بحُكمك عليَّ، فصوته عالٍ جدًّا.» نظر خلفه، تساقط شعره على عينيه، مالت شفتاه لأعلى. «هل تريدين تشغيل بعض الأغاني لنغطي على هذا الصوت؟»

إذًا، لقد كان طريفًا ومثيرًا. حملقت إليه، لكن ابتسامته اتسعت. لم أرَ ابتسامة أبهى من ابتسامته قط.

سألته: «هل تبتسم بكامل أسنانك هكذا دائمًا؟»

«هل أنتِ ودودٌ هكذا دائمًا؟»

«لأبعد حد.»

ضحك ضحكة خافتة، استطعت سماع صداها في معدتي، ناعمًا وحلوًا.

«لن أعتبرها إهانة إذًا.» أومأ برأسه إلى جهاز تشغيل الموسيقى على الطاولة وسأل: «موسيقى؟»

«بالتأكيد.»

عثر على نقطة ضعفي في وقت قياسي. فركت يدي في سروالي ليختفي أثر ورق الجرائد العالق عليها، وأخذت أبحث في قوائم الأغاني بأظفار زرقاء متشققة، محاولة تخمين ما الذي سيعجبه.

«لدي شريط فامباير ويكند الجديد، هل سمعته؟»

«هل هذا ما كنت تستمعين إليه عندما دخلتِ؟ رأيتك في الشارع قبل قليل.»

تنحنحتُ مدهوشة وقلت: «آه، لا. كانت هذه إحدى قوائم أغاني بيتر.»

«حبيبك؟»

قلت ساخرة: «بيتر صديق أمي المقرب. قوائم الأغاني شيء خاص بيننا.»

تصريح. أنا وبيتر نتواصل معًا عبر الموسيقى. سمَّت أمي ذلك «لغتنا السرية».

وفقًا لما قالته، لم يسمح بيتر لكثير من الناس بدخول حياته. هذه سمة مشتركة بيننا. وبحسب طريقتها في قول ذلك، وكانت تحب الحديث عن ذلك، شقت أمي طريقها إلى حياته قبل ولادتي بوقت طويل.

لم يكن يعرف كيف يتعامل مع ثرثرتي، ولم يعرف كيف يطلب مني أن أكف عن الحديث، لذلك، وبعد عام من العيش في المنزل، علق معي إلى الأبد. حاصرته، وهذه هي الطريقة التي أجبرته بها على أن يصبح صديقي.

كنت سعيدة لأنها فعلت ذلك. دون بيتر، لأمسينا أنا وأمي وحيدتين. لقد اشترى لي أول سماعة، ثم كل السماعات التي تلتها. كنا نتبادل الأغاني عبر البريد الإلكتروني، ثم أنقلها إلى جهاز تشغيل الموسيقى لدي.

سأل ويل وهو يقترب مني أكثر: «ما الأغاني الموجودة فيه؟» كان هناك دبوس صغير مثبت على ياقته، مكتوب عليه كلمة «*سريالي*».

أظهرت الشاشة أمامه وانحنى ينظر فيها، تدلت فرشته في الهواء وهو يقرأ عناوين الأغاني بصوت عالٍ؛

«Stop Your Crying، I'm Only Happy When It Rains,[1]Road to Nowhere.»

(1) ملحوظة المحررة: ترجمة عناوين الأغاني كالآتي: طريقٌ إلى لا مكان، لا أشعر بالسعادة إلَا عندما تمطر، كُفي عن البكاء.

خفض بصره ناظرًا إليّ، بعينين لامعتين، وقال: «أعتقد أنه يحاول أن يقول لك شيئًا.»

قلت وقد أعجبني انتباه ويل لذلك: «يحب بيتر التيمة. قال إنني بدوت متجهمة عندما تحدثنا معًا آخر مرة، وهذا ما أرسله إليَّ.»

«ما الذي جعلك متجهمة؟» هززت كتفيّ.

«شيء سري للغاية؟»

«ليس هذا من شأنك.»

حدق إليَّ ويل للحظة، عكست ابتسامته عدم يقينه، قال: «لنشغل هذه.»

انحنيت خلف المكتب ووصَّلت جهاز تشغيل الموسيقى بالسماعات. صدح صوت فيونا أبل في المقهى. رفعت رأسي فوجدت ويل يتفرج عليّ. تقلصت معدتي.

قال: « أحب هذه الأغنية. اسمها Every Single Night، أليس كذلك؟»

«حسنًا..»

إذًا، لقد كان طريفًا ومثيرًا ولديه ذائقة جيدة في الموسيقى. أيًّا يكن.

عاد ويل إلى الجدارية، وعدت أنا إلى مفكرتي.

سأل بعد بضع دقائق: «ماذا في المفكرة؟ هل أنتِ كاتبة؟»

ضممت ذراعيّ إلى صدري، لكنني لم أجِب.

«قصائد؟ خواطر يومية؟ خطة سرية للسيطرة على العالم؟»

«أنت فضولي قليلًا، هل تعلم ذلك؟»

أطلق ضحكة صاخبة وقال: « *قليلًا!*»

ألقى نظرة خلفه، حاولت النظر باستياء، لكنني ابتسمت مثلما لم أبتسم منذ شهور طويلة. لا يوجد عدد كبير من الأشخاص بإمكانهم أن يجعلوني أبتسم بهذا الشكل في شهر يونيو ذاك.

عندما انتهى ويل من رسم الطائرة، قفزت من مقعدي، مُعلنة أنني بحاجة إلى قهوة. «هل تريد فنجانًا؟»

«نعم، من فضلك. سيكون ذلك رائعًا.»

«ما طلبك؟»

«لاتيه. مُركَّز؟»

«لا مشكلة.»

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

تمنيتُ أن يطلب شيئًا ذا رغوة. سكبت حليبًا ساخنًا على قهوة ويل، ميَّلت الفنجان وحركت الإبريق في اتجاه واحد على السطح، ثم سحبته في الاتجاه الآخر. صدحت مقطوعة Spiritualized من المكبرات الصوتية. لو ازدحم المقهى، لكان شيئًا مثاليًّا. لأنني لو وقفتُ في مكاني خلف طاولة المشرب، لا أحد ينتبه لي وأنا هناك. ذلك شيء جيد، تقريبًا مثل التجول في شوارع المدينة.

قال ويل وهو ينظف يديه: «لقد انتهيت تقريبًا. سأتركها تجف قليلًا ثم أضع طبقة من الورنيش. لن يستغرق وضعها وقتًا طويلًا.»

وضعت الفنجان على طاولة وقلت: «هذا لك. هل تضيف السكر؟»

ابتسم ويل وقال: «ثلاثة؟ أنا عاشق للحلويات. إنها مشكلة.» ملابس ويل فضفاضة للغاية، لم يكن واضحًا ما يخفيه تحتها، ولكنني متأكدة أن هذا ليس مشكلة.

جلس بينما أزحت القماش الذي غطى ركن الحليب والسكر.

قلت: «تقول ثلاثة كما لو كنت تريد أربعة.» وضعت كيسًا إضافيًا من السكر وأداة التقليب الخشبية على الطاولة وجلست. نظر إليَّ ويل من خلف مشروبه، تعبير غريب ارتسم على وجهه.

كنت أرسم شكلًا على اللاتيه. أرسم لمعظم زبائني قلوبًا. قلوبًا كبيرة، قلوب صغيرة فوقها قلوب كبيرة، أو حلقات من القلوب. القلوب تجعلهم يشعرون بالتميز. لكنني لا أرسم لزبائني المفضلين قلوبًا.

قال ويل خافضًا صوته: «نبتة فيرن تيمنًا باسم فيرن.»[1]

أرسم ورقة السرخس عندما تنبثق الفرحة من الآخرين، أو إن بدوا تعساء، أو عندما يثنون على الموسيقى حينما أكون المسؤولة عن تشغيلها. في اليوم الذي تقدم فيه جوش لخطبة شون بملصقه، رسمت على مشروبه ورقتيْ سرخس، تتلاقى سيقانهما في المنتصف. أرسم ورقة سرخس لأشخاصي المفضلين. لم أدرك أنني رسمتُ واحدة لويل حتى انتهيت من صب الحليب.

قرَّبت السكر من ويل. «قهوتك تبرد.»

جفل، ثم أخذ أكياس السكر الأربعة.

قلت لويل بعدما تناول أول رشفة من قهوته: «سأعود إلى الوطن بعد حفل التخرج.» مررت أصابعي على الغلاف المصنوع من الجلد الأسود الناعم لمفكرتي. كانت هدية من أمي قبل ذهابي للدراسة، صفحاتها مغلفة بالجلد المطوي وفي منتصفه قفل للغلق. *مفكرة للكبار*

---

(1) فيرن هو اسم نبات السرّخس، يُشير ويل إلى تماثل اسم البطلة مع النبتة. (المترجمة).

لابنتي البالغة. أنا فخورٌ جداً بطريقتك في تغيير أمورك إلى الأفضل وبشكل إيجابي يا بيا.

«لدي كثير من الأشياء التي أريد القيام بها قبل المغادرة، لذا كتبت قائمة بها. لا شيء فيها مثير.»

قال ويل: «هذا يتوقف على ما كتبته في قائمتك.» تتبعت عيناي ابتسامة أخذت تتسع ببطء على وجهه، حتى وجدت ندبة صغيرة أسفل شفته.

قلت: «إنها عشوائية قليلًا. جزء منها طعام. هناك مطعم في منطقة المؤسسات الاقتصادية يصنع شوكولاتة ثمنها عشرون دولارًا. يبدو شيئًا غير ممتع، وأنا بالطبع مفلسة ولا أملك المال الكافي لإنفاق عشرين دولارًا على الحلوى، لكن، كيف مذاق شوكولاتة قيمتها عشرون دولارًا؟»

«ليس لدي أي فكرة.»

فتحت المفكرة، نظرت في القائمة وقلت: «هناك بعض الأحياء التي أود زيارتها: دستيلري ديستركت، وجنكشن. لم أزر حديقة هاي بارك. هل تصدق ذلك؟ لقد عشت هنا لمدة أربع سنوات.» توقفت عن الكلام ثم أردفت: «في أي جزء من المدينة نشأت؟»

توتر ويل قليلًا وقال: «بالقرب من حديقة هاي بارك.»

«لا تقل ذلك.»

رفع يديه وهو يضحك وقال: «إنها رائعة، خاصة عندما تزهر أشجار الكرز في الربيع. يجب أن تذهبي حقًّا.»

قذفته بقلمي وقلت: «لقد فاتني موسم تفتح الزهور.»

قال ويل وهو يقلّب أكياس السكر الفارغة بين يديه: «لطالما اعتقدت أن تورنتو وجهة مملة ما لم يكن لديك شخص محلي يرشدك. كل الأماكن الرائعة مخفيّة إلى حد ما. أين بيتك؟»

«موسكوكا، خارج هَنتسفيل.» موسكوكا هي منطقة كبيرة تقع على بحيرة شمال المدينة، وهي في الأساس قرية تمتاز بالأكواخ والمنازل الريفية.

«لا بد أن المكان مذهل هناك.»

حدقت إلى البركة البنية في فنجاني وقلت «إنها كذلك.»

«لكن...»

رفعت عيني لتلتقي عينيه.

كذبت: «لا يوجد لكن.»

حدق ويل إلى وجهي، ثم خفض بصره إلى أصابعي التي أخذت تخمش معصمي الأيسر.

قال: «إذًا، الحلوى باهظة الثمن، والحدائق العامة... وماذا أيضًا؟»

ذكرت أشياء أكثر إثارة للاهتمام.

سأل ويل: «برج سي إن؟ أليس هذا نوعًا من...» أكمل بابتسامة ساخرة، وعينين ترقصان: «البدائية؟»

قلت: «آه، فهمت. أنت شخص مختال.»

كنت على وشك أن أسأل ويل عن رأيه فيما يستحق أن يُرى، لكنني منعت نفسي. عادةً، لا أعتاد الناس بسرعة، لكنني أستمتع بالحديث مع ويل. أحب ابتسامته فعلًا، بطريقة مبالغ فيها قليلًا لفتاة

لديها حبيب. دفعت مقعدي للخلف، أخذت كوبينا والملعقتين إلى الحوض.

كان جيمي جزءًا من صيفي بقدر ما أتذكر. لكن في الصيف الذي بلغت فيه الثامنة عشر من عمري، لم أتوقع قدومه. تداولت ألسنة الناس في المنتجع قصص مغامراتي في سن المراهقة، وأصبحت أكره العمل في مكتب الاستقبال وتقديم الطعام في المطعم، حيث يعرف كثيرون من أنا وماذا حدث. وافقت والدتي على تكليفي بالقيام بمهام تجهيز القوارب لهذا الموسم. لذلك صرت أنا وجيمي في المرفأ، ننقل القوارب ونأخذ قياسات النزلاء لنعطيهم سترات النجاة والمجاديف.

يكبرني جيمي بثلاث سنوات، وظل يتغزل فيّ باستمرار. ليس ماهرًا في الغزل، لكنه كان دؤوبًا مثابرًا. بلون بشرته الخمري وشعره المموج المتشابك، لديه تلك الجاذبية المبتذلة التي يتمتع بها المتزلجون على الأمواج، لم أكرهها، وطريقته في التحدث ببطء جعلته يبدو إما حكيمًا وإما أبله، حسب الموقف. على عكس بعض موظفي بروكبانكس الآخرين، لم يعاملني جيمي بشكل مختلف بسبب اسم عائلتي أو أي من الأشياء الغبية التي فعلتها. عندما قبَّلته في أثناء تجمُّع الموظفين حول النار في عطلة نهاية الأسبوع الطويلة في شهر أغسطس، تفاجأت مثله تمامًا. كان ذلك قبل أربع سنوات، وأصبحنا معًا منذ ذلك الحين.

قال ويل بينما كنت أغسل الأكواب: «تريدين مساعدتي في وضع الورنيش؟ إذا فعلنا ذلك معًا، فستتمكن من الذهاب من هنا بسرعة.» ثم أخذ يحرّك خاتمه الذي ارتداه في إصبعه الصغير

«تريد أن أقوم بعملك بدلًا منك؟» لم أكن متأكدة أن العمل بجوار ويل فكرة جيدة.

سار حتى الطاولة وأخذ من خلفها منشفة صغيرة، ثم بدأ يجفف أحد الأكواب. قال ويل: «معي.» وتقلصت أحشائي.

شرح ويل كيف نضع الطلاء الشفاف بفرشاة عريضة بشكل متقاطع، بدءًا من أعلى الجدار متجهين نحو الأسفل. قال مؤكدًا لي: «من الصعب أن تخطئين في ذلك.»

سألته وأنا أطلي الجدار بالسائل اللامع: «لماذا تعيش في فانكوفر؟»

«انتقلت إلى هناك من أجل الدراسة. لقد تخرجت توًّا في جامعة إميلي كار.»

«هي جامعة للفنون، أليس كذلك؟»

«نعم، والتصميم أيضًا.»

أشرت بالفرشاة إلى الدبوس المثبت على ياقته وسألته: «سريالي، هل هذه هي طريقتك في الرسم؟»

«لا.» سحب ياقته كما لو أنه نسي وجود الدبوس، وقال: «أعتقد أنها دعابة، حيث إن عملي واقعيّ إلى حد ما. حبيبتي أعطتني هذا الدبوس.»

كلمة حبيبتي مثل إصبع نخر بين ضلوعي. جفلت. لم أستطع التحكم في ذلك.

«واقعي؟ كيف؟» سألته، محاولة التخفيف من لسعة الحسد التي شعرت بها. ليس من حقي أن أشعر بالغيرة، فأنا لديّ جيمي.

«أنا رسام توضيحي. في الغالب أرسم الكومِكس. وأجرب رسم الوجوه، لكن...»

«تجرب! أنا متأكدة أن كلمتيْ *أجرب وقليلًا* بينهما علاقة.»

ضحك ويل وقال: «بالتأكيد من السلالة نفسها.»

قلت بلهجتي المتغطرسة: «حسنًا، إذًا فأنت تجرب رسم الوجوه.»

قال ويل: «ما ألطفك! كان لدي قصة قصيرة مصوَّرة في صحيفة الجامعة، في الفصل الدراسي الماضي. حلمي هو تحويلها إلى رواية مصورة.»

«لديك رسوم الكومكس عن حياتك الشخصية؟»

رفع كتفًا واحدًا كما لو أن الأمر ليس مهمًّا وقال: «فِرد كانت مديرة القسم الفني في الصحيفة. كان لدي واسطة.»

«فِرد؟»

«حبيبتي.»

بالطبع حبيبته هي مديرة القسم الفني لصحيفة جامعة الفنون، ولها اسم مذهل غير مأخوذ من النباتات مثل فِرد.

انتهينا كلٌّ من جزئه، وانتقلنا للعمل على الجزء السفلي من الجدار.

علَّق ويل بعد فترة من العمل: «قلتِ إن قائمة الأغاني هي شيء خاص بينك وبين صديق والدتك.»

«بيتر. نعم، كنا نستمع إلى الموسيقى معًا منذ الصغر.»

اعتادت أمي أن تتهكم كلما ازداد حماسنا أمامها. *إن سمعت كلمة نشاز أو تناغم صوتي مرة أخرى الليلة، فسيتحتم عليكما إيجاد شخص آخر لتلعبا معه لعبة الورق.* لكن أعرف أنها لم تقصد هذا أبدًا.

«هذا مختلف. أعني، لطيف» وأضاف ويل: «أنا لا أعرف أصدقاء والديّ جيدًا. لا بد أنكِ ووالدتك تتعلق إحداكما بالأخرى بشدة.»

«أمي وأنا...» أصغيت إلى صوت فرشاة ويل وأنا أحاول فهم ماهية علاقتي بأمي. كانت علاقتنا متوترة طوال فترة مراهقتي، شعرتُ بالاستياء من عملها الذي لا ينتهي، ومن عدد المرات التي اضطررت لطبخ العشاء لنفسي. ثم قرأت يومياتها، وأصبحت مثل كُرَة إنسانية مدمرة. لكنني قضيت الأربع سنوات الماضية في الجامعة وأنا أُظهِر لها أنني مسؤولة. حصلت على شهادة إدارة أعمال، مثلها. كنا نتحدث كل يوم أحد. كنا نشاهد مسلسل The Good Wife ونحن معًا على الهاتف مشغلين مكبر الصوت، بينما أرتب الملابس وتبرد هي أظفارها. أليسيا فلوريك بطلتنا. «لن أقول إن إحدانا مرتبطة بالأخرى، لكننا قريبتان من ذلك.»

بدأت في الرسم مرة أخرى. لم يتوقف ويل لينظر إليّ، وتساءلت إذا كان يعرف أن هذا يسهّل عليّ الكلام. «بيتر ساعد في تربيتي. يقول إنه أشرف على تعليمي الموسيقي. وتقول أمي إنه كان تلقينًا أكثر مما هو إشراف.»

بيتر رئيس طهاة الحلويات في المنتجع. في طفولتي، كنت ذوّاقته الرسمية. لديه كرسي أبيض بلاستيكي في مطبخ الحلوى حتى أتمكن من الوقوف بجانبه، وأنا أغمس شوكتي في أنواع المعجنات والفطائر المختلفة، مع الموسيقى تصدح في المكان. كلما دخلت أمي، تذمرت لأنها تريده أن يخفض الصوت. *أو من الأفضل يا بيتر، أن تغلق هذا الهراء.* كرهت أمي موسيقانا.

«تعدِّين له قوائم أغان أيضًا؟»

«نحن نتبادل قوائم الأغاني. قاعدتنا الوحيدة هي أن يكون هناك تيمة.»

«هل تعدين واحدة الآن؟»

«نعم.» ضغطت الفرشاة على الحائط بقوة غير مبررة وأردفت: «قائمة أغاني تيمتها النهايات.»

ظل ويل هادئًا للحظة، ثم قال: «قد يعتبر بعض الناس هذا الوقت في حياتهم بمثابة بداية.»

قلت: «ربما يفعل بعض الناس ذلك.»

«ولكن ليس أنتِ.»

جفلت وأنا أنظر إلى الجداريّة، ثم التفتُّ إلى ويل. أدار وجهه نحوي.

قلت محاولة تغيير الموضوع: «ما أريد معرفته هو كيف جئت إلى هنا من بين جميع الأماكن.»

قال ويل: «آه، هذه مجرد محسوبية، والدتي صديقة المالِك. عندما ذكرت لها أنني قادم إلى هنا في زيارة، اقترحت عليّ أن أرسم عملًا فنيًّا.»

تخيلت أن لديه شغفًا، ووالدين يدعمانه، وحرية لأتبعه. «هذا مذهل. من الواضح أنها تؤمن بك حقًّا.»

نظر إليّ، وشيء ما في تلك النظرة، طريقته في التحديق إليَّ لمدة ثلاث ثوانٍ طوال، نخر في صدري. تلك أول مرة أراه دون أي لمحة مرح. بدا أكبر سنًّا. ربما حتى متعبًا قليلًا. رغبتي المُلحّة في إلقاء نكتة، لأرى ابتسامة تزهر على وجهه، غريبة في حدّتها.

«تقول إن رغبتي في الرسم في إطارات محددة والرسم على الجدران يكشفان عن تزمُّت داخلي فيّ، وأن لدي حالة مدمرة من السعي إلى الكمال ليس لها مكان في قلب الفنان.»

فتحت فمي في دهشة وسألته: «والدتك قالت هذا؟ أقصد، في وجهك؟»

«أكثر من مرة.»

مررت أنا وأمي بكثير من الأمور، لكنني لم أستطع تخيلها وهي تقول شيء بهذا البرود.

قال ويل كما لو كان ذلك تفسيرًا: «أمي فنانة، نحاتة.»

عبست وسألت: «هل جميع الفنانين قساة؟»

قال بهدوء: «بعضهم.» ثم تنحنح وأردف: «لكنني أحب الرسم في إطار محدد. تثيرني القيود.

فورًا شعرتُ بالحرارة، احترقت راحتا يدي كما لو أنني أخرجت بطاطس مشوية من الفرن.

سألني: «وأنت؟ ما الذي يحفزك لتستمري؟»

«أنا؟» استدرت إلى الجدار، وبعدها مال ويل نحوي وتحدث في أذني، مما أشعرني بالقشعريرة.

«اهدأي، فيرن بروكبانكس.»

شيء مُستبعَد.

«ما أحبه: القهوة، الموسيقى، المشي.» نظرت نظرة عجلى إلى ويل وأردفت: «أشياء بدائية.»

قال مصححًا: «أشياء أساسية. ما تخصصك؟»

قلت: «إدارة الأعمال؟» بدوت مترددة. شعرتُ أنني لست متأكدة، رغم أنني أوشكت على ارتداء القبعة ورداء التخرج.

نظر إليَّ نظرة سريعة ثم قال: «ليس هذا ما خمّنته.»

أردت أن أسأله ما الذي خمّنه، لكننا انتهينا من آخر جزء في الجدار.

قال مُعلنًا: «حسنًا، هذا كل شيء. سأنظف المكان وأزيح كل شيء بعيدًا، بعدها يمكننا المغادرة.» مد يده ليأخذ فرشاتي.

قلت أعرض عليه: «هل تريد مساعدة؟»

«لا، أنا بخير. لقد ورطتك بالفعل بالمشاركة في طلاء الورنيش.»

أومأتُ، خائبة الأمل. لملمت أشيائي وفتحت جهاز تشغيل الموسيقى، تاركة المقهى غارقًا في الصمت إلا من صوت ويل الذي يغسل فرشه في الخلف.

طفتُ حول الجدارية، متأملة اللوحة في أثناء انتظاري، انتقلت عيناي إلى الجزء الذي أنجزناه، حتى وقعت أخيرًا على الطائرة. ضاقت أنفاسي، خطوت مُقتربة أكثر. طلى ويل هذا الجزء بالورنيش، لذلك لم أنتبه له. لقد رسم سعفة سرخس صغيرة على ذيل الطائرة.

«رسمتِ لي سعفة سرخس على قهوة، لذلك رسمت لكِ واحدة على طائرة.»

التفتُّ إلى حيثُ صوت ويل. يجفف يديه بمنشفة. «رسمتَ ورقة سرخس على الجدار من أجلي.»

«على جزء متناهي الصغر من الجدار. هل أعجبتك؟»

أفضل ورقة سرخس رأيتها في حياتي. أردت أن أنحت في الجبس وأنتزعها وآخذها إلى البيت. تمتمت: «نعم.»

لقد أحببتها.

قال ويل، ملقيًا المنشفة على كتفه: «إذًا، لديّ فكرة. فكرت أنه بإمكاني أن أريكِ بعض أماكني المفضلة، إن كنتِ متفرغة. لا شيء بدائي، أعدك.»

أصابني خرس مؤقت.

قال عندما لم أرد: «سأعود إلى فانكوفر غدًا، لدي جدارية أخرى سأبدأ في رسمها يوم الاثنين، مقهى آخر. سأحب قضاء بعض الوقت متجولًا في أنحاء المدينة.»

قبل ساعات، كل ما أردته هو الانتشاء، الذهاب إلى المنزل، والاستلقاء على سريري، لكن فكرة رؤية تورنتو بعين ويل مثيرة. قضاء مزيد من الوقت مع ويل شيء مثير. وهذه مشكلة. جيمي هو الشخص الوحيد الذي يجب أن أرغب في قضاء الوقت معه.

سأل ويل: «إذًا؟ ما رأيك؟»

استطعت الشعور بدقات قلبي في كل مكان، في شفتيّ، وحلقي. رطمة ثقيلة تحذيرية احتلت جسدي بأكمله. نظرت خلفي وإلى الطائرة ومن ثم عدت لأنظر إلى ويل. كان يعبث بخاتمه.

قلت له: «سأحب ذلك.» لأنني، وأكثر من أي شيء، لا أريد إضاعة لحظة واحدة أخرى من وقتي المتبقي في المدينة.

5

الآن

أستيقظ في الساعة 2:02 صباحًا. دائمًا بعد الثانية. يجيء أَرَقي بدقة سويسرية. أحيانًا أفتح النافذة وأسمع نسيم الهواء يداعب فروع الأشجار وارتطام مياه البحيرة بالصخور، محاولة أن أغفو. في بعض الأحيان أشغل تطبيق التأمل وأحاول النوم بطريقة اليقظة الذهنيّة. وفي معظم الأحيان، أستلقي هنا في غرفة نومي منذ طفولتي، محاولة أن أفهم ما الذي سأفعله في حياتي بحق الجحيم.

الليلة، تقلَّبت على جنبي، ثم على ظهري، وبعدها على بطني، لكنني لم أستطع الشعور بالراحة، ليس عندما تتمحور أفكاري حول حقيقة وجود ويل باكستر هنا، وأن أمي قابلته. أمي *وظَّفت* ويل.

أعلم أن المنتجع ليس ممتلئًا كما ينبغي، لكن فكرة أن أمي تتنازل عن سُلطتها ولو قليلًا لاستشاري لهي فكرة غير متوقعة، إلا إذا كانت الأمور أسوأ بكثير مما تخيلت. لماذا طلبت أمي المساعدة من ويل بدلًا مني؟ احتمالية اعتقادها أنني غير قادرة على مساعدتها أزعجتني.

في النهاية، أرسلت رسالة نصية إلى وِتني.

مستيقظة؟

للأسف. كل شيء على ما يرام؟

هذه إحدى مميزات صديقتي المقربة، لديها طفل ذو خمسة أشهر. أوين هو الطفل الأكثر لطافة، لكنه مروّع عندما يتعلق الأمر بالنوم.

هل تتذكرين ويل باكستر؟

لم تقابله وِتني قط، وفي البداية، لم أخبرها كثيرًا. هي وجيمي صديقان مقربان، وخفت من عدم موافقتها. لكنني لم أستطع ألا أتكلم عن ويل.

ويل باكستر الذي كان منذ مليون سنة؟ ذلك الشخص الذي كنتِ مهووسة به؟

رددتُ، **ها ها.**

ماذا عنه؟

حجز هنا اليوم.

اهتز هاتفي بعد ثوانٍ.

عندما أجبت عن مكالمتها، قالت وِتني هامسة، وفي نبرتها حماس: «أخبريني بكل شيء.» لم يسعني سوى أن أضحك. شعرتُ بالتوتر يخفّ بالفعل.

أطلعت وِتني على المعلومات القليلة التي أعرفها.

«كيف يبدو؟»

قلت: «طويل القامة. أسمر.»

«ووسيم؟» إنها ماهرة في إظهار بهجتها، حتى وهي تهمس.

تبرَّمتُ قائلة: «لأقصى حد، وهو يقيم في كوخ رقم 20.»

يقع صفان من الأكواخ على شاطئ البحيرة. بنى جدي وجدتي منزلنا، وهو منزل صغير من الخشب والألواح له سقف مثلثي، يقع في نهاية الممر الشمالي، دُسَّ في الدغل، ويقابل مباشرة الكوخ رقم 20.

صاحت وتني: «إن هذا فعلًا أفضل. النزيل الغامض!»

تأوهتُ.

النزيل الغامض هي لعبة التجسس التي اخترعناها في الصيف الذي كان بين الصف السادس والسابع. فيها يتحتم علينا تعقب أحد نزلاء المنتجع بسرية، جامعين أكبر قدر ممكن من المعلومات عنه. كُنّا نسجل ما نجد في مُفكِّرة بسلك حلزوني، على غلافها كُتِبَ بالخط الأسود «سري للغاية». نظرًا إلى قربهم من المنزل، غالبًا ما كان نزلاء الكوخ رقم 20، الذين يجهلون ما نفعله، هم هدفنا المنشود. إذا ظهرت وتني على عتبة بابي في الصباح مرتدية معطفًا طويلًا وتحمل نظارتين معظّمتين، فلن أندهش.

قلت: «على أي حال، من المفترض أن أعود إلى العمل في فِلتر الأسبوع المقبل، لكن...»

«لا يمكنك المغادرة بعد. يجب ألا تغادري على الإطلاق.» لم تُخفِ وتني رغبتها في عودتي إلى العيش في الوطن بشكل دائم. لقد ذهبَت لتحصل على دبلوم في صحة الفم والأسنان، وعادت إلى هَنتسفيل بعد ذلك. «علاوة على ذلك، أنا متأكدة أنهم سيتمكنون من العيش دونك لفترة أطول قليلًا. لا أقصد إهانة.»

عادةً ما أحتج -دارت بيننا محادثات مثل هذه من قبل- لكن الليلة، أعرف أنها على حق. عدت إلى شقتي في تورونتو مرة واحدة من قبل، فقط لأتأكد من عدم وجود تجارب علمية تنمو في الثلاجة، ولكي أطلب من جارتي جمع البريد الذي يأتيني. اشتُقت لأغراضي. لكن يجب أن أظل هنا على الأقل حتى أعرف ما الذي يحدث في المنتجع. أول شيء سأفعله غدًا هو الاتصال بالمحاسب، وبعدها، أحتاج إلى التحدث إلى ويل.

أخبرت وتني: «تحدثت مع فيليب أمس. قال لي أن آخذ كل الوقت الذي أحتاج إليه.»

فيليب كان حبيبي، هذا قبل أن أضبطه مع مصممة القبعات التي تعمل في المحل المجاور لفرعنا الأصلي. كان يجب أن أعرف أن شيئًا ما يحدث عندما بدأ يرتدي قبعات الفيدورا. درس مستفاد: مواعدة مديرك دائمًا فكرة سيئة.

انفصلنا قبل عامين، قررت الابتعاد عن الرجال منذ ذلك الحين. تجاهلوا ما قلته توًّا، لقد عدت للعلاقات الجسدية مرة أخرى بعد خمسة أشهر مروا طوالًا جدًّا، علاقات لست مهتمة بها. كل هذا الوقت والطاقة والسعي للتراضي، من أجل ماذا؟ لكي تتراكم في شقتي جوارب رجالية قذرة متبوعة بخيبة أمل لعدم نجاح الأمور؟ لا، شكرًا.

قالت وتني: «لأخبرته أن يأخذ البسكويت ويضعه في مؤخرته.»

«نحن لا نقدم البسكويت.»

«حسنًا، أيًّا كان طعام كرات الطاقة النباتية المُقرف الذي تقدمونه. وَجَب عليكِ ترك هذه الوظيفة منذ وقت طويل.»

لن أخوض في هذا الموضوع معها مرة أخرى. بصرف النظر عن فيليب، أنا أحب ما أفعله. بدأت العمل في فِلتر عندما كان هناك فرع واحد فقط. الآن نحن إمبراطورية إسبريسو صغيرة تقع في غرب المدينة، وقد ساعدتُ في وصولنا إلى ذلك. لدي مكتب في الطابق الثاني من فرع المقهى الأصلي، وعندما يشتد الزحام، أنزل وأساعد من خلف طاولة الاستقبال. صوت آلة طحن القهوة، الضغط على القهوة في المصفى، وطنين البخار، أشياء أجدها مُلطِّفة. طحن. ضغط. طنين. مرارًا وتكرارًا. أشعر برضا فريد عندما أشاهد الصفّ يتضاءل. نُفِّذَت المهمة، الفوضى تحت السيطرة. هذا شيء مثالي، باستثناء حقيقة أنني أشارك فيليب في المكتب. وأنها إمبراطوريته هو، ليست ملكي.

لطالما أردت مكانًا خاصًّا لي. حلمي كالآتي: تجديد متجر البقالة العائلي الصغير في الحي، وهو ما لن يبيعه أصحابه أبدًا. لكنني أتخيل أن هذا يحدث، وأنهم يبيعونه. إنه مبنى من الطوب الأحمر ذو نوافذ كبيرة في زاوية شارع سكني كثيف الأشجار. أطلي الجدران بأكثر درجة غامقة من الأزرق وأُتخم المكان بالأثاث الذي أشتريه من أسواق الأثاث العتيق. الكرسي البرتقالي المخملي مكانه في الزاوية بجوار النافذة. أعلق لوحة إعلانات للزبائن وأعثر على مكتبة عتيقة رائعة. أملأها بكتب الطهي. وبدلًا من كتب نجيلا لوسون، سأقتني الكتب التي تحتوي على وصفات للمعجنات والمخبوزات والفطائر؛

كتاب The Violet Bakery Cookbook، Maida Heatter's Book of Great Cookies، New World Sourdough، و The Complete Canadian Living Baking Book. هذه الكتب من أجل بيتر. أما رف أجاثا كريستي فمن أجل أمي. أقضي أسابيع في اختيار موسيقى يوم الافتتاح، أغانٍ تعبر عن الانتصار والفرح. أول أغنية أعزفها هي «Feeling Good» لنينا سيمون. مقهاي مريح ودافئ ولا يشبه أبدًا الجو البارد الإسكندنافي في مقهى فِلتر. سأسميه «آل فيرن».

كان لدي على الأقل سنة أخرى للتوفير قبل أن أتمكن من تغطية تكاليف البدء والبحث عن مكان للإيجار، لكن الآن كل شيء تغير. إن بعت المنتجع، فسأتمكن من شراء محل تجاري ودفع ثمنه بالكامل. يمكنني تحويل مقهى آل فيرن إلى واقع، باستثناء موقعه الذي في خيالي.

لكن التخلي عن بروكبانكس من أجل تمويل حلمي لا يريحني. هذا المنتجع لدى العائلة منذ أكثر من خمسين عامًا. إنه عمل أمي طوال حياتها. إنه وطن.

أجهش أوين في البكاء وأخذت وتني تسب، ثم قالت: «اعتقدت أنه غفا، يجب أن أذهب، عزيزتي.»

تذمَّرتُ.

«آسفة، آسفة. خرج الكلام مني دون تفكير. سأتصل بك غدًا.» وعندما أدركت أن المحادثة جرت في اتجاه واحد سألتها: «وماذا عنكِ؟ هل أنتِ بخير؟»

«نعم؟ أقصد، بخير بقدر ما يمكن لبقرة حلوب معتمَدة أن تعمل يوميًّا، وبقسط من النوم يتراوح بين القليل والعدم.»

«آسفة. فهمت الجزء المتعلق بعدم النوم، لكن لم أفهم موضوع الحليب. أنتِ بطلة.»

«هل تعرفين ما الغريب؟ أنني اشتقت لكام. أراه أكثر حتى من الأيام التي كنت أعمل فيها، ولكن كل شيء في إطار خدمة الطفل، تفهمين قصدي؟»

«ما رأيك إن أتيت لأجلس مع طفلك ذات مساء؟ يمكنني الاعتناء بأوين، بينما تخرجان معًا.»

قالت: «ممكن، تركت أوين مع والدتي ذات ظهيرة، ولم تسِر الأمور بشكل جيد.»

«فقط فكري في الأمر. سآخذه وقتما شئتِ.»

«هل هذا يعني أنك ستبقين هنا؟»

«محاولة جيدة. تصبحين على خير يا وِت.»

«ليلة سعيدة، عزيزتي.»

أغلقت الهاتف قبل أن أوبّخها.

جرجرت نفسي من على السرير ونزلت بتراخي إلى المطبخ لأشرب كأسًا من الماء.

حينما مددت يدي نحو مكبس النور، لاحظت توهّجًا أصفر دافئًا آتيًا من بين الأشجار. الضوء المشتعل كان قادمًا من الكوخ رقم 20.

تسللت نحو النافذة. لم يغلق ويل الستائر، تمكنت من رؤية ما بداخل غرفة المعيشة بوضوح، لكنني رأيت الموقد وطاولة القهوة

بصعوبة. ميَّلت جسدي على حوض الغسيل كي أرى بوضوح أكثر وضحكت على نفسي. كان هذا واحدًا من الأماكن التي اعتدت أنا ووتني التجسس من خلالها. رجعت للخلف.

عندما ظهر شخص بغتة، تفاجأت فصدرت مني صرخة.

رفع ويل يده، لكنني لم أقلّد الحركة. إنه يعلم أن هذا منزلي، أدركت ذلك. كما يعلم أنني أنا في النافذة. وقفنا هناك، ينظر كل منا إلى هيئة الآخر.

خرجت أنفاسي متلاحقة وبضيق. حاولت أن أقرر ما إن كان عليَّ التوجه إلى هناك والمطالبة بالإجابات، لكنه تحرك خارج مجال رؤيتي وصار كوخه مظلمًا.

عدت إلى السرير، دق قلبي كما لو أنني ركضت فوق درج.

مر وقت طويل منذ أبقتني تساؤلاتي عما حدث لويل باكستر مستيقظة في الليل.

لماذا لم يقابلني كما خططنا قبل تسع سنوات؟ لماذا تركني أنتظر وأتساءل؟

قلبتُ الوسادة على الجهة الأخرى، ضاغطة خدي إلى الجانب البارد، أسئلة جديدة تمامًا دارت في ذهني.

لماذا، بعد كل هذا الوقت، جاء هنا في الصيف الماضي؟ كيف صار يتحدث مع والدتي؟ هل كان يأمل في رؤيتي؟ هذه الفكرة الأخيرة هي التي جعلتني أستلقي مستيقظة حتى بدأت طيور القرقف في الزقزقة خارج نافذتي.

لا بد أنني غفوت مرة أخرى في الصباح الباكر، لأنني حلمت أنني أقود سيارة أمي على الطريق السريع. كان الوقت ليلًا ولم أرَ الغزالة حتى قفزت أمامي. لها ذيل أبيض ضخم وبهي. لم يكن لدي وقت لتفاديها، ومع ذلك لم يصيبني أذى. تدحرجت من المقعد الأمامي لأرى إذا أُصيبَت، لكنها ليست الغزالة المستلقية النازفة على الطريق، إنه ويل.

استيقظت فزعة. طلع الصباح، انضمت لطيور القرقف، التي تترنم بأغاني الفجر، طيور الحسون، والسنونو، ونعيق الغراب.

ظللت مرتبكة حتى بعدما اغتسلت وأزلت الشعر الزائد ووضعت صابون الشعر على رأسي. لم أحلم بالحادث من قبل. معظم أحلامي عن أمي هي استرجاع للماضي بالصورة المشوهة نفسها. أدخل المطبخ وأجد أمي ترتدي المئزر، ذلك الذي نُقِشَ عليه تفاح أحمر. تخلط عجينة الفطائر، مما يعني أن اليوم لا بد أن يكون الأحد. إجازة أمي في أيام الآحاد، وأحيانًا نظل بملابس النوم حتى الظهيرة. تترك لي إنهاء خلط العجينة وهي تذوِّب الزبدة في المقلاة. تحاول أن تُعد الفطيرة على شكل سعفة سرخس، لكنها تبدو فطيرة عادية. تأمرني بترتيب المائدة، فأضع أدوات المائدة وزجاجة من شراب القيقب، ثم أجلس وأنتظرها حتى تنتهي. لكن أمي لا تتوقف عن الطهي. تعد فطائر تلو الأخرى، ولا أصل أبدًا في الحلم إلى الجزء الذي تجلس فيه ونأكل معًا.

ألقيت برداء الحمام على جسدي وهبطت الدرج بخطوات ثقيلة. لم تكن أمي في المطبخ مرتدية مئزرها الذي نقش عليه تفاح أحمر.

اتصلت بريجي، محاسب المنتجع منذ قديم الأزل، قبل أن أحضر القهوة. ترك لي رسائل بعد حوالي أسبوع من الجنازة، هي حَثّ لطيف

بأنه موجود وأننا يجب أن نلتقي في أقرب وقت ممكن. أجاب من الرنة الثانية ووافق على اللقاء، رغم أن اليوم أحد.

وضعت قرصًا أخضر في ماكينة القهوة. هي من تلك الأجهزة المخصصة للكبسولات، مثل تلك الموجودة في غرف النزلاء. راقبت السائل البني وهو يتدفق، في غاية السخونة والخِفَّة، فكرت في طبع أمي التي لم تجلب لنفسها ماكينة قهوة جيدة. لم تهتم حتى بتجديد ديكور المنزل. اعتبرت هذا البيت مكانًا للمكوث المؤقت. إنه لا يزال على الحال ذاته منذ عاش فيه جدي وجدتي. الغرفة الزجاجية فقط هي التي تجددت. رغم ذلك، لم أعد أقضي وقتًا فيها. ما زلت غير مرتاحة بالذكريات التي تؤججها.

على الرغم من عدم اهتمامها بديكور المنزل، فبصمة أمي موجودة في كل مكان، لمحات طفيفة عن طبيعتها بعيدًا عن عملها. الصور بالأبيض والأسود المثبَّتة في إطارات، جلبتها من رحلتها إلى أوروبا قبل ولادتي. رفوف المكتبة الزاخرة بروايات لويز بيني وروايات الغموض والإثارة ذات الأغلفة الورقية، وكلاسيكيات القرن التاسع عشر البريطانية.

أوشكتُ على أخذ أول رشفة من القهوة، دون الشعور بأي متعة، عندما سمعت طرقًا على الباب. استطعت معرفة الطارق من إيقاع الطقطقة. منذ الأزل وبيتر لديه طريقة الطرق نفسها.

خطوت إلى المدخل الخشبي، غير مهتمة بأنني لا أزال مرتدية رداء الحمام. عرفت بيتر طوال حياتي. وظفه جدي وجدتي بعد تخرجه في مدرسة

الطهي مباشرة، تركوه يعيش في المنزل خلال السنة الأولى من عمله هنا. غرفتي كانت غرفته. كانت أمي في المدرسة الثانوية في ذلك الوقت.

لا شيء في بيتر يوحي بأنه خباز، باستثناء ربما النعومة التي اكتسبها بمرور الوقت. كل شيء آخر، الأصابع العريضة، لحيته التي جمعت بين الأسود والأبيض، نزعته لارتداء الملابس المنقوشة بالمربعات الصغيرة، إعراضه عن الإظهار الفاضح لمشاعره، كلها أشياء توحي بأنه حطَّاب متقاعد، وليس صانع حلوى البنفسج المغطاة بالسكر وأستاذ في عجينة الساوردو.

سألني مُرحبًّا بي: «هل أدخلكِ جيمي إلى غرفة الطعام الليلة الماضية؟» صوته لطيف، من النوع الذي يجعلك تقترب وتسمع، لكن انتباهي كان مركزًا على صناديق الأحذية الثلاثة التي حملها في يده. واحد برتقالي اللون، وواحدٌ أحمر، والأخير أسود. لم أرهم منذ سنوات، لكنني أعرف بالضبط ما بداخلهم. نظرت إلى بيتر، بعدم استقرار.

قلت: «من أين حصلت عليهم؟ اعتقدت أنها رمتهم.» إنها الأشياء التي لطالما شعرت بالذنب تجاهها. الحريق كان خطأي، ليس خطأها.

قال: «أعطتهم لي لأحتفظ بهم. استنتجت أنها تريدك أن تحتفظي بهم.»

«لست متأكدة من ذلك.»

وضع بيتر الصناديق على الأريكة الصغيرة التي تتسع لشخصين المصنوعة من الخيزران وقال: «إنهم ينتمون إليكِ. قد ترغبين في قراءتهم مرة أخرى يومًا ما. أنت الآن أكبر سنًّا، أكبر من ماجي عندما كتبتهم.»

كان بإمكاني المجادلة، لكنني تعلمت منذ زمن طويل أن بيتر دائمًا على حق. «هل قرأتهم؟»

«لا. اعتقدت أنها خاصة وأنها ستحتوي على أشياء لا أرغب في معرفتها».

أومأتُ. لطالما تمنيت ألا أقرأهم أبدًا.

أردف: «فكرت في الأمر، اعتقدت أن ذلك وكأنني أسمعها تتحدث مرة أخرى.»

«لماذا لم تفعل؟»

«لقتلتني ماجي. لم تكن لترغب في أن أعرف ما دار في ذهنها آنذاك.»

«لكنكما كنتما صديقين مقربين.» قلت ذلك رغم أنني أعرف أن الأسرار هي جوهَر الصداقات المقربة.

«في بعض الأحيان.» ماذا يعني بأنه وأمي كانا صديقين مقربين في *بعض الأحيان*؟ كان على وشك أن يقول شيئًا آخر، لكن بعدها هز رأسه.

قال: «يجب أن أذهب.»

رأيت خلفه عربة الجولف وهي تتوقف بجوار كوخ ويل. في المنتجع مجموعة من العربات القليلة التي توصل الأمتعة وما يتعلق

بخدمة الغرف. زودت أمي مقاعدها قبل سنوات بأغطية مخططة بالأخضر الزاهي والأبيض. هناك شق في هذه العربة. لاحظت ذلك الأسبوع الماضي. يجب أن تكون جميع أغطية العربات قد استُبدِلَت قبل عدة مواسم. رأيت امرأة في ريعان شبابها ترتدي قميصًا أخضر على طراز بولو، يحمل شعار بروكبانكس، وسروالًا باللون الكاكي، تأخذ صينية مغطاة بغطاء يشبه القبة الفضية من المقعد الخلفي.

سألت بيتر قبل أن يغادر: «هل ذكَرَت لكَ أمي أنها ستوظف استشاريًّا؟»

«ذكرت أنها ستُحضر شخصًا منذ فترة طويلة، نعم. نسيتُ بعد كل ما حدث.» عادةً ما تكون ذاكرة بيتر قوية، لكنه ليس على طبيعته هذه الأيام. إنه في غاية الهدوء، لست متأكدة أن أحدًا غيري سيلاحظ ذلك، لكن ثمة تغيُّر طفيف فيه. إن زرته في مطبخ الحلويات، لا أسمع موسيقى تُعزَف، بل هدوءًا غريبًا. لم يعد لديه الحس الساخر في الدعابة، كأنه فقده مع رحيلها.

قال بيتر: «قالت ماجي إن مؤهلاته أعلى من المطلوب، أعتقد أنها كانت في غاية الرضا بالاتفاق الذي توصلا إليه.»

ربت بيتر على كتفي قبل ذهابه. راقبته وهو يتجه إلى الممشى، ثم التفتُّ لأنظر إلى كوخ رقم 20.

بقبضة يدي، طرقت على باب ويل، وتنفست بهدوء وبانتظام لتهدأ ضربات قلبي. أخذني ويل على حين غرة الليلة الماضية، لكنني اليوم أحاول أن أبقى على تواصل روحي بأمي. سأتحلى بسلوكها.

الساعة تخطَّت التاسعة صباحًا، لكن من الصعب معرفة ما إذا كان هناك أي حركة داخل كوخ ويل. إنه كوخ بهي مثل صورة مرسومة على بطاقة بريدية، وكذلك الأكواخ الأخرى. واجهته من الخشب، تعتليها مظلات خضراء داكنة. وقفت في الخلف، حيث توجد سقيفة مغطاة تطل على الأشجار والممر المكسو بالحصى الذي يوصِل إلى المبنى الرئيس للمنتجع والشاطئ. ألصقت أنفي بالنافذة، لكنني لم أستطع رؤية ما إذا كان هناك ضوء مشتعل في الداخل.

طرقت الباب مرة أخرى، انتظرت لبضع ثوانٍ. لا استجابة. عندما هممت لأهبط الدرج الخشبي سمعت صوته.

«فيرن؟» نادى اسمي بنبرة صوته الخشنة. بعدما غادر بيتر هذا الصباح، وبينما كنت أصفف شعري القصير ليصير مرتبًا أكثر، وأضع خطة، شغلت قائمة أغاني «أنتِ تستطيعين» ورفعت الصوت. دعوت ويل ليشرب معي القهوة. سألته عن نطاق العمل الذي اتفق عليه مع أمي. تصرفتُ برسمية ومهنية، دون ذكر التسع سنوات التي مضت، ولا العشر سنوات التي مضت. لكن بمجرد أن نظرت إليه، تمزقت الخطة إلى شظايا وتناثرت في الرياح.

ارتدى ويل ملابس رياضية وترك شعره أشعث، كما لو أنه ارتدى قميصه القطني توًا. لحيته الخفيفة بدت كالظل على وجهه. أخذ يحدق إليَّ كما لو أن عينيه تحاولان اعتياد ضوء النهار. لأنهما فعلًا كذلك. من الواضح أن ويل كان نائمًا.

مرر أصابعه في شعره، فلمحت خيال وشم على ذراعه. قفز قلبي في صدري. تابعتُ يده وهي تنتقل من رأسه إلى جواره، حيث دسسها في قعر جيبه. جف حلقي.

جفلتُ وقلت: «أنا آسفة، ظننت أنك ستكون مستيقظًا بالفعل».

«لم أَنم جيِّدًا الليلة الماضية.» تعبير وجهه غامض مثل الطلسم.

«آه» قلتها كأنني لم أكن واقفة أمام النافذة المطلة على جناحه في الثانية صباحًا. «هل ذلك بسبب السرير؟ من المفترض أن مرتبة السرير جيدة».

قال ويل: «ليس بسبب السرير.»

مرت لحظة صمت. اتَّقَدَت شرارة في صدري، كشمعة في منزل مظلم. سرعان ما أخمدتها، ثم دفعت نفسي للعودة إلى رشدي.

«يجب أن نتحدث.» ثم أشرت إلى الوراء وأردفت: «سأحضر القهوة. تقابلني عند مدخل بيتي الخشبي عندما تكون جاهزًا؟»

رمى ويل نظرة إلى المنزل الذي نشأت فيه ثم قال: «سأكون هناك خلال عشر دقائق.»

«القهوة فظيعة، مرحبًا بك.» قلتها وأنا أناول ويل كوب قهوة وأجلس أمامه على الأريكة الصغيرة المصنوعة من الخيزران. ملأ جسده الكرسي الخوصي الصغير. مشَّط شعره وبدَّل ملابسه مرتديًا بنطالًا مناسبًا وقميصًا أبيض اللون، قد شمَّر أكمامه، وترك زرّه الأول مفتوحًا.

أخذ رشفة من القهوة وجفل.

«أخبرتك بذلك.»

قال ويل: «لا، إنها رائعة. خفيفة، لكن لذيذة. شكرًا لك.»

أخذت رشفة من قهوتي فوجدتها مريعة. قلت: «لا أعرف ما هذا، لكن لا أعتقد أن بإمكانك اعتبارها قهوة. كأنها إيحاء بالقهوة أكثر.»

همهم قائلًا: «بها كثير من الماء.»

ابتسمت رغم عدم رغبتي في هذا. لا أريد أن أشعر بدفء زائد تجاه ويل. أُفضِّل ألا أشعر بأي شيء تجاهه على الإطلاق.

أخذ ويل رشفة أخرى وقال: «أضفتِ إليها السكَّر.»

كنت أجرب حظي. بعض الناس يغيرون طريقة التفنن في تحضير قهوتهم، لكن أن أضيف أربعة ملاعق من السكر مثل مدمنة سكر؟ لقد أفرطت في تحلية قهوة ويل، التي تعتبر في الأساس شرابًا سكريًا محروقًا. لا يمكنني معرفة ما إن كان راضيًا أم متفاجئًا أم أنه يوصِل إليَّ رسالة ببساطة. وجهه خالٍ من أي تعابير مثل لوحة بيضاء لم يمسها أحد.

تجاوزت تعليقه وسألته: «ما الذي جعل أمي توظفك؟» *دونًا عن جميع البشر*، لست بحاجة إلى إضافتها إلى السؤال.

مسح ويل على قميصه يسوِّيه وقال: «تزوج صديق لي هنا الصيف الماضي. فكرت في عدم القدوم، لكن... بقيت في المنتجع لمدة أسبوع، تناولت الطعام في المطعم كل ليلة، وتحدثت مع والدتك مرات قليلة. كانت هنا في كل مكان، كما لو كان هناك اثنان منها.»

أغمضت عيني لثانيتين، مُدلكة صدري. من المؤلم أنها ليست هنا، وأنه يستطيع وصفها ببراعة.

قال بهدوء: «أنا آسف.»

أومأتُ، ثم استغرقت لحظة لأتمالك نفسي. دقق ويل في وجهي قبل أن يسألني: «ماذا كنتِ تقولين؟ شركتي متخصصة في التسويق وتجديد هوية العلامات التجارية، لكنني ضعيف أمام تحسين وضع

الشركات التي تواجه صعوبات، ومساعدتهم على التجديد، وخفض التكاليف، وإعادة هيكلة إستراتيجيات النمو لديهم، وكل ما يحتاجون إليه، فعلًا.»

لا أعرف ما الاحتمال الأكثر استبعادًا: أن المنتجع ربما يكون في ورطة حقيقية؟ أم أن ويل من الأشخاص الذين يتحدثون عن إعادة *هيكلة إستراتيجيات النمو*؟ صوته رسمي، كما لو أنه يلقي حديثًا تدرب عليه من قبل.

أخذ رشفة من القهوة، بينما حاولت ألا أحدق إلى فمه وفي الندبة أسفله.

قال ويل: «كان لدى والدتك كثير من الأسئلة عندما عرفت بما أفعله. عرضت عليها أن نشرب «القهوة» معًا، وأخبرتني عن بعض التحديات التي تواجهها. قدمت لها بعض الاقتراحات. بعد أن غادرت، تراسلنا عبر البريد الإلكتروني مرتين، ثم عرضت عليّ عرضًا بعد بضعة أشهر. إقامة أربعة أسابيع هذا الصيف في أحد الأكواخ مقابل مساعدتها.»

«أربعة أسابيع؟» ظهرت الدهشة في صوتي.

«هذا صحيح. أرادت والدتك أن أُبقي على عملي سريًّا، والكوخ رقم 20 هو الأقرب إلى المنزل.»

أخذت أحسب حساباتي. إقامة لمدة شهر ليست بالشيء الرخيص، لكنني توقعت، من البدلة التي ارتداها ويل أمس، أن أجره أعلى بكثير.

لا بد أن ويل رأى علامات الحيرة على وجهي، لأنه أضاف: «كان أساس الاتفاق خصمًا كبيرًا مقابل خدماتي.»

«ولكن لماذا؟ إذا كنت في أوج نجاحك، يجب ألا يكون يتناقص عدد عملائك. ماذا ستستفيد من ذلك؟»

هز ويل كتفيه ونظر إلى كوخه. امتدت البحيرة وراءه، تلألأت من خلف الأشجار. قال: «أحب هذا المكان.»

لا يمكن أن يكون هذا هو السبب الوحيد، أليس كذلك؟ حتى لو لم أعُد إلى المنتجع، لا بد أنه كان يعلم أنني سأعرف بشأن عمله مع والدتي وإقامته هنا شهرًا.

سألني ويل، ملتفتًا إليّ، بصوتٍ خرج أنعَم: «كيف تتمالكين نفسك؟ لا بد أنه شيء صعب. أنتِ لم تريدي ذلك أبدًا.»

عندما كنت مستلقية على سريري الليلة الماضية لا أستطيع النوم، قلت لنفسي إنني لست الشخص نفسه الذي كنته في أوائل العشرينيات من عمري، ومن المؤكد تقريبًا أن ويل أيضًا ليس هو الشخص نفسه. لكن عندما تلتقي أعيننا، أشعُر وكأن ثقبًا أسوَد يبلعني.

أخبرته: «لا، لم أُرِد ذلك. لكن ها نحن هنا.» ويل باكستر وأنا، في منتجع بروكبانكس.

غمغم: «ها نحن هنا.»

للحظة أفَلَت سريعًا، تخيلتُ نفسي ساندة رأسي إلى كتفه، شاعرة برجفة صوته على خدي، وهو يخبرني أن كل شيء سيكون على ما يرام. إنها بالضبط الأفكار التي عليّ تجنُّبها. لن أسقط مرة أخرى في

دوامة ويل باكستر. لا يزال هناك أثر كدمة بنفسجية على قلبي من المرة السابقة.

والآن، أشعر كأنها جديدة مثلما كانت قبل تسع سنوات. أشعُر أنني ضعيفة، مُتلَفة. ولا أعرف هل ذلك بسبب الطيبة في صوت ويل، أم لأنه موجود هنا وأمي غير موجودة، أم أن أسابيع الأرق والسهاد حلَّت عليّ أخيرًا.

تمكنت من لفظ الكلام بصعوبة: «كان من المفترض أن نأتي إلى هنا منذ وقت طويل.» عاد ويل لينظر إلى عينيّ اللتين تَخِزهما أدمُع أرفُض ذَرفها. «كان بإمكانك رؤية كل هذا قبل الصيف الماضي.»

«أعرف.»

تبادلنا النظرات، ضامّة كوب القهوة بكلتا يديّ لأمنعهما من الارتعاش.

«لماذا لم تفعل؟» شَخَصَ ببصره بعيدًا، بفكٍّ مُطبَق.

سألته: «هل نسيت؟» ليست هذه هي المرة الأولى التي أتساءل فيها إن كنتُ قد صرت ذكرى بعيدة بمجرد أن تركني ويل.

نظر في عينيّ مرة أخرى وقال: «لم أنسَ، فيرن» بدا اسمي خشنًا عندما نطق به لسانه. عندما تحدث مرة أخرى، أصبح صوته منخفضًا، أجشّ، خاليًا من تحفّظه الرسمي. «لم يكُن ليُعجبك الشخص الذي كنته وقتها على أي حال.»

جفلتُ مدهوشة. لم يكُن هذا ما توقعت أن يقوله.

نظرة ويل مظلمة، مُحمَّلة باعتذار لم ينطق به. كدتُ أن أطالبه بمزيد من التفاصيل عندما اهتز هاتفي. ظهر اسم جيمي على الشاشة، فتجاهلت المكالمة، لكن ليس قبل أن يرى ويل ذلك.

تلاقت أعيننا. ثم نهض ويل عن مقعده، مُمررًا يده في شعره، قال: «أخذتُ من وقتك يوم العطلة ما فيه الكفاية.» استعادت اللهجة الرسمية مكانها بقوة.

اتجه هابطًا الدرج قبل أن يتسنى لي الرد، قبل أن أتمكن من طرح واحد من التساؤلات الكثيرة التي تدور في ذهني.

لم يكن ليُعجبك الشخص الذي كنته وقتها على أي حال.

لكن بعد ذلك، استدار ويل وقال: «أودُّ أن أساعد. فكري في الأمر. تعرفين أين تجدينني إن احتجتِ إليّ.»

شاهدته سائرًا نحو كوخه، متمنية ألا أحتاج إليه مُطلقًا.

6

يونيو، قبل عشر سنوات

كان ويل في الحمام يبدل الأفرول عندما وصل إليَّ إشعار على الهاتف برسالة نصية من جيمي.

فلندخّن الليلة معًا ونتحدث؛)

أجبتُ: **لا أستطيع، ليس لدي سجائر.**

😦

تسعة أيام أخرى وأعود. مسحت عدد الأيام وأضفت ثلاث علامات تعجب قبل أن أضغط إرسال.

كيف كانت زيارتك لوِت؟

تنهدت. **جيدة؟ لا أعرف... غريبة إلى حد ما. سأخبرك بالتفاصيل لاحقًا.**

لم أخبر جيمي عن مدى تخوُّفي من العودة، لكنه عرف كل شيء عن خلافي مع وِتني، وكيف أن صداقتنا لا تزال متزعزعة. مترنحة مثل جسر مُعلَّق، واحد من تلك الجسور في كتاب الأطفال بألواح ناقصة وحبل سائب، معلق فوق هاوية. على الأقل يمكنني إصلاحها عندما أعود إلى الوطن.

قال ويل الذي طلع من الردهة: «تبدو رسالة مؤثرة.»

هذا الوقت المناسب لأخبره أنني أراسل حبيبي. لكن بدلًا من ذلك، دسست الهاتف في حقيبتي وقلت: «لا شيء مهم.»

لم أكن خائنة، ولم أشك في ولاء جيمي خلال أربع سنوات من علاقتنا عن بُعد. كنا كيانًا واحدًا في الصيف، لكن بعد ذلك غالبًا ما كان تواصلنا عبر المكالمات الهاتفية والرسائل النصية ومكالمات برنامج سكايب. لكن ذاك اليوم، شعرت أن جزءًا مني، وليس جزءًا صغيرًا، يرغب في التظاهر بأنني لم أكن عائدة إلى الوطن. وأن جيمي ووِتني وأمي لم ينتظروني لأقول وداعًا إلى هذه الحياة. أردت أن أستمتع دون أن أجرّ أمتعتي من موسكوكا إلى تورونتو. سأذهب إلى هناك قريبًا بما فيه الكفاية.

حُشِر بنطال ويل الجينز في حذائه ذي الرقبة الطويلة، ومن فوقه قميص قطني أسود وعليه كنزة طويلة ترك أزرارها مفتوحة. ظهرت تقسيمة جسده عندما خلع الأفرول. بشكل ما، بدا أطوَل. كان نحيفًا، لكن ليس هزيلًا. كتفان عريضان لجذع طويل. تخيّلته مُنهمكًا في عمله الفني لدرجة أنه ينسى تناول الوجبات أو يأكل كيفما اتفق، كأن يتناول شطيرة زبدة بالفول السوداني بعجالة في منتصف الليل عند حوض المطبخ المليء بالأطباق المتسخة، أو يتناول لفافة شاورما على الرصيف في الظهيرة.

«كلمة حاذِقة.» قلتها مُشيرة إلى قميص ويل القطني الذي كُتِب فوقه كلمة «Sketchy[1]» بخط أبيض رفيع وحروف متشابكة.

---

(1) ملحوظة المُحرّرة: تعني الرسم أو التخطيط الأولّي، أو إشارة إلى جودة سيئة أو عمل غامض.

«أحاول ألا آخذ نفسي على محمل الجد.»

من الصعب معرفة إلى أي طراز ينتمي ويل في ارتداء ملابسه، بالأربطة الوردية الفاقعة وحذاء العمل ذي الرقبة الطويلة، والسترة الفضفاضة والشعر الفوضوي. الأكيد أنه لم يكن مثل الشباب الذين أراهم في قاعات المحاضرات، والذين أثق بأنهم يرتدون الملابس بحاسة الشم، فيلتقطون أعلى شيء على الكومة الملقاة على الأرض. إنه ليس مثل جيمي أيضًا.

كان جيمي يرتدي سروالًا قصيرًا يثبته أسفل خصره، ونعلًا يصدح على الأرضية الخشبية في غرفة التجهيزات، خصلات شعره الملفوفة تتدلى من تحت عُصابة رأس خضراء اللون. ذو بشرة برونزية، عضلات وعرق. عندما زارني جيمي أول مرة في تورونتو، وقف متكئًا على مكتب الأمن في مكان إقامتي في بيت الطلبة بيتمان هول، مرتديًا بنطالًا رسميًّا ومعطفَ صوفٍ أزرق اللون داكن، شعره محشور داخل ياقة المعطف المقلوبة، حاملًا بين يديه حزمة من زهور الداليا. مررت من جانبه دون الالتفات إليه.

قال ويل وهو يحكم وضع حقيبة ظهر لونها زيتي على كتفيه: «إذًا، فيرن بروكبانكس، هل أنتِ مستعدة لأعظم جولة في العالم في تورونتو؟»

لم يخبرني ويل إلى أي مكان سيأخذني، لم يقُل إلا أننا بحاجة إلى ركوب ترام كوين مسافة قصيرة. وقفنا في مكان الانتظار خمس عشرة دقيقة، وظللنا منتظرين.

«أعتقد أنه لا شيء عظيم في العالم يبدأ بوسيلة نقل في تورونتو.» قلتها وأنا أخطو إلى الشارع لأرى إن لاحت سيارة في الأفق. الشكوى من وسائل النقل العامة بمثابة رياضة في هذه المدينة. «أظن أن ترامًا خلف تلك الشاحنة.»

سحب ويل علبة حلوى بنكهة الليمون الحامض من حقيبة الظهر وعرضها عليَّ.

«لا شكرًا. من باب التذكِرة، أنا في الثانية والعشرين من عمري، ولست في الثانية والثمانين.»

وضع ويل حبّة في فمه، راقبتها وهي تبرز من خده، ثم قال: «من باب التذكِرة، أنا في الثانية والثمانين من عمري. قد أبدو في الثانية والعشرين، لكن هذا مجرد نظام غذائي وتمارين.»

انتظر معنا بضعة أشخاص. جلس زوجان مسنان على المقعد الوحيد الموجود، متشابكي الأيدي، بجوار قدمه حقيبة بها بوق، وعكاز بجانب قدمها. عندما توقف الترام، ساعد الرجل المرأة على الوقوف، ولحقنا بهما، وعندما صعدا السلم ببطء، ويده أسفل ظهرها، عرض ويل أن يحمل الحقيبة.

«بعد أن أعطاهما آلة الموسيقى النحاسية، قال ويل في أذني: «أعظم قصة حب في العالم.» رائحة أنفاسه حلوى ليمون.

امتلأت كل المقاعد، فمشينا إلى مؤخرة الترام وتعثرنا كلما تقدم إلى الأمام. مسك ويل خصري ليثبّتني، تاركًا يده تسقط عني بمجرد أن لمسني تقريبًا.

تشبثت في عمود معدنيّ وقلت: «أعظم عدوى بكتيرية في العالم.» فضحك.

ترنح أحدنا أمام الآخر، وعندما وصلنا إلى شارع يونج، انخفض عدد الركاب إلى النصف. أشرت إلى مقعدين شاغرين، واخترت المقعد بجانب النافذة. طولي أقصَر من خمسة أقدام، كان هناك مساحة واسعة للساقين لم أحتج إليها، أما ويل فطوله تجاوز الستة أقدام، تعني هذه المشكلة الهندسية أن ركبته لامست ركبتي. في بنطاله الچينز شقّ صغير، راودتني رغبة عجيبة ومُلحة في أن أولِج إصبعي فيه. مررت يدي على شعري في انزعاج، ورفعتُ بصري لأجد ويل يراقبني.

«لِمَ كل هذا؟» سألته وأنا أجتذب الطرف الأمامي لحقيبة ظهره، التي زُيِّنَت بالدبابيس والشارات، يتوسطهم علم كندا.

«معظمها من أماكن زرتها من قبل.» أمسك ويل بإبهامه وسبابته شكلًا مُصغَّرًا لجيتار إلكتروني أزرق وقال: «سياتل.» ثم شدَّ شكل فِطرٍ وقال: «أمستردام».

بعض الشارات على شكل طعام، أكلة التاكو من لوس أنجلوس، طبق الباوتين من مونتريال.

«كان من الصعب العثور على هذه. تخلّى عني صديقي ماتي بعد ساعتين من البحث. لا يتمتع بالصبر.» ثار عقلي.

أكبر شارة بيضاوية الشكل، ليمونة وجهها مطرَّز، طرازها أقدم من البقية. «ماذا عن هذه؟»

«صنعتها فِرِد لي. إنها جادة شغوف بشُغل الإبرة والمنسوجات، وأكثر ما تحب صنعه بساط الحائط المزخرف. وأنا أحب كل ما هو بنكهة الليمون.»

في الصيف الذي ارتبطنا فيه أنا وجيمي للمرَّة الأولى، ظل يطرح عليَّ هذه الأسئلة العشوائية لتضييع الوقت في كوخ التجهيزات. كنت أكنِّس ورق الصنوبر من على المرافئ، بينما ينقل هو زورق من البحيرة ويصرخ قائلًا: «ما حيوانك المائي المفضل، فيرني؟»

أو يسألني «فيرني: المحيط، أم البحيرة أم المسبح؟»

أو «لو أنَّك حلوى من التي يُعدها بيتر يا فيرني، فأي نوع ستكونين؟»

قلت له: «لا أعرف. أحب جميع أنواع الحلوى.»

أخذ يفكر في الأمر طوال النهار ثم قال مُعلنًا: «أنتِ فطيرة الليمون. أنت حامضة بعض الشيء، فيرني، لكن بالمعنى الجيد، بالطريقة التي تجعل للحلوى طعمًا أحلى.»

حدَّقت إلى ويل: «حقًّا؟»

قال: «حقًّا، مثلجات، كعكة، فطيرة، الليمون هو الأفضل دائمًا.»

تنحنحتُ ولمست صندوقًا فضيًّا صغيرًا بغطاء مستدير. «وما هذا؟»

«فخ لصيد الإستاكوزا. حصلت عليه في عطلة عائلية في جزيرة الأمير إدوارد في الصيف الذي يسبق انفصال والديّ.»

قلت: «يا إلهي. أنا آسفة.»

قال ويل: «لا عليكِ. في الواقع كانت رحلة رائعة.» رغم ذلك صار صوته حزينًا.

«ومن أين حصلت على هذا؟» لمست زرًا صغيرًا كتب عليه: أحب نيويورك. وأردفت: إنه *بدائي* إلى حد ما، ألا تعتقد ذلك؟»

«مرر إصبعه على حافة الزر وقال: «إنه أول مقتنياتي، وهو كلاسيكي. حصلت عليه في رحلة عائلية أخرى، قبل أن تزداد الأمور سوءًا بين والديّ. كنت في العاشرة من عمري على الأرجح.»

سكت ويل لحظة، لكنه أدار رأسه بعد ذلك. «هل لديك مزيد من الملح في حقيبتك هذه، لنضعه على جروحي العائلية؟»

فتَّشت في حقيبتي القماشية، سحبت علبة علك بالنعناع وقلت: «لدي علك؟»

ضحك ويل وقال: «حال والديّ أفضل وهما منفصلان على أي حال. لا يمكنني تخيل أنهما كانا مناسبين كزوجين في وقت من الأوقات. والدي هو ذاك المحامي العقاري العصبي، لا يتظاهر حتى بالاهتمام بالفن. وأمي تعشق وتتنفس عملها. احتدمت كثير من الخلافات بينهما. أمي تعيش في روما الآن.»

نظرت إلى شكل مدرج الكولسيوم الصغير على حقيبة ويل وقلت: «إيطاليا. هذا هو البلد الوحيد الذي زرته حتى الآن.»

لم يقل شيئًا لدقيقة طويلة: «اعتدت زيارتها مرتين في السنة، في العطلات وما إلى ذلك.» ضيق عينيه محاولًا تحاشي ضوء الشمس قبل أن ينظر إليّ. قال: «ولكن الآن، وأنا أزور والدي وأختي هنا، أصبح الذهاب إلى هناك أصعب.»

«هل أنت قريب من أختك؟»

«نعم. أنابيل أصغر مني بثلاث سنوات، بلغت سنّ الحادية عشر عامًا عندما غادرت أمي. كنا متفاهمين قبل حدوث ذلك، لكن بعدها، أصبحنا نقف معًا ضد والدنا. نحن مقربان.»

عدَّلت من وضع شارة مدرج الكولسيوم وسألته: «هل تعتقد أنها من الممكن أن تعود؟»

«أمي؟ مستحيل. تقول إن تورونتو هي مهد محدودي الموهبة، وأنها بحاجة إلى العيش في مكان يلهمها. الفن أولوية لديها.»

«لا بد أن ذلك مرَّ صعبًا عليك.»

هز كتفيه، نظر إلى يديه وقال: «أشعر أحيانًا أنني وغد أناني لأنني ابتعدت وتركت أختي تتعامل مع والدي بمفردها.»

قلت: «مهلًا.» ولكزته بكوعي حتى لاقَت عيناه عيني. تحت أشعة الشمس، استطعت أن أرى أنهما ليسا سوداوين. بل بنيّتين بلون القهوة تؤطر حافّتهما حلقتان أبنوسيَّتان. «لا أعتقد أن عيش حياتك في فانكوفر يجعلك وغدًا. لكنني لم ألتقِك إلا اليوم، لذا أنا متأكدة أن هناك كثيرًا من الأشياء الأخرى التي تفعلها، لكن غير ذلك.»

حدَّق ويل إلى جهي وقال: «أنتِ لطيفة.»

قلت بعد لحظة: «في الحقيقة، لم أسافر إلى أي مكان.»

ميَّل رأسه وقال: «فاجأني ذلك.»

قلَّدت حركة رأسه وقلت: «سأعتبر ذلك مديحًا. زرت جدتي وجدي في كولومبيا البريطانية مرّة واحدة. لكنني لم أصل إلى فانكوفر، هما في فيكتوريا.»

عشنا في المنزل معًا نحن الأربعة حتى أتممت السابعة من عمري تقريبًا، بعدها انتقل جدي وجدتي إلى شقة مفروشة في مبنى المنتجع الرئيس. أجدهما بعد المدرسة يلعبان لعبة الورق في المكتبة بين حشد من النزلاء ذوي الشعر الأبيض، فأجلس على أريكة أمام المدفأة ومعي واجباتي المدرسية. في أيام الجمعة، لا أنا ولا بيتر بإمكاننا هزيمتهما في لعبة البوكر، وظلت أمي ترسل إلينا السمك والبطاطس من المطعم. وعندما تنتهي من جولتها في غرفة الطعام، تنضم إلينا، حاملة صينية بها ثلاثة كؤوس من الجعة الباردة وعبوة سبرايت في يد واحدة. نشرب جميعًا نخب مجيئها، وإن لم يكن هناك أحد آخر في المكتبة، تغلق الأبواب وتخلع حذاءها أخيرًا، وتدلك كاحليها وتطقطق أصابعها المغطاة بالجوارب.

سألني ويل: «ما رأيك في فيكتوريا؟ ذهبت إلى جزيرة فانكوفر عدة مرات. سافرت إلى توفينو مع بعض الأصدقاء الصيف الماضي. للعلم بالشيء، أنا لا أجيد ركوب الأمواج.»

«لم أخرج من المدينة، لكنني أحببتها. حديقة بيكون هيل، حدائق بوتشارت، والمرسى. سأذهب إلى بانف في نوفمبر من أجل موسم التزلج لأعمل في أحد المنتجعات.»

بحثتُ مع جيمي عن شقة مفروشة نستأجرها لفترة قليلة، لكنني شعرتُ بالقلق. كان حبيبًا جيِّدًا عن بُعد، لكن لم أعرف ما الحال إن تشاركنا في السكن. رأيت حالة سريره في غرف الموظفين، وكيف أن شعره أصبح متشابكًا مثل العشّ الأصفر بحلول الأسبوع الثاني من الصيف.

«لماذا بانف؟»

شددتُ حافة سروالي القصير ذا الخيوط المنسلة وقلت: «لدى أمي منتجع في موسكوكا، إنه كشركة عائلية. لذلك، بانف يعتبر فرصة سفر، لكنه أيضًا فرصة للحصول على خبرة جيدة في العمل.» عندما طرحت الفكرة على أمي، راجية الحصول على بضعة أشهر إضافية في العالم الخارجي، توقعت أن ترفضها. لكنها اعتبرت أن قضاء بعض الوقت في أحد الفنادق الكبيرة سيكون قيمًا.

«أنتِ نشأت في منتجع؟»

لففت خيطًا حول إصبعي وشددته حتى ابيضَّ طرف إصبعي وقلت: «أجل. سأعود إلى هناك بعد تسعة أيام.»

وضع ويل يديه فوق يدي، ثم فك تشابك الخيط. عاد الدم متدفقًا إلى إصبعي. تلاقت أعيننا، وترك يدي.

«هل معنى قولك إنها شركة عائلية، أنك ستديرينها في يوم من الأيام؟»

«هذه هي الفكرة.»

«لكنك لا تريدين ذلك.»

«بلى، أريد ذلك.» ارتفعت نبرة صوتي، وشعرت بضيق في رئتيّ، كأنه لا مساحة كافية لهما في صدري. مال ويل عليّ مقتربًا، سارقًا كل الأكسجين من بيننا، ركز نظرته في عيني. «أعظم شيء في مقابلة شخص لن تريه مرة أخرى، هي أن بإمكانك إخباره أي شيء عن نفسك دون أي عواقب.»

هزرت رأسي وقلت: «كل شيء له عواقب.» تعلمت ذلك عندما كنت في السابعة عشرة من عمري.

7

الآن

ازدحم وسط مدينة هَنتسفيل بأصحاب الأكواخ والسياح من مايو وحتى أخذ اللون الخريفي للأشجار يتلاشى. لحسن الحظ، وجدت مكانًا لوقوف السيارة، كبيرًا بما فيه الكفاية للتحرك بالسيارة الكاديلاك التي استلفتها من عم وِتني. السيارة تشبه سفينة سياحية، رائحتها بخور ترابي، لكنني بحاجة إلى سيارة -المنتجع على بعد عشرين دقيقة من المدينة- ولا أملك سيارة خاصّة.

عندما توفت أمي قبل ستة أسابيع، أعادتني وتني معها إلى هنا. بحلول الوقت الذي اتصل فيه بيتر ليخبرني عن الحادث، كانت بالفعل في طريقها جنوبًا ساحبة معها طفلها الرضيع أوين. خلال جميع السنوات التي عشتها في تورونتو، هذا هو الوقت الوحيد الذي تجرأت فيه على القيادة إلى هناك. حزمَت حقيبتي وأخذَتني إلى البيت، متشبثة بالمقوَد بقوة حتى صرنا على بعد ساعة من شمال المدينة.

ضغطت على جرس منزل أزرق فاتح، رحب بي رجينالد أوزوالد. تجاوز سن التقاعد منذ زمن، ارتدى الحمالات كالعادة وقميصًا مُرقعًا مجعدًا. ريجي هو محاسب المنتجع منذ أن اشترى أجدادي المكان في أواخر الستينيات.

«روزماري في الكنيسة، لكنها قالت لي أن أعانقكِ بحرارة.»

لا يشارك ريجي زوجته في التزامها بالمشاركة في الخدمة الدينية يوم الأحد. «كيف حال جدك وجدتك؟ عزمتُ على الاطمئنان عليهما.»

الطيران من فيكتوريا مُتعب لجدتي إيزي، لذا جاء جدي جيري بمفرده لحضور الجنازة. بدا طاعنًا في السن أكثر من ذي قبل. صغير وهش ولا يشبه الرجل المتفاخر الذي عرفته في طفولتي.

«يقولان إنهما متماسكان، لكنني أعتقد أنهما يحاولان أن يُشعراني بتحسن الحال.»

عندما تكلمت مع جدتي إيزي آخر مرة، انهارت في منتصف المحادثة وقالت: «أنتِ تشبهينها إلى حد كبير.»

عاش جدي وجدتي على الجانب الآخر من البلد، لكن والدتي كانت تتعامل مع الموظفين المتقاعدين باحترام وتناديهم بأسمائهم الأولى. تعرف جدول مهامهم والأحداث الضروريّة أكثر منهم. وكونت صداقات مع أولاد الجيران البالغين الذين يعيشون بالقرب منها، حتى يصبح لديها شخص يهتم بشؤون المكان. ظلت تقدم لجدي وجدتي التقارير المنتظمة عن كل ما يحدث في المنتجع.

«أتوقع أن تفعلي معي الشيء نفسه عندما أتقاعد» اعتادت أن تقول لي ذلك، فأدير عيني وأرد: «ماما، كلتانا تعلم أن هذا لن يحدث أبدًا.»

«سأتصل بهما هذا المساء.» قالها ريجي وهو يأخذني عبر الممر إلى مكتبه، لا تزال رائحة وجبة فطور البيض واللحم المقدد عالقة في الهواء.

مد ريجي يده باتجاه أحد مقاعد النزلاء وسألني: «هل أنتِ ممن يشربون القهوة؟ قد تحتاجين إلى بعضها من أجل هذا.»

حضّر لي ريجي فنجانًا من القهوة، ثم أخبرني بما حدث، وهو ليس بالشيء الجيد.

قال: «سأكون صادقًا معكِ، فيرن» تطلع إليَّ من فوق إطار نظارته النحيف، بينما عبثت بالثقب في بنطالي، لكن حركة أصابعي لا تزال مُعلَّقة بتعبيرات وجه ريجي.

«كانت ماجي سيدة أعمال ذكية، قلبت حال الشركة رأسًا على عقب عندما تولت المسؤولية من جدك وجدتك. ولكن مع تدهور السياحة خلال العامين الماضيين، تعادلت الأمور المالية، فلا ربح ولا خسارة، وقتها امتنعت والدتك عن أخذ راتبها.»

أخذت أفرك جبيني. هذا أسوأ بكثير مما تخيلت.

دس ريجي أنفه المتورد من كثرة شرب الجِن، في منديل مرقَّط ثم تابع: «نأمل أن يكون هذا العام أقوى من العامين الماضيين. هل تعرفين كيف يسير الحجز في فصل الخريف والشتاء؟»

هززت رأسي. قال جيمي إن حجز الغرف ثابت في شهري يوليو وأغسطس، لكنني لا أعرف شيئًا عن بقية العام. حتى لا أعرف نسبة الإشغال الحالية. في المنتجع غرفتان للاجتماعات، يستخدم أطباء الجلدية إحداهما هذا الأسبوع، لكن هل كان لدينا أي مجموعات أخرى منذ عودتي؟ لقد عدت منذ أكثر من شهر. وجب أن أعرف هذه الأشياء. حتى لو انتهيت ببيع المنتجع، أحتاج إلى معرفة الأرقام.

لا بد أن جهلي بالأمر بدا واضحًا على وجهي، لأن تعبيرات وجه ريجي صارت ألطَف. قال: «لا تقسي على نفسك. لقد تعرضت

لخسارة فادحة، وهذه مسئولية كبيرة تركتها لكِ ماجي لتتحمليها. أنا هنا للمساعدة بأي طريقة ممكنة، عندما تكونين جاهزة.»

عندما قلت لأمي أخيرًا أنني لم أرد العمل في المنتجع طوال تلك السنوات الماضية، توقفت عن التحدث إليَّ عن شئون العمل نهائيًّا. لكن بروكبانكس هو حبها الأول، ومع مرور الوقت، سمحت لي بالعودة. تطلب رأيي في الفرقة التي فكرت في استئجارها لحفلة نهاية الصيف، أو في طبق ترغب في إزالته من قائمة الطعام. هل سيثور النزلاء إن فقدنا طبق السمك والبطاطس المقلية؟ (نعم.) صُدمت عندما عرفت أن أمي أخفت مشكلات المنتجع عني. اعتقدت أننا مقربتان أكثر من ذلك.

اعتدت الشعور بالاستياء من كم العمل الذي قامت به في طفولتي. كرهت كل وجبة عشاء تناولتها وحيدة، وكل مكالمة طارئة أبعدَتها عني حينما من المفترض أن نقضي معًا ليلة فتيات. لم أُرِد قط تقييد نفسي بالعمل بطريقتها هذه. لكنني كنت أعمل في مقهى فِلتر بمعدل خمسين ساعة في الأسبوع. أعرف ما يلزم لإدارة عمل تجاري. أعلم مدى اهتمام أمي بهذا العمل. الضغط العصبي ليس وصفًا كافيًا للمشاعر التي لا بد أنها أحست بها. كان القلق حاضرًا باستمرار، ينهشها من الداخل. شعوري بالذنب بمثابة سترة من الرصاص. وقتما ساعدتُ فيليب في نجاح مقهى فِلتر، تعثر منتجع بروكبانكس. لأول مرة منذ وفاة أمي أشعر من صميم قلبي أن بروكبانكس ملكي. إنه فعلًا ملكي. ليس ملك والدتي.

قلت لريجي: «أنا مستعدة. هل لديك الوقت لتطلعني على آخر التطورات الآن؟»

طلبت منه قلمًا وورقة، فتش هو في مكتبه عن دفتر ملاحظات جديد ورقهُ أصفر. وضح لي المجالات التي يمكننا تقليل نفقاتها، وبعض التحديثات المكلفة التي أجلتها أمي للمساعدة في تعويض التباطؤ. فكرت في أغطية عربات الجولف وآلة الثلج التي تعطلت ليلة الحادث. قال جيمي إنها لم تكن تعمل بشكل جيد منذ فترة.

عندما انتهينا بعد بضع ساعات، شعرتُ بدوار في رأسي وتشنجت يداي من كثرة ما كتبت من ملاحظات. من المفترض أن ألتقي السيد والسيدة روز لتناول الكوكتيل في كوخهما هذا المساء، لكن يمكنني شُرب المارتيني الآن.

من الواضح أن تكلفة طعام المطعم باهظ، إلا أن أمي حافظت على إبقاء النفقات منخفضة وساعات عمل الموظفين معتدلة. سأضطر للتحقق من الجدولة وطلبات الإمدادات لنرى ما إن كان بإمكاننا خفض مزيد من النفقات. لكن من الواضح أن ما نحتاج إليه فعلًا هو مزيد من النزلاء أمام الباب. مُتعبة للغاية، لكن وراء هذا الضغط شرارة من الحماس.

لطالما كنتُ في حالة من المنافسة. قبل أن يطردونني من فريق كرة القدم في المدرسة الثانوية، عشتُ من أجل نشوة الفوز. أدركت الآن أنني أريد النجاح في بروكبانكس. ربما لم تطلب أمي مني المساعدة، لكنني أريد أن أثبت لها أنني أستطيع فعل ذلك. «هل ذكَرَت أمي يومًا ما أنها ستوظف استشاريًّا؟» سألت ريجي قبل أن أندفع إلى الحديقة لأقابل روزماري التي عادت من الكنيسة منذ قليل.

خلع ريجي نظارته، مسح عدساتها بقميصه وقال: «نعم، فعلت ذلك. لم أستطع أن أصدق الصفقة التي قدمها لها، لكن ماجي لديها قدرة ساحِرة لكسب ود الناس وتكسر قواعد أشد الناس انضباطًا كالرّاهبات، من سحر ما تقول.» هذا صحيح. تمتعت أمي بطاقة من الحيوية وحِس استعراضي يجذب الناس إليها. كانت ثرثارة بطبيعتها، ولكن في المنزل، عندما لا تضطر لفعل ذلك، تلين قليلًا.

ابتسم ريجي بينه وبين نفسه ثم سألني: «لماذا تسألين؟ هل تواصل معكِ؟»

«ظَهَر أمس.»

قال ريجي: «حسنًا، هذا مِن حسن حظك. آمل ألا تعتبري كلامي إساءة لكِ إذا قلت إنك بحاجة إلى مَن يدعمك ويساندك. أعرف أنكِ تخرجت في كلية إدارة الأعمال، وقالت ماجي إنك تديرين عملًا مثيرًا للإعجاب هناك في تورونتو.»

«حقًّا؟»

«لا تندهشي هكذا. كانت فخورًا بك. لن تترك ماجي المنتجع تحت رعايتك إلا إذا آمنت أنك قادرة على فعل ذلك.»

شعرتُ بحلقي يضيق. شكرت ريجي على مساعدته، رمشتُ لعل ذلك يزيح عن عيني الدموع العالقة، ثم هربت إلى الفناء الخلفي.

وجدت روزماري تحزم جذوع ثمار الطماطم. ارتدت فستانًا صيفيًا أصفر وقبعة قش، وفي أثناء جولتنا في حديقتها الممتلئة بالخضروات، وهي تشرح لي حيلتها لتُبعِد الحلزونات عن ورق الخس، لاحظت أني مرتدية ملابس مريحة أكثر من تلك التي ارتدتها هي في أثناء تجوالها في

الأرض الطينية. ربما الچينز الممزق والنعال المفتوحة من الأمام غير مناسبين لاجتماع عمل، حتى لو مع شخص عرفته طوال حياتي.

إذا كنت سأشارك بشكل أكبر في بروكبانكس، فسأحتاج إلى ملابس مناسبة. فساتين أمي القماشية ذات الألوان الفاقعة لا تشبهني، ورغم أن البناطيل الممزقة على الموضة والقمصان القطنية يتناسبان مع طراز مقهى فِلتر البسيط، غير مناسبين للعمل في المنتجع. عندما كنت أتجول عند المحلات التجارية في الشّارع الرئيس، أدركت أن هذا ما أريده. العمل. ليس ملاحقة جيمي بلا هدف كما كنت أفعل حتى الآن، ولكن أن أعمل فعليًّا. هذا لا يعني أنني لن أبيع، قلت لنفسي. هذا لا يعني أنني سأبقى.

تمكنتُ من العثور على كثير من الملابس التي لا أكرهها؛ قطع بسيطة لا تجعلني أشعر بالحرَج من وزني الذي اكتسبته من الجلوس على أريكة والدتي. لم أكن قط مولعة بالملابس. يريحني الچينز. وأعرف أنني سأصير جذابة إن ارتديت قميصًا ذا حمالات صدر رفيعة. أما فعل أكثر من ذلك، فهو اختبار لصبري المحدود على ما يتعلق بالموضة. اعتدت البحث عن كنوز في محلات الملابس المستعملة، لكن لم يعد لدي وقت لذلك.

لمحت في أثناء رجوعي إلى السيارة متجر شرائط مسجلة أنيق لم يكن هنا من قبل، ومحلًا يقدم الطعام أيضًا. لطالما أردت تعلم العزف. توقفت أمام مئزر ملطخ بالألوان، إنه محل أدوات مطبخ لطيف، دخلته، ثم خرجت منه وقد نقص مالي خمسة وثلاثين دولارًا. ربما كانت والدتي راضية بشرب قهوة خفيفة كل صباح، لكنني لست كذلك.

بمجرد عودتي إلى المنزل، عبأت ماكينة صنع القهوة بالكبسولات ووضعت المكبس الفرنسي الجديد على الطاولة. شعرتُ بأنها لحظة هامة ومؤثرة. حتى إن بقيتُ هنا لفترة قصيرة، لا يعني هذا أنني عليّ شرب قهوتي مثلما شربتها والدتي، وليس عليّ أن أدير المنتجع بطريقتها أيضًا.

ثم التقطت هاتفي واتصلت بفيليب.

وصلت إلى الكوخ رقم 15 وأنا مرتبكة بالفعل. إحساس مريح أنني استقلت. لم يتوقع فيليب أن بإمكاني فعل ذلك، رغم معرفته أنني أريد فتح مكاني الشخصيّ. لكن لطالما تمادى فيليب في الاعتداد بنفسه. بدءًا من نسيج قمصانه القطنية (لا يشتري سوى تلك المصنوعة من قطن بيما، ودائمًا تكون بيضاء) وحتى درجة حرارة حليب الشوفان في قهوته الإسبريسو بالحليب (135 درجة)، إنه أيضًا انتقائي بشكل مبالغ فيه. هذا ما أحببته فيه لفترة طويلة من الزمن. كان ذلك يعزز من اعتدادي بنفسي، أن شخصًا بهذه الدقة والانتقائية ينجذب إليّ، رغم ذلك، تأثر هذا الاعتداد بالنفس سلبًا ولسنوات بعد ويل.Top of Form

«تبدين بخير يا فتاة. عاد اللون إلى وجهك أكثر مما كان الأسبوع الماضي.» قالتها السيدة روز وهي تمد يدها وتفرد ذراعها لتتفحصني.

تولّى السيد والسيدة روز تخصيص ساعة ضيافة لشرب الكوكتيل كل يوم أحد في الكوخ رقم 15، وذلك قبل أن أولَد. في البداية، كان جدي وجدتي هما اللذان ينضمان إليهما، ثم والدتي، والآن أنا. أحيانًا يكون هناك حشد أكبر، خليط من زوار بروكبانكس ذوي الإقامات

طويلة الأمَد والجُدُد الذين صادقوهم في باحة لعبة الهورس شوز[1]، ولكن بخلاف ذلك، طقوسهم لا تتغير: مارتيني الچن المثلج ورقائق رافلز بالطعم الأصلي عند المدخل الخشبي للبيت في الخامسة مساءً.

لم يُرزقا بأطفال قط، ولست متأكدة إن تعمَّدا ذلك، أم أن هذا ما آلت عليه الأمور، لكن في كلا الحالتين، يغدقان مشاعر جَد وجَدة عجائبية. دائمًا ما تلف السيدة روز حول رقبتها سلاسل كثيرة من الخرز الخشبي، لدرجة تجعلك تشك أن تلك السلاسل هي السبب في انحناء ظهرها. عمل السيد روز ناقدًا مسرحيًّا «في الوقت الذي كان فيه المسرح يستحق التقييم». لا أعتقد أن أيًّا منهما تناول الخضر في حياته، باستثناء البصل المخلل في الكوكتيلات التي يشربانها.

كنت ناقمة على النزلاء في صغري، كيف كانت احتياجاتهم تُلبَّي قبل احتياجاتي، لكن الزوجين روز كانا مثل عائلتي. قبل ذهابي إلى الجامعة، أقاما حفلًا صاخبًا قدَّما فيه النبيذ والجبن امتدَّ من كوخهما إلى الأكواخ الأخرى، وكانت السيدة روز تناولني أكوابًا بلاستيكية من نبيذ الشاردونيه عندما لا تنتبه والدتي. منذ عودتي إلى المنزل، أصرّا على استضافتي لشرب الكوكتيل كل أسبوع. أعتقد أنهما أرادا الاطمئنان عليّ.

قلت لهما: «لقد سبحت عند مرفأ العائلة وركبت قارب التجديف صباحًا قبل ازدحام البحيرة. تنزَّهت بضع مرات. كنت سأصاب بالكسل.» في البداية، احتجتُ إلى مغادرة المنزل وتنشيط دورتي

---

(1) لعبة الـ horseshoes فيها يرمي اللاعب بحلقات حديدية تشبه حدوة الحصان نحو عمود معدني مثبت في الأرض؛ حتى يجمعوا أعلى نقاط ممكنة. (المترجمة).

الدمويّة، لكنني استمتعت بالتنزه حول العقار وبوقتي عند البحيرة. لم أكن أقدّر مدى روعة هذا المكان وقتما نشأت هنا.

قال السيد روز: «سعيد لسماع ذلك.» وقف خلف طاولة تقديم الطعام، يقلِّب مشروب الجِن في إبريق غاية في الضخامة. استعادت جدتي إيزي طاولة الطعام في الثمانينيات قبل وصول السيد والسيدة روز لقضاء إجازتهما الصيفية السنوية. إنها طاولة من النحاس ولها مقابض طويلة منحنية لا تتناسب بتاتًا مع طراز الكوخ الجميل. جميعنا يعرف أنها **طاولة إيزي** رغم أن السيد روز ليس لديه امتيازات نادل المشرب.

قالت السيدة روز: «ارتحت عندما رأيتك لا ترتدين ملابس أطفال الشوارع.»

ارتديت بنطالًا قصيرًا وبلوزة جديدة حريرية سكريَّة اللون، بلا أكمام، ذات ياقة تغطي الرقبة ومفتوحة من الخلف. ساعة خمر الكوكتيل هي مناسبة *يتأنق* من أجلها السيد والسيدة روز، رغم أنني لم أرَهما يرتديان ملابس رثة من قبل قط. دائمًا ما يرتدي السيد روز بدلات أنيقة، وترتدي السيدة روز قمصانًا حريرية فضفاضة. هذا المساء ارتدى هو بدلة صفراء فاتحة، بينما ارتدت هي قفطانًا فيروزيًّا مع تطريز ذهبي على الصدر والأكمام. كنت أطل عليهما بالسراويل القصيرة والقمصان القطنية، ولم ينطق أي منهما بحرف عن هذا حتى الآن.

«تسوقت في المدينة اليوم.» أخبرتها بذلك وأنا أجلس على الأريكة الصغيرة الهزازة المصنوعة من الخيزران، مثل تلك التي في المنزل، بينما استقرت السيدة روز في كرسي هزاز من خشب البامبو. وُضِعَ على

طاولة القهوة، بالإضافة إلى وعاء رقائق البطاطس المقلية المبطن بورق المناديل، كرة جبن كما يقول الكتاب، مغموسة بالبقدونس والجوز، مصنوعة على الطريقة التقليدية، ومحاطة بحلقة من بسكويت رِتز.

أشرت إلى الجبن وقلت: «ما المناسبة؟»

«لدينا ضيوف، عزيزتي.» قالتها السيدة روز بينما ملأ السيد روز الكأس الرابع من المارتيني. زيَّن كأسين منهما بالبصل المخلل، بينما زين كأسي بثلاث حبات ممتلئة من الزيتون أخضر.

أضاف السيد روز: «فكرنا أن ندعو صديقك.»

«صديقي؟» نظرت في المكان من حولي. لم أجد غيرنا هنا.

قالت السيدة روز: «أدخلته إلى البيت ليرى إن كان بإمكانه تصليح التلفاز. لا أعرف ماذا فعلنا، لا تظهر أي صورة على الشاشة.»

«مرحى، ها هو ذا.» قالها السيد روز عندما ظهر ويل عند المدخل، في يديه جهاز التحكم بالتلفاز. ارتدى بدلة زرقاء داكنة مع قميص أبيض نظيف، ترك الزر الأول مفتوحًا، شعره ممشط للوراء مثلما كان الليلة الماضية. شعرت برئتيّ تعتصران.

رماني بنظرة غامضة وقال: «مرحبًا.» في الواقع، هي أكثر من نظرة. ثُبِّتت عيناه على عيني، وأخذتا تُظلِمان، لكنه جفل بعدها وناوَل جهاز التحكم للسيدة روز وقال: «أصلحته. ما عليك سوى الضغط على زر الإدخال بضع مرات» وطفق يريها ذلك على جهاز التحكم.

«كيف تعرف عائلة روز؟»

«قابلتهما الصيف الماضي، والتقينا صدفة مرة أخرى عصر اليوم.»

أشار السيد روز إلى وسادة صغيرة بجواري وقال: «اجلس يا ويليام.» ثم أحضر لي وللسيدة روز شرابنا. امتلأت الكؤوس عن آخرها. قال موجهًا حديثه إلى ويل: «ذكرني ماذا كنت تحب مع المارتيني، دعني أخمن. تحبه مع قشر الليمون؟»

قال وهو يجلس بجواري: «نعم.»

أخذت أرقُب السيد روز وهو يأخذ سكينًا صغيرًا لتقشير الحمضيات، وفجأة استطعت تذوق سكاكر الليمون في فمي وشعرت بجسد ويل، عضلاته القوية وبشرته الرطبة، وهو يضمني إليه.

قال ويل بهدوء: «آمل ألا يكون هناك مشكلة من وجودي هنا.» بينما ارتكز السيد روز في كرسيه الهزاز.

«بالطبع لا.» قلتها محاولة عدم التفكير في رائحته الدخانية الحُلوة، ولا ساقه بجانبي، ولا حقيقة أن قشعريرة أصابت جلدي.

اتسعت عينا ويل عندما رأى حجم المشروب الذي أعطاه له السيد روز. اندلق قليل منه على الطاولة، إلا أن السيد روز لم يلحَظ ذلك. وبينما لم يكن السيد روز منتبهًا، مسحه ويل بفوطة المائدة.

بعد كل ما قاله ريجي لي، صرت تقريبًا متأكدة أنني بحاجة إلى مساعدة ويل، لكن هل يمكنني حقًّا العمل معه؟ أخذت أقلِّب الفكرة في ذهني مثل قطع الأحجية المنسكبة من علبتها.

رفعنا كؤوسنا معًا، وأخذت رشفة كبيرة. بطرف عيني رأيت ويل يتفحصني، ويطيل النظر إلى كتفي.

قال: «تبدين جميلة.»

ثنيتُ شعري خلف أذني، وشكرته بصوت خفيض.

قال ويل: «أنا أيضًا تلقيت تعليمات صارمة بخصوص زيّ العمل. لا يُسمح بالسراويل القصيرة ولا النّعال.»

شرعت السيدة روز تقول: «لا شيء أقل إغراءً من قدم رجل حافية.»

قال السيد روز: «إذًا، أخبراني كيف تعارفتما؟» انقلبت معدتي ورفعت كأسي إلى شفتي. «قابلت فيرن قبل عشر سنوات. رسمتُ جدارية في المقهى الذي كانت تعمل فيه.» شعرت بنظرات ويل إليّ، لكنني أبقيت نظري على كرة الجبن بينما يخبرهما هو عن يومنا.

ما لا يعرفه هو كيف غيّر وقتنا معًا المدينة في عيني. كأننا تركنا أثرًا في الأماكن التي زرناها، والآن، ويل وفيرن البالغان من العمر اثنين وعشرين عامًا يتجولان وسط مدينة تورونتو بشكل دائم في ذاكرتي.

«ما ألطَف أنكما بقيتما على تواصل طوال هذا الوقت!» قالتها السيدة روز، ولم يصحح أحد منا المعلومة لها.

«جدارية، أليس كذلك؟ لا تبدو لي كفنان.» قالها السيد روز، نظرت سريعًا إلى ويل، شعور غريب من الحماية طنَّ في صدري.

قال بصوت خال من الشعور: «لم أعد فنانًا. لم أكن بارعًا قط. يمكن لفيرن أن تشهد على ذلك.»

نظر السيد والسيدة روز إليّ. لدي كثير من المشاعر المتضاربة تجاه الرجل الجالس بجواري، لكن الشعور الأكثر إرباكًا هو حاجتي إلى الدفاع عن ويل الذي كنت أعرفه. إنه مختلف عن ويل الذي أراه

الآن. ويل هذا هو الذي جرحني، أما ويل ذاك فهو الذي لا تزال رسمته معلقة في إطار في غرفتي. ويل ذاك هو الذي أدافع عنه.

«اعتقدت أن ويل سيصبح رسامًا مشهورًا يومًا ما. كان *بارعًا*.»

تجاهلت نظرة ويل التي اخترقت جانب وجهي. زوَّدت نفسي بجرعة أخرى من الجِن. ضغط ساقه إلى ساقي، لكزة مُتعمَّدة، تلعثمت بينما أشرب وشعرت بخديّ يسخنان.

قال السيد روز: «في سني هذه، يجب أن أعرف أن الناس ليسوا دائمًا كما يبدون من الخارج. انظر إلى فيرن. لن تخمن هذا الآن، لكنها سببت كثيرًا من المتاعب لوالدتها في سن المراهقة. كانت متمردة حقيقية. جلبتها الشرطة إلى المنزل ذات مرة. كانت ماجي في غاية الارتباك، جميع النزلاء شهدوا ورأوا المشهد.»

شعرتُ بالتوتر، تحرك ويل بجانبي.

قالت السيدة روز، غير مدركة لانزعاجي: «لم يكن ذلك أسوأ ما حدث.» وبينما كانت على وشك استكمال الحديث، صفق ويل بقوة فنظرنا جميعًا إليه.

«سمعت هذه القصة بالفعل.» قالها بلهجة توضح وبشكل جليّ أنه لا يريد سماعها مرة أخرى.

حدقت إليه، وللمرة الثانية، لكزني بساقه.

سأله السيد روز: «وأنت يا ويليام؟ هل قمت بأي أعمال شيطانية عندما كنت صبيًّا؟»

«الأمور العادية، حفلات، جعة، وربما قليل من المخدرات. كنت طفلًا مملًّا للغاية.»

قلت مُعارِضة: «لم تكن كذلك.» على ما يبدو، أنا المحامية المفوَّهة لويل باكستر الشاب. لم أستَطِب هذه النسخة الرصينة الناكرة للذات منه، حتى لو كان يبدو مثيرًا مثل حلم.

دهنت البسكويت بطبقة من كرة الجبن البرتقالية، متمنية أن يتغير موضوع الحديث إلى شيء آخر، ولكن لا، تطلَّع إليَّ ثلاثة أزواج من الأعين. «كنتَ... فريدًا.» توردت وجنتايّ.

تفحصني ويل لحظة، تجعَّد الجلد حول عينيه. ثمة ما يُطَمئِن في هذه الابتسامة الخفيفة. وجدت نفسي أرد بابتسامة.

قال ويل ناظرًا إليّ: «أعتقد أن ذلك اليوم مع فيرن أكثر الأشياء المثيرة التي حدثت لي.» فتحت فمي مدهوشة.

قالت السيدة روز لتكسر الصمت: «حسنًا، إذا كان التجول في تورونتو هو أكثر تجربة مثيرة في شبابك، آمل أن تكون قد قمت بشيء أكثر شغبًا وأنت بالغ.»

«أقل بكثير، للأسف.»، قالها ويل، وأخذ رشفة من المارتيني، وصارت تعابير وجهه مبهمة حصينة. لم يبدُ حزينًا بالضبط. ربما شعر بقليل من الحنين؟ أريد أن أعرف السبب. أريد أن أعرف لماذا ويل باكستر هذا مختلف تمامًا عن ويل باكستر الذي أعرفه. لا يزال هو الشخص الأكثر جاذبية الذي قابلته في حياتي، لكنه الآن أصبح لغزًا تامًّا.

طفقت السيدة روز تقول: «لم يعد الشباب يعرفون كيف يستمتعون بالحياة.» ثم بدأت تسرد قصة عن كريستوفر بلمر، حفلة مسرحية، وعَرض زواج أنا شِبه واثقة بأنه لم يحدث قط.

سرعان ما انتقل الحديث إلى إجازة ويل. «ما الذي ستفعله لتشغل نفسك أربعة أسابيع كاملة؟» أراد السيد روز أن يعرف.

«سأعمل معظم الوقت. من السهل القيام بعملي عن بُعد.» نظر إليّ وكأنه يطلب الإذن، فأومأت. لا يهمني إن عرف السيد والسيدة روز سبب وجوده هنا.

قال ويل: «كان من المفترض أن أقوم ببعض الأعمال القليلة مع ماجي، وأساعدها في اقتراح بعض الأفكار من أجل المنتجع.» هزَّني سماعه ينادي باسم أمي. «لم أعرف بالخبر قبل وصولي.»

سألَت السيدة روز: «ماذا تعني بعبارة «كان من المفترض»؟ لا يفوت هذه المرأة شيئًا. ركزت نظراتها عليّ وقالت: «أنتِ بحاجة إلى كل المساعدة التي يمكنك الحصول عليها، عزيزتي. وهذا ليس انتقاصًا من قدراتك.»

أعلم أنها على حق. كل ما في الأمر أنني لست متأكدة من أنني سأتمكن من البقاء على ما يرام لمدة شهر كامل. جلوسي بجانبه وحده يجعلني أرغب بالزحف خارج جلدي، أو على حجره.

سأل السيد روز وهو يعيد ملء كؤوسنا: «وماذا عن تلك المرأة اليافعة التي كانت معك الصيف الماضي؟» لدى ويل حبيبة؟ شعور مألوف من الحسد والغيرة التفّ حول ضلوعي. «ماذا كان اسمها؟»

أخبره ويل وهو يلقي نظرة سريعة باتجاهي: «چِسيكا.»

هذا جيد. هذا يعني أن أي احتمال لزحفي للجلوس على حجره قد أُزيل من المعادلة للأبد. هذا رائع، قلت لنفسي، حتى وإذا شعرت

بأنه مِن القسوة، عندما جاء ويل أخيرًا إلى هنا، فقد جاء بصحبة امرأة أخرى. أخذت رشفة كبيرة من كأس الكوكتيل.

«چِسيكا، صحيح. إنها حقًّا جميلة، هذه الفتاة.» تمكنت من الشعور بنظرات ويل وهو يرقبني بينما أصدر السيد روز صوت صفير من بين أسنانه. قال لي: «علمناهما كيف يلعبان لعبة الكريبج.» رددت بابتسامة، ولكن لا بد أنها بدت مزيفة مثلما شعرت.

سألَت السيدة روز ويل: «وأين چِسيكا؟ هل ستنضم إليك لاحقًا؟»

قال: «لا.» وأنا متأكدة أنني شعرت بكوعه يضغط على ذراعي، قليلًا. «انفصلنا.»

حل الغسق عندما طردتنا السيدة روز. سرنا أنا وويل بتمهُّل على ممشى الحصى. لكل كوخ مررنا به موسيقاه الخاصة، صفع الأبواب الزجاجية، صوت صلصلة أطباق العشاء، تدحرج النرد وصيحة الفوز. المنزل وكوخ رقم 20 هما الأبعد عن المبنى الرئيس، وبينما كنا نسير، أصبح الدغل أكثر كثافة.

حف نبات السرخس الدرب، وزُرِعَت البيجونيا في جذوع قديمة. من الصعب التحقق من ذلك، لكن أعتقد أن ويل ثمل. وأعرف أنني كذلك.

«أعتقد أن دمي عبارة عن فصّين من مشروب الجِن» قالها، وعيناه تومضان بطريقة لم أرها منذ وصوله.

«ربما هذا على أقل تقدير.» شعرت بالانتشاء، بسبب الكحول بالتأكيد. لكنه أكثر من ذلك. إنه بسبب الاستقالة من وظيفتي وليلة الصيف الجميلة وشعوري باستعادة بعض قدرتي على التحكم لأول مرة منذ وفاة أمي.

لُمت المارتيني على السماح لي بمد يدي ولمس ذراعه. «مهلًا، ويل؟»

توقف عن المشي.

«شكرًا لأنك جعلت السيدة روز تغير الموضوع قبل قليل. إنها ليست حكايتي المفضلة.»

«أعلم أنها ليست كذلك.» تبادلنا النظرات، ألقى ضوء المصباح ظلًّا على وجه ويل.

«هل كنت تعني ما قلته؟ أن ذاك اليوم أكثر الأشياء إثارة التي حدثت لك؟»

قال: «نعم، أنا لا أقضي كثيرًا من الوقت في تلك المنطقة من المدينة، لكنني أفكر في ذلك دائمًا، عندما أكون في وسط المدينة.»

جفلت: «هل تعيش في تورنتو؟» لا أعرف لماذا لم أخمن ذلك من قبل.

قال ببطء: «نعم.»

سألته ونبض قلبي يتسارع: «منذ متى؟»

نظر ويل سريعًا إلى الأشجار. لم يرغب في الإجابة.

«فقط أخبرني.»

«منذ مدة طويلة.»

نظرت إليه بتحدٍّ، هذه الإجابة ليست كافية.

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

قال بهدوء: «عشر سنوات تقريبًا.»

أومأت مرة، لكن غالبًا لكي أتأكد أن رأسي ما زال مربوطًا بعنقي.

لم أكن أعتقد أن هناك ما هو أسوأ من اختفائه الكبير من فيرن بروكبانكس.

«عجبًا.»

قال: «فيرن،» لوحت بيدي، الألم وخيبة الأمل يغصان في حلقي.

«لا تفعل ذلك.»

«فيرن.»

«اسمع، عليَّ الذهاب. أنا ثملة. وأنتَ..» حملقت إليه وتفحصته ثم أردفت: «فارع الطول.»

تركت ويل هناك، على الطريق، واقفًا بين أشجار الصنوبر والحور.

تلك الليلة، بدأ الحلم بالطريقة نفسها. استطعت شم رائحة الفطائر قبل أن أهبط إلى الطابق السفلي، لكن عندما وصلت إلى المطبخ، كان ويل هو الذي أمام الموقد بدلًا من أمي. يرتدي بدلة زرقاء داكنة، وظهره لي. شعره طويل يصل إلى أذنيه، تمامًا مثلما كان في الثانية والعشرين من عمره، وعندما نظر خلفه، انبثقت على وجهه أجمل ابتسامة رأيتها في حياتي. جذبته إلى الطاولة ونزعت عنه سترته ببطء. تحولت ابتسامته الخفيفة إلى شراسة، وعيناه جائعتان. أبطأت حركتي وأنا أفك أزرار قميصه، راقبته وهو يتضور جوعًا، ثم ضغطت بأسناني على الجلد الذي فوق قلبه بينما احترقت الفطائر.

8

الرابع عشر من يونيو، قبل عشر سنوات

وقفت أنا وويل في مقدمة زقاق، امتدت أمامنا جدران من القرميد رُسِم عليها قوس قزح. كان ممر جرافيتي هو الأشهر في المدينة الذي يعرض فنًّا مُرخَّصًا به.

سألني: «هل أتيت إلى هنا من قبل؟»

«لا.» لقد سمعت عنه، لكنني لم أكن أعرف موقعه بالضبط. «إنه ببساطة الدرس الأول في أسبوع التعارف 101: لا تترك مشروبك يغيب عن نظرك. لا تلمس حيوانات الراكون. تحاشَ القرود المشاكسة. لا تتجول في الأزقة، حتى الأزقة الجميلة المغطاة برسم الجرافيتي.»

«أتعتقدين أنها جميلة؟»

أومأت بينما أنظر إلى الأحرف البرتقالية الزاهية بجوارنا. مددت يدي في حقيبتي القماشية، أخرجت محفظة نقودي الصغيرة المستوحاة من شخصية زيجي ستارداست، ولوحت بها في الهواء. «أعرف ما الذي سيجعلها أكثر جمالًا.»

ابتسم ويل: «حقًّا؟»

توغلنا أكثر في الممر حتى وجدنا أنفسنا محشورين بين مبنيين. حتى في الظل، كان الجو حارًّا. الرسومات المطليَّة ببخاخ الألوان غطت كل شيء من حولنا، الجدران، والبالوعات، وأبواب المرائب، وحاويات القمامة. هناك مقعد خشبي متهالك يبدو وكأنه صُنع من أعواد مثلجات ضخمة مغطاة بنقوش دائرية زرقاء وصفراء. مغطى أيضًا بطبقة من براز الطيور الجاف، لذا اختبأنا في الزاوية بجانب حاوية القمامة، وأشعلت سيجارة الماريجوانا، سحبت منها نفسًا عميقًا قبل أن أمررها لـويل. سحب نفسًا عميقًا بعينين نصف مغمضتين، ويده ممسكة بالسيجارة، واعتقدت أن هذا هو المشهد الأكثر إثارة الذي رأيته.

سأل عندما رفع رأسه ليستنشق الهواء: «إذًا، ما الرائع في تورنتو؟»

«ماذا تقصد؟» أخذت نفسًا قبل أن أعيد السيجارة له.

«لدي انطباع أنك لست راضية تمامًا أنكِ ستغادرين.» أسندت رأسي إلى الجدار ناظرة لأعلى، إلى مساحة السماء الصافية فوق الزقاق. شعرت بالفعل بأثر المخدر وهو يزحف بتثاقل في مجرى دمي، باعثًا فيّ إحساسًا بالارتخاء والسكون. كنت أثمل بسهولة. نظرت خلسة إلى ويل وهو يسحب نفسًا، ثم حدقت إلى السّماء مرة أخرى، وأنا أفكر في سؤاله. هناك كثير من الأشياء التي أحبها في العيش هنا، لكن هناك سبب كبير واحد.

قلت وأنا أميّل رأسي نحو ويل: «في مسقط رأسي، يعرف الجميع كل شيء عني. في المدينة، يمكنني الاختفاء.»

حدجني ويل بنظرته، وشعرت بجلدي مشدودًا من التوتر. قال: «من الصعب تصديق ذلك.»

أخذت نفسًا أخيرًا وأطفأت السيجارة في الجدار. «هناك حرية تكتسبها من وجودك في المدينة. أنا لا شيء هنا.»

«وهذا أمر جيد؟»

بدأنا في السير ببطء، والشمس تداعب أعيننا.

«نعم. في موطني، أنا فيرن بروكبانكس.»

ابتسم ويل في سخرية: «ألستِ فيرن بروكبانكس هنا أيضًا؟»

«بلى، لكن هذا لا يعني أي شيء. أما في موطني، فأنا ابنة مارجريت بروكبانكس.» طفلة المنتجع المشاغبة، التي تخرجت في كلية إدارة الأعمال مع إيقاف التنفيذ.

«بدا من كلامي أنني مهمة، لكنني لست كذلك. ما أقصده أن شخصيتي سبق وتحددت لي بالفعل. هذا حال المجتمعات الصغيرة، والمنتجع هو إمبراطورية صغيرة قائمة بذاتها.»

«فهمت. أنتِ سمو الأميرة فيرن.»

«آه.» قوَّست يدي فوق جبيني لأحجب وهج الضوء وقلت: «لقد مررت بقليل من...» تلعثمت. لم أتكلم عمَّا حدث معي في المدرسة الثانوية مع أي شخص آخر سوى جيمي منذ سنوات، ولا حتى وِتني.

عندما قرأت مذكرات أمي، نعتها بأسوأ الألفاظ التي يمكن تخيلها. قذفت بالكتاب نحوها في الغرفة. تصرفت بأكثر الطرق انعدامًا للمسؤولية لأشهر، حتى انتهى بي المطاف في المستشفى.

ارتأيت في عقلي صورة لأمي وهي تجلس بجانب سريري النقال، وجهها أحمر من أثر البكاء. أغمضت عيني بقوة، محاولة إبعادها. الأمور أصبحت أفضل بكثير الآن.

«هل أنتِ بخير؟» سألني ويل.

«نعم، فقط فقدت تركيزي.»

«كنت تقولين إنك مررت بشيء ما.»

«مررت بفترة من التمرد في صغري، ولم يبق شيء من هذا طيّ الكتمان. لا خصوصية هناك. أعلم أن العيش في منتجع يبدو مذهلًا، وهو كذلك في بعض الأحيان. لكن حاول أن تتعامل مع تلك اللافتات التي تنهى عن رمي شيء في المراحيض أو تلك التي توجه الناس إلى ملاعب التنس إذ ما خرجت من الباب. هناك نزلاء في كل مكان.»

أصبحت في كامل حماسي الآن، أعد على يدي أسباب تظلُّمي: «عندما أكون ابنة المالِك، فأنا أيضًا واحدة من العاملين، سواء أعجبني ذلك أم لا. عملتُ هناك كل صيف منذ الرابعة عشرة من عمري، بالإضافة إلى المناوبات خلال فترة الدراسة. كنت أطبخ العشاء لنفسي عندما بلغت العاشرة من العمر، لأن والدتي نادرًا ما بقيت في المنزل. أقصد، من الناحية التقنية، يعتبر المنتجع هو المنزل، لكنها عملت بكثرة، لم تبقَ في المنزل قط.»

سمعت نبرة صوتي فأمسكت بطرف سترة ويل وقلت: «أنا آسفة. صرت مراهقة متذمرة الآن. ظننت أنني تخلصت من مرحلة الغضب هذه.»

قال ويل: «اغضبي قدر ما تشائين. أعتقد أن هذا هو أكثر ما قلته طوال اليوم.» استدار حتى واجهني وبدأ يسير إلى الخلف، فاتحًا ذراعيه. «ارسمي لي صورة لفيرن المراهقة المعذَّبة.»

دفعت كتفه. «لم يكن كل شيء سيئًا. البحيرة رائعة. إن كنت من هواة الأنشطة في الهواء الطلق، هناك كثير من الأشياء التي يمكنك القيام بها؛ الزوارق، قوارب التجديف، الدروب المخصصة للمشي. شُيِّدَ المنتجع قبل أكثر من مائة عام، لذلك يبدو المكان بأكمله كأنه من عصر آخر، وهذا أمر رائع.»

قال ويل: «أحب أن أراه. لم أذهب إلى مكان مثل هذا من قبل. ذهبتُ إلى أكواخ أصدقائي، لكن عندما سافرت عائلتي، كنت أذهب إلى خارج أونتاريو في العادة.»

عبّرت عن استيائي. كنت أجد شكوى أمي من عدم تقدير الناس لمنطقتنا الخاصة شيئًا مزعجًا. لكنني بعد ذلك انتقلت إلى تورونتو والتقيت عددًا من الأشخاص مثل ويل، الذين لديهم الفرصة للسفر، لكنهم يذهبون بعيدًا دون استكشاف موطنهم.

اتَّسع الزقاق إلى موقف سيارات صغير تغمره أشعة الشمس الساطعة. هبت الحرارة من الأرض. خلع ويل حقيبة ظهره ووضعها على الأرض وخلع السترة الطويلة التي ارتداها.

قال وهو يطوي سترته ويضعها في حقيبته: «لم أفهم فعلًا حب الناس لقضاء أوقاتهم بالخارج إلا عندما انتقلت إلى الغرب. مستوى الجمال الطبيعي في كولومبيا البريطانية مُدهِش.» مسحت عرق قفاي، غير قادرة على النظر بعيدًا. «المرة الأولى التي أخذت فيها دراجتي إلى

ستانلي بارك، لففت بها بجوار سور الشاطئ وأنا أضحك بصوت عالٍ حرفيًّا. لم أستوعب درجات اللون الأخضر المختلفة. ما زلت غير معتاد.»

تمتمت بشيء ما لأُظهر أنني مُنتبهة، لكن ما كنت منتبهة إليه هو جسد ويل. كان مغطًّى تمامًا، والآن بانَت بشرته. بشرة امتدت فوق انحناءات عضلية متوغلة تحت أكمام قميصه. هناك شامات وأوردة وكوعان وثنيات.

أغلق ويل حقيبته وعلقها على كتف واحد، شبكت في طرف قميصه فرفعته، كاشفة عن مثلث صغير من الجلد عند وسطه.

التدخين فكرة سيئة. كان عليَّ أن أعرف ذلك. جعلني التبغ أشعر كأنني شمعة سائلة، ساخنة وذائبة. بدأت أشعر بالخدر في أصابعي.

مارستُ الجنس قبل جيمي مرتين مع شابين مختلفين. لم تكن أي تجربة منهما جيدة. أخبرت جيمي أنني أريد التمهُّل، لذلك انتظرنا حتى الصيف الثاني لنا معًا، بعدها قضينا وقتنا من مايو إلى أغسطس ونحن لا نكف عن التلاطُف، نختلس اللمسات السريعة بين فترات العمل، نلهو في سريره، نتسلل خلف الأشجار، نتسابق على الصعود إلى غرفتي. أكثر من مرة، علقنا اللافتة المكتوب عليها «سنعود بعد خمس دقائق» على باب كوخ التجهيزات. العلاقة الحميمة مع جيمي ممتعة وبها سذاجة، وبعدما اكتشف أحدنا الآخر، شعرت أنها أفضل بكثير مما توقعت.

مغادرتي للجامعة في سبتمبر بعد أربعة أشهر من العلاقة الحميمة التي لا تتوقف كانت مثل أن تحرم من الماء بعد أن تعيش بجوار ينبوع جبلي عذب. اقترح عليّ جيمي ممارسة الإمتاع عبر الهاتف. في المرة الأولى، استلقيت على سريري، أحدق إلى شرخ في سقف شقتي، محاولة ألا أضحك. ولا عجب أن جيمي استقبل الكلام البذيء باستمتاع. ظللت أعتذر له وظل يطلب مني أن أهدأ. في النهاية هدأت، لكن ليس بما يكفي للوصول إلى النشوة. قال جيمي بمجرد أن انتهى: «لدي فكرة.»

رغم أن سجائر الماريجوانا مألوفة مثلها مثل السجائر العادية في ليالي السهر في تورونتو، كنت حذرة. أنا حينها فيرن جديدة، تتخذ قرارات ذكية.

لكن جيمي أكد لي أن قليلًا من الحشيش لن يجعلني أفقد السيطرة على نفسي، ووصَّلني بشاب يوزع هذه الأشياء في وسط المدينة. عندما جرَّبنا في المرة التالية، ثملتُ أنا أولًا. جعلتني الماريجوانا قادرة على نطق كلمات مثل لثم، ومبتل، وأنا أعنيها. لكنها أيضًا حوّلت أحشائي إلى عسل دافئ. ممارسة الجنس عبر الهاتف أصبحت هوايتنا.

مرَّر ويل يده في شعره، تابعت يده كأنها تتحرك بالتصوير البطيء. كان هناك بقعة من الطلاء على باطن ذراعه اليمنى، وبجانبها خط من الحبر الأسود. اجتاحتني الرغبة بعنف. جعلني جيمي أشعر بأحاسيس جيدة، لكنني لم أشعر بدفعة من الرغبة الوارفة لهذه الدرجة من قبل.

نظر إليّ ويل بهزَل وقال: «ما الأمر؟»

ابتلعت ريقي. ارتخى لساني. قلت: «هناك بقعة من الطلاء على ذراعك.»

لفَّ كوعه، كاشفًا أكثر عن الوشم، وقال: «أجل. لا بد أنها من زيّ العمل.» بدأ الخِدر في التفشّي، متحولًا إلى نبضة خفيضة. حدق ويل إليَّ، عرف أنني كنت أحملق إليه. قلت وأنا أشير إلى وشمه: «هل هذه شجرة؟» (واضح أنها شجرة.)

«نعم.» شمر كم قميصه. نمت شجرة رقيقة من الكوع إلى الإبط على باطن ذراعه. «رسمتها قبل سنتين. أعتقد أنها مبتذلة نوعًا ما.»

«كيف ذلك؟»

ابتسم لي ويل في كسل، فأدركت أنه كان ثملًا. «حسنًا، لقد درست في إميلي كار.»

«سمعت عن ذلك.»

قال: «إميلي كار هي جامعة للفنون، وأيضًا واحدة من أهم الرسّامات في هذا البلد، رحمها الله.»

ضحكت: «أخبرني مزيدًا، دالي.»

«الشجرة الواحدة هي فكرة شائعة في أعمال كار، لذا فإن ذلك يشبه رسم وشم بشعار مدرستها. لكن هناك شيء مهيب في أشجار الصنوبر. هذا هو أكثر ما أحبه في فانكوفر، كيف أن الطبيعة والمدينة تتداخلان.»

انحنيتُ لأرى عن قرب. معظم الوشوم التي رأيتها من النوع المختار من دفتر صور للوشوم، لكن وشم ويل فريد. من الجليّ أنه رسم خاص، والتظليل في غاية الدقة.

«حسنًا، إنه وشم مبتذل رائع.» قلتها رافعة بصري لأنظر إلى ويل، فوجدته يحدق إليَّ بدوره. تبادلنا التحديق مدة ثانية تقريبًا، لكنني شعرت كأنها دقائق، حتى أفزعتنا صفارة إنذار الشرطة.

قال ويل وهو يعيد سحب كُمّ قميصه لأسفل: «أعتقد أن هذا يعني أنك تفضلين رسوماتي على لوحاتي الجدارية.»

«أنت الذي رسمت ذلك؟» سحبت زجاجة ماء من حقيبتي القماشية، أفرغت نصفها في جوفي، ثم عرضت ما تبقى على ويل. ميَّل رأسه للخلف وأغلق عينيه عن الشمس، حنجرته تتحرك وهو يبلع الماء. انزلقت قطرة من جانب فمه. تتبعت مسارها إلى ذقنه كأنني فهد مفترس، حتى اهتز هاتفي.

قطبت بينما أنظر إلى الشاشة. جيمي لا يتصل إلا إن خططنا لـ «الحديث» مسبقًا.

قلت لويل وأنا أبتعد عنه بضع خطوات: «آسفة، سأجيب عن هذه المكالمة.»

قلت لجيمي: «مرحبًا، هل كل شيء على ما يرام؟»

جلجلت ضحكة في الطرف الآخر للخط.

«بالطبع. أنا على وشك أخذ جولة بقارب التجديف في سموك.» خفض جيمي صوته وأكمل: «اشتقت إليكِ، فيرني. أردت سماع صوتك للحظة. لقد مر وقت طويل.»

تلبكت معدتي. قلت: «أعرف. كان الأمر صعبًا مع وتني هنا.» رغم ذلك، كل منا كان يعرف أن المدة أطول من ذلك. لقد تحدثنا عدة مرات منذ انتهاء المدرسة، ليست سوى مكالمات جنسية. لم أستطع

أن أدع جيمي يعرف كم كنت تعيسة بسبب العودة إلى الوطن، مما جعلني أكثر تعاسة.

بغض النظر عن الطريقة التي عبَّرت بها عن ذلك، الرسالة الأساسية دائمًا: «*مرحبًا، حبيبي، لا أرغب في العودة إلى الوطن، حتى وإن كان ذلك يعني قضاء الصيف معك. لا أقصد إهانة! فكرة العمل في المنتجع بقية حياتي تجعلني أرغب في تمزيق جلد ذراعي. لا تأخذها بشكل شخصي، لكن من المحرج قليلًا أنك تحب عمل عائلتي أكثر مما أحبه أنا.*»

عرفت أن ما أرغب فيه حقًّا بمثابة مُفجِّر ديناميت لعلاقتنا. كرهت إخفاء الأمور عن جيمي، لذلك بدأت في تجنبه بدلًا من ذلك.

قال جيمي: «أخبرتني وِت إنك بدوتِ على غير طبيعتك.»

صدمني كلامه. اعتقدت أنني أبليت بلاءً حسنًا في التظاهر بأنني بخير. «هي قالت ذلك؟»

«في رسالة نصية. قلتِ إن زيارتك غريبة؟»

راقبت ويل. كان يكتب شيئًا ما على هاتفه. «نعم، غريبة. أشعر أنها لا تفهمني أحيانًا، تفهم قصدي؟ تعتقد أنني سأعود إلى الوطن وكل شيء سيعود كما كان عندما كنا في الثانية عشرة من عمرنا، ولكننا أشخاص مختلفون الآن.» لم ترغب وتني في التحدث عما حدث في المدرسة الثانوية قط. تتظاهر بأننا لم نخض ذلك الاشتباك الهائل، وأننا لم نتباعد قبل ذلك بسنوات عندما بدأت تواعد كام. «أشعر وكأنها لا تثق بي.» رأيت كيف نظرت إلى مشروبي عندما طلبته للمرة

الثانية في الحانة الليلة الماضية، لكنها يجب ألا تقلق. نادرًا ما أشرب أكثر من كأسين هذه الأيام.

«أنت تفكرين بالأمر أكثر من اللازم، فيرني. امنحي عقلك هذا بعض الراحة. بمجرد عودتك إلى هنا، سترين، ليس هناك ما يدعو للقلق. أنت ووِت صديقتان طوال حياتكما.»

تنهدت: «أتمنى ذلك.»

أبعَد ويل هاتفه وراح نحو مجموعة من الأسماك المرسومة على جانب مبنى من ثلاثة طوابق.

قال جيمي: «يجب أن أذهب. أحبك.»

«أنا أيضًا أحبك.»

راقبت ويل من مسافة آمنة. كان موليًا ظهره إليّ، ساندًا يديه إلى رأسه.

مرت أربع سنوات دون أن أشعر بأي اهتمام تجاه أي شخص سوى جيمي. تغزَّلت قليلًا. توددت لبعض الرجال قليلًا. رقصت مع الشباب، لكنني وضعت حدًّا بألا يصل الأمر إلى أن يدفعوا لي ثمن المشروب. وتحملت السخرية المستمرة لكوني في علاقة عن بُعد مع شخص عرفته منذ الطفولة.

أعطتني آيلا درسًا ذات مرة حين قالت: «لن تكوني أكثر جاذبية أبدًا.» التقينا في السنة الأولى في صف الاقتصاد الكلي، وكانت أقرب صديقة لي في المدينة. «أنتِ تضيعين سنواتك الذهبية.» ثم قابلَت جيمي. نجح في إقناعها بعد ثلاثين دقيقة بعدما اقترح علينا الذهاب إلى حانة كاريوكي للترفيه مساء. عندما غنَّى أغنية ألانيس الرائعة

You Oughta Know، سقطَت في شباكه. انتهت الليلة وآيلا تجرنا إلى شقتها وهما يغنيان أغاني نيللي فورتادو التي لا يستطيعان تذكر كلماتها.

كان جيمي متوغلًا في جميع أجزاء حياتي. ظننت أنني أريده أن يبقى هكذا إلى الأبد.

سألني ويل عندما اقتربت منه: «هل كل شيء على ما يرام؟»

«أجل. مجرد صديق.»

أطلت النظر إلى ملامح ويل. كنت في حالة سكر، لا أشعر بذرة من الخجل، ولدي نظرية. سمحت لعيني بالنظر إلى تجويف خديه وفكه. تمعنت في ذراعيه وصولًا إلى جذعه. عندما عدت لأنظر إلى رقبته، وجدتها مشربة بالحُمرة. هذا الوخز المثير الذي شعرته تجاه ويل، كان جسديًّا صِرفًا. أنا واثقة بذلك.

سألته: «ما شكل فرِد؟»

تجعد أنف ويل: «فرِد؟»

تحركت نحو الزقاق وقلت: «نعم.» هناك مساحة أكبر لأستكشفها. «هل هذا الموضوع حساس؟»

«لا.» قالها ويل وتابَع: «بالطبع لا. فرِد...». سكت قليلًا ثم أردف: «فرِد حالة خاصة. لا أحد يشبهها.» ضحك وقال: «إنها تحرص على التأكُّد من ذلك. إن دخل الجميع من الباب الأمامي، فستبحث فرِد عن مدخل جانبي. تفعل كل شيء بطريقتها الخاصة.»

طأطأت رأسي لأسفل لأتمكن من إبداء استيائي.

حكى لي ويل كل شيء عن فرِد. لديها سجادة جدارية منسوجة في أحد المعارض الفنية في جاستاون. عنوان اللوحة كان «لعنة» وهي تجمع بين الألم والقوة وخصوبة الحيض. التزمت فرِد بارتداء ملابس حمراء تمامًا في أثناء العمل على السجادة الجدارية في السنة النهائية للدراسة. لفرِد أفكار لا تنضب. على سبيل المثال، قدمت فرِد تيمة «الفشل» موضوعًا منشورًا في جريدة الطلاب الإخبارية في عدد التخرُّج، وساعدت في تتبع خريجي جامعة إميلي كار لمشاركة أكبر الإخفاقات التي واجهوها.

فكرت بيني وبين نفسي، *يبدو أن فرِد تأخذ نفسها على محمل الجد فعلًا*. قلت: «يبدو أنها مرحة. منذ متى وأنتما معًا؟»

«حوالي خمسة أشهر.»

فقط؟ كادت الكلمة أن تخرج من فمي.

قال ويل: «ماذا؟»

«لا شيء.»

«لا، هيا، لديكِ تعبير على وجهك.»

«غير صحيح.»

«بلى.» وأشار إلى فمي، فتوقف كلانا عن السير. «لديكِ لمحة من التعبير.»

«حسنًا. أصبح لدي الآن، لكن هذا لأنك قلت *لمحة*.»

«ألم تحكُمي على طول فترة ارتباطي؟»

وضعت يدي على صدري وقلت: «لا، إطلاقًا.»

لم أحب أنني شعرت بالغيرة من فِرِد، لكن ما الذي يهم إذا كنت كذلك؟

كان ويل في غاية الإثارة. هذا هو الأمر. لم يكن هناك أي شيء آخر غير ذلك.

انحنى ويل لأسفل ليلاقي نظرتي، عيناه تتلألأن. قال: «كاذبة.»

9

الآن

«ماذا تعنين بأنك لم تبحثي عنه على جوجل؟» لوَّحت وِتني بحفاضة في الهواء.

أقنعتها بالسماح لي بالجلوس مع أوين عندما يكون لديها موعد مسائيّ هي وكام. إنه مجرد عشاء في مطعم بروكبانكس، والخطة هي أن يتركا الطفل معي في المنزل بينما يتمتعان ببعض الوقت بمفردهما، ولكن لا يزال من الصعب عليّ إخراجهما من البيت.

لقد ركَّبا سرير أوين النقّال، وشرحا لي كل التفاصيل عن كيفية إطعامه من الزجاجة، وأعطياني وصفًا مفصلًا عن تسريب الحفاضات لديه، وأسلما إليَّ ورقة مطبوعة بها أسئلة وإجابات متكررة عن أوين، حاولَت هي أن تجعلها مرحة، مع عناوين مثل «يا إلهي اللعنة، لقد تبرز! ما الذي يجب أن أفعله الآن؟»، لكنها لا تزال تعليقات كريهة. إنها أيضًا لا تشبه إطلاقًا طبيعة وِتني.

نظرت إليها وهي جاثية فوق أوين، الذي يتلوى على الأريكة دون حفاضة. ارتدت فستانًا قرمزيًّا بإزار قابل للفك من الأمام من أجل الرضاعة. ثدياها متضخمان. يحدّ جذور شعرها خط رقيق من العرق. الخصلات بجانب مقدمة رأسها قصيرة وهشة، كانت تشكو منها.

من الواضح أن شعرها تساقط بعد الولادة وهذا ما نبت بعده. الأمومة غيرتها بطرق لم أنتبه إليها، وربما لم تلاحظها هي أيضًا.

قلت في أثناء بحثي عن مناديل مبللة في حقيبة الحفاضات: «أنت تعرفين شعوري حيال التجسس على الناس عبر الإنترنت.» لم أبدِّل الحفاض لطفل من قبل، لكن ما الصعوبة في ذلك؟ «دعيني أفعل ذلك يا وت. ستتأخران عن موعد الحجز.»

قالت وت: «لا تغيري الموضوع.» ونظرت إلى العبوة التي في يدي: «لا تحتاجين إلى مناديل مبللة عندما يكون هناك قليل من البول فقط.»

انتهت من لف الحفاض على خصر أوين، ونهضت واقفة وهي تحمله بمهارة وسرعة لشخص قد فعل ذلك مئات المرات من قبل، وهذا ما فعلته، وِتني أُم. كنت أعرف ذلك من قبل، لكن ليس كما أعرف الآن، في هذه اللحظة. لم نعش في المكان ذاته منذ المدرسة الثانوية. لقد فاتنا كثيرًا في أثناء رحلتنا لنصبح بالغين.

قالت وِتني: «إذًا فأنت لم تبحثي عنه أبدًا؟ حتى في الوقت السابق؟»

«لا.» هذا كلام خطأ تمامًا.

«ستسلمينه مستقبل المنتجع، ولم تبحثي لتتأكدي أن أعماله شرعية؟» نظرت إلى كام ليؤكد كلامها، لكنه هز كتفه العريض. إنه أطول ببضع بوصات من وِتني، ولديه ذراعان تناسبان غلاف لمجلة عن رجال الإطفاء.

الاثنان لم يفترقا منذ الخامسة عشرة. كان كام طفلًا بليدًا في المدرسة الابتدائية، لكن الصيف الذي بين الصف التاسع والصف العاشر كان ممتعًا له، من المستحيل عدم الانتباه إلى وِتني وهي تلاحظ وجوده عندما بدأ العام الدراسي في الخريف. أُعجَب كام منذ زمن طويل بالشخص المناسب. ما زلت أتذكر كيف طلب منها الحضور لحفل شتوي كما لو أنه تحدٍ، رفع ذقنه بتحدٍ. لم تستطع وتني مقاومة جراءته.

إنه الآن مستشار قانوني في مدرستنا الثانوية القديمة، وهو شخص مستقر، ذو قلب طيب، وأراهن أنه ممتاز في عمله. أعرف أن وتني جيدة في عملها. إنها اختصاصية صحة الفم الأكثر شغفًا، بلا شك.

«لم أوافق على أي شيء، وربما بحثت عنه بحثًا سريعًا قبل سنوات. ولكن هذا كل شيء.»

ارتكبت خطأ البحث عن ويل أمس، لكنني لم أره بشحمه ولحمه منذ حفل الكوكتيل مع آل روز يوم الأحد. وذلك كان قبل ثلاثة أيام، صرت أتجنبه منذ ذلك الحين. دُهشت إلى حد ما، لأنه لم يحزم أمتعته ببساطة ويغادر.

قضيت معظم وقتي مع جيمي، حتى عرَّفني كل ما أحتاج إلى معرفته. حتى إنني دخلت إلى غرفة الطعام. شعرت بوجود أعين تنظر إليّ فور دخولي، وأردت أن أختفي، لكنني فعلتها. أصبح واضحًا كم حماني جيمي في مرحلة تخطي غشاوتي المعتمة وحزني.

الآن، عندما أمسي مستيقظة في منتصف الليل، أتسلل بخفة إلى نافذة غرفتي وألقي نظرة على الضوء الناعم القادم من الكوخ رقم

20. لست الوحيدة التي تعاني الأرق هنا. حدقت إلى المربعات التي شكَّلها الضوء بين الأشجار وتساءلت إن كان بإمكاني تحمُّل ولو ساعة واحدة من العمل مع ويل. لأنني كلما تعلمت مزيدًا فيما يتعلق بالمنتجع، عجزت عن إنكار حقيقة أننا بحاجة إلى مساعدته.

أعطت وِتني الطفل لكام، الذي اعتدل في الوقوف فورًا، وفعل بوجهه تعبيرات مضحكة وهو يتمايل. منذ أن بدأ أوين بالضحك، أصبح والداه مهووسين بجعله يقهقه. إنه طفل رائع، لديه بشرة كام البنية الداكنة وعينا وِتني الواسعتان.

فتشت وِتني في حقيبتها ثم سحبت منها هاتفها، ونقرت على الشاشة.

«هل هذا هو؟» رفعت الهاتف أمام وجهي. إنها صورة لوجه ويل. شعره مسحوب إلى الوراء ويرتدي سترة وربطة عنق. كنت قد درست كل إنش في الصورة بالفعل. الرموش الكثيفة، العينان البنيتان القاتمتان، انحناءة شفته العلوية، الحد البارز لفكه، وأنفه الطويل. إنه جذاب بطريقة لا تصدق.

قالت وِتني: «أستنتج من اتساع حدقتي عينيك أنه هو.» أشارت لكام على الصورة، فألقى عليها نظرة سريعة، ثم عاد ودقق النظر حتى كادت نظارته تلتصق بالشاشة.

قال: «اللعنة! عمل رائع يا حبيبتي.»

قلت: «كام، بالله عليك لا تناديني بهذه الطريقة، وماذا تقصد بـ *عمل رائع*؟»

«لقد تورطتِ معه، أليس كذلك؟»

«لا.» رددت أنا ووتني في نَفَس واحد.

تجهم كام وقال: «مهلًا، ألا تنامين معه؟ لماذا نهتم بهذا الشخص مرة أخرى؟»

«لأنه أوقع طفلة في حبه، ثم تركها محطمة القلب. يجب أن تكون على دراية بما يجري يا كامدن.»

«آه، هذا هو الشخص الذي هجرتِ جيمي من أجله؟» سأل كام.

انفجرتُ غاضبة: «لم أهجر جيمي.» أكره أن هذين الاثنين يعتقدان أن الانفصال كان بسببي. خرجنا معًا نحن الأربعة في الصيف، عندما كنت أواعد جيمي، لكن كام وجيمي ظلا على تواصل. إنهما صديقان مقربان الآن.

قال: «عمليًّا. لكنك أجبرته على ذلك.»

نظرت إلى كام بغضب بينما بدأت وِتني القراءة من الموقع الإلكتروني. «**ويليام باكستر هو شريك في باكستر-لي.** إلخ، إلخ، كلام ممل، ممل. **وهو متخصص في التسويق والعلامات التجارية الإستراتيجية وعُيِّن أحدَ أصحاب الرؤى الأكثر إثارة للاهتمام في عام 2019 من مجلة كانديان بيزنيس. حصل ويليام على بكالوريوس الفنون الجميلة من جامعة إميلي كار، كما حصل على درجة الماجستير في إدارة الأعمال من كلية** Rotman School of Management.

اتسعت عينا وتني وهي تمرر الصفحات لأسفل. هذا ما كنت أخشاه.

قالت: «أعتقد أن ويل قد يكون شخصية مرموقة نوعًا ما. له صور في الحفلات وعلى السجادة الحمراء.»

عادت تنظر إلى الشاشة بالعزم نفسه الذي كانت تُظهِره عندما لعبنا لعبة النزيل الغامض.

قلت: «أعطني ذلك.» وخطفت منها الهاتف. اعتزمت أن أطفئه وأعطيه لكام ليحتفظ به، لكن عيني تحجرتا عند الصورة التي ملأت الشاشة. كنت قد رأيت هذه الصورة أيضًا. إنها لويل، ارتدى بدلة رسمية، وذراعه ملفوفة حول امرأة مرتدية فستانًا أخضر زمرديًّا. جمالها مذهل. لديها شعر غامق مثل شعره، لكن شعرها انسدل بنعومة على كتفيها، مموجًا إثر مكواة تصفيف حرارية. كان يبتسم مُجاملةً للكاميرا، بينما تبتسم هي بأسنان ناصعة البياض، اصطفت بتناسق أخّاذ، وشفتين ورديتين مخمليتين، وكلمة «ممتلئة» اختُرِعَت لتصفهما.

قالت وِتني: «إنها حاضرة في كثير من الصور. چِسيكا رشاد. كُتِب في أحد العناوين أنها تقتني الأعمال الفنية وتسهم في الأعمال الخيرية. ألا يعني هذا أنها ثرية؟» ازداد اتساع عينيها، ولمعت كمصابيح تشقّ الضباب، وقالت: «فلنبحث عنها!»

قلتُ، محاولة التصرف كمن لا يهمه أن حبيبة ويل السابقة مثيرة مثلها مثل زوجات فرقة جوناس برذرز: «لا، أنتِ ممنوعة من هذا تمامًا. حان الوقت لكي تعطيا لي هذا الطفل وتغادرا من هنا.»

أعطيت الهاتف لكام ليكون في مأمَن منها، وأخذت أوين من بين ذراعيه. تبادل صديقاي النظر، وعلى وجهيهما علامات القلق.

«نحن فعلًا سنكون بخير.» نقرتُ على أنف أوين فابتسم لي بفم بلا أسنان. نظرت إلى وتني ورفعت حاجبيّ، قلت لها بحركة شفتي ودون صوت *قلت لك ذلك*. ثم قلت: «ولا تتعجلا العودة. اشربا كوكتيلًا. اطلبا حلوى.» رغم ذلك، أعطيتهما ساعة واحدة ليعودا.

طَبَعا كثيرًا من القبلات على رأس أوين، ثم ذهبا أخيرًا. راقبتهما وهما يُغادران من المدخل الخشبي، أمسك بذراع الطفل الممتلئة، وألوح لهما وهما يغادران.

لم تمر سوى خمس عشرة دقيقة حتى بدأ أوين في الصراخ.

فعلت كل شيء. بدلت حفاضة أوين المتسخة. حاولت إطعامه. وضعته على ركبتي وأخذت أهزه. فعلت تعابير مضحكة بوجهي. غنيت بأداء مسرحي أغنية There's a Hole in My Bucket، لكن الطفل لم يكف عن الصراخ. ساورني قلق أنه سيجعل نفسه يتقيأ، وأنا لم أعد أرتدي بنطالًا بعدما انسكب الحليب على كلينا، أنا وأوين.

«أوين يا عزيزي. من فضلك، أرجوك، لو سمحت، توقف عن البكاء.» توسلت إليه وأنا أتجول به في غرفة المعيشة بينما أوشك أنا شخصيًّا على البكاء. عادةً، لا أبكي بسهولة، لكن بعد وفاة أمي، وكأن أحدهم ركَّب صنبورًا راشحًا خلف جفوني.

ثمة تحوُّل جوهَري حدث بيننا عندما أخبرت أُمّي أنني لا أرغب في الانضمام إلى شركة العائلة. شعرتُ بالذنب، وبالحرية أيضًا. لم تستطع أمي أن تفهم لماذا أرغب في العيش براتب قليل في تورونتو، في حين أنَّ بإمكاني العودة للوطن وكسب دخل حقيقي. كنا نجري مكالمة كل أحد، في الغالب نقضيها في الجدال. بحلول الوقت الذي

أصبحت فيه مديرة في مقهى فِلتر قبل ست سنوات، اعتقدت أنها استسلمت للعيش في المدينة. توقفنا عن المشاحنة. زارتني لنتناول الغداء معًا، وأعجبت بمدى ازدحام فرعنا الرئيس.

عندما واعدتُ فيليب، استطعت الشعور بمدى شكوكها. قالت: «يبدو أنّه راض جدًّا عن نفسه.» وصف صائب، لكنني اكتشفت أن لديه كثيرًا ليفتخر به: عملًا ناجحًا، عضلات بطن واضحة، شقة رائعة في كنيسة تحولت إلى مجمع سكني. أخبرتني أن أتوخى الحذر.

كان يوم أحد عندما وجدته مع مصممة القبعات. قضيت معه فترة ما بعد الظهيرة في المكتب، نستعرض خطط التجديد لفرعنا الثالث، ورغم مكوثي في منزله أغلب الأوقات، أخبرني أنّه بحاجة إلى قضاء أمسيات الأحد وحده من أجل «إعادة شحن طاقته». ناسبني ذلك. كان لديّ نظامي الشخصيّ. أولًا؛ شراء طلبات البيت، ثم مكالمتي مع أمي. كلّ ما حدث أنني خرجت من الترام عندما تداركت أنني نسيت هاتفي. الاندهاش كلمة لا تعبر عن إحساسي عندما وجدت فيليب مع امرأة فوق مكتبي. كنت تحت تأثير الصدمة عندما اتصلت أمي، وحكيت لها القصة كاملة، وهذا هو أكثر ما أفشيته لها عن حياتي العاطفية.

ظهرت في شقتي في اليوم التالي بحقيبة صغيرة لم أعرف أنها تملكها، ورغيف من خبز بيتر بعجين الساورودو. بقيت عندي ثلاث ليال، أطول وقت قضيناه معًا منذ سنوات، بعيدًا عن فترة أعياد الكريسماس. لم تطرح عليَّ أسئلة. لم تضغط عليَّ لأخبرها عمّا إن كان لدي فكرة بأنه كان يخونني. توقعت أنها ستعرض عليّ العودة إلى الوطن، وأن أعمل في بروكبانكس. لكنها لم تفعل ذلك أيضًا. شاهدنا

كثيرًا من الأفلام على منصة نتفلكس، وأكلنا كثيرًا من الخبز. عندما عانقتني لتودعني، لم أرغب في ذهابها. وعندما قلت لها إنني سأشتاق إليها، شعرت بشيءٍ ما بيننا يتحوَّل مرّة أخرى، خف التوتر. صرنا أقرب في تلك اللحظة مما كنا عليه قبلها.

توفيت بعدها بسنتين.

شعرتُ أنني فقدتها حينما بدأنا نتفاهم. بأسى استرجعت ذكرياتي عن أمي. طريقتها في التسلل إلى غرفتي وتقبيلي في الليل بعد عودتها من المنتجع، ظنًّا منها أنني نمتُ بعدما انتظرتها طوال اليوم. وفي أصباح الخريف الباردة، عندما هدأت الأمور قليلًا، توقظني باكرًا لأجلس معها عند البحيرة، بينما تشرب قهوتها. طريقتها في تقديمي للناس باسم «فيرنَتي»، فطائرها التي أصرت على تحضيرها بالحليب منزوع الدسم، رغم عدم توفره في المنزل قط. فكانت بدلًا من ذلك تمزج معه عصير الليمون حتى يصبح حامضًا. حزنت أيضًا على مستقبلنا الذي لم نعشه، وعلى العلاقة التي بدأنا في تقويتها مؤخرًا.

تعبت من البكاء، من العينين الملتهبتين، واحتقان الأنف، والشعور بأنني لن أستطيع التوقف عن البكاء أبدًا. حاولت السيطرة على نفسي بعد الجنازة بأسبوعين. أخفقت بضع مرات، لكن الآن -في أثناء محاولتي لتهدئة طفل صعب المراس ذي الخمسة أشهر- فشلت في الكف عن ذلك فشلًا مروعًا.

كاد طرق الباب لا يُسمع إثر الضجيج الذي يُحدِثه أوين. توقفت عن تهدئته، فسمعت الطرق مرَّة أخرى. لا بد أنَّ وتني وكام أنهيا

سهرتهما مبكرًا. شعرتُ بارتياح شديد، ولا يهمني إن كنت قد فشلت تمامًا كجليسة أطفال.

لكن عندما فتحت الباب، وجدتُ أن الطارق لم يكُن وتني ولا كام، إنه ويل.

لم أستطع أن أميِّز ما الذي يحير عقلي عندما أراه. البنطال الچينز الأزرق والقميص الرّمادي الباهت. طوله الفارع. حقيقة وجوده هنا عمومًا. لكن إذا كان عليّ الاختيار، ربما سيكون شعره. إنه أقصر من ذي قبل، لكن رؤيته بهذا الشكل، فوضوي وغير مصفف، ممتدًّا في خط أسود بعرض جبينه، جعلني أشعر وكأنني رجعت إلى سنّ الاثنتين وعشرين.

«أنا هنا من أجل طقوس التضحية بالرضيع. الساعة الثامنة مساءً، أليس كذلك؟» قالها ويل فجفلت، بينما تلوى أوين بحماس بين ذراعي.

تخيلت كيف نبدو من وجهة نظر ويل: كلينا ذو عينين منتفختين وملطختين بالدموع. الطفل عارٍ باستثناء الحفاضة. أنفي يسيل. لا أرتدي حمالة صدر ولا بنطالًا، وقميصي القطني الرمادي ملطخ ببقع من حليب صديقتي المقربة.

«سمعت البكاء؟» سألته، محاولة أن أبدو وكأنني في الواقع أرتدي بنطالًا ولست في وسط فوضى هائلة. مُقدِّرة أنه يُبقي عينيه على وجهي.

«أعتقد أن بإمكانهم سماع البكاء في ألاسكا.»

رفعتُ صوتي من بين صياح أوين الصاخب وقلت: «أنا آسفة. سأغلق النوافذ.»

قال ويل: «في الواقع، جئت لأرى إذا كنت أستطيع المساعدة.»

«من أجل الطفل؟» كأنني سألته بنبرة عدم التصديق في صوتي «*من أجل التضحية بالرضيع*؟»

«نعم. أعرف شيئًا أو اثنين.»

من الذكاء في هذا الموقف أن أكذب، أن أخبر ويل أن الأمور تحت السيطرة، ثم أطلب منه بلطف أن يغادر.

قال ويل: «إذًا، هل يمكنني الدخول؟»

لكن الحقيقة هي أنَّ أوين خرج عن طوره منذ عشرين دقيقة على الأقل، كنت يائسة. سندت الباب بخصري ليبقى مفتوحًا.

بمجرد دخول ويل، أدركت أنني أخطأت. وقف أمامي عند المدخل، وكان حضوره طاغيًا وهو واقف في غاية القُرب مني. جلب رائحته التي تشبه السكر المحروق معه، وعندما انحنى لأوين، رأيت بقع النمش المنثورة على وجنتيه من الأعلى. تخيلت نهايات بديلة لليوم الذي قضيناه معًا مرات كثيرة، إنها مخجلة، لكن لا شيء سارع في إعادتي إلى تلك اللحظة مثل وجود ويل باكستر في منزلي. المهانة والرغبة أصاباني بنسب متساوية.

وضع ويل يده على كوعي.

«لماذا لا تسمحين لي أن آخذ...» ثم سكت.

«أوين.»

ضغط على قدميْ أوين وقال: «لماذا لا تسمحين لي أن آخذ أوين، وأنتِ يمكنك أن ترتدي ملابسك؟» نظر إليَّ، ونظرة الشغب في عينيه كادت تقطع أنفاسي. أول نظرة رأيتها من أثر ويل القديم. «إلا إن كان لديكما سياسة خاصة في هذا البيت بالتجرد من البناطيل.»

همستُ: «لقد سكبت الحليب، على كلينا.»

قال: «لن أخبر أحدًا.» نقلت أوين إلى ذراعيه، فوضعه على كتفه في حركة واحدة وبسهولة.

قلت: «غرفة المعيشة عن اليسار.» مستحيل أن أوصله إلى هناك. سروالي الداخلي كتب عليه من الخلف «يوم الاثنين» تحت صورة لـ Little Miss Grumpy. بالإضافة إلى أن اليوم أربعاء.

في الطابق العلوي، صببت ماء باردًا على وجهي، والحمد لله أنني لا أضع مساحيق تجميل وأن وجنتيّ ليس عليهما خطوط من آثار الماسكارا. مررت فرشاة عبر شعري، دهنت مزيل العرق، ارتديت حمالة صدر وقميصًا داخليًا نظيفًا وسروالًا قصيرًا من الچينز. ألقيت نظرة سريعة على نفسي في المرآة.

عندما نزلت الدرج، وجدت أوين هانئًا بين ذراعي ويل، ينظر إليه بصمت وهو يغني له. راقبتهما من مكاني. صار أوين مرتديًا منامة فيروزية، أدركت أن ويل يغني له Closing Time، الأغنية التي انتهت بها كل حفلة رقص حضرتها في المدرسة الابتدائية. عندما انتهى، حمل الطفل أمامه، وأوين المشاغب الصغير أخذ يضحك.

قلت متقدمة نحوه: «إنه تأثير فرقة سيمسونيك الذي لا يمكن إنكاره، سارٍ على فتيات الصف السابع والأطفال.» استدار ويل ونظر إليَّ، محاولًا استيعاب ما ارتديته.

«ماذا؟»

هز ويل برأسه وقال: «قبَّلت كاثرين ريس ونحن نرقص على هذه الأغنية.»

ضحكت رغمًا عني وقلت: «وأنا قبَّلت جاستن ترمبلاي.» ملست على رأس أوين وأردفت: «كيف روضتَ هذا التنين؟ لم ينجح معه أي مما فعلت.» خطفت نظرة إلى ويل، فوجدت دفئًا غامرًا في عينيه، رجعت خطوة للوراء. ثم تبادر الأمر إلى ذهني. «آه. هل لديك واحد؟»

بدا ذاهلًا: «لدي طفل؟ لا.»

«ألا تريدهم؟»

«لا.» سكت لحظة ثم أردف: «لا أعرف. ماذا عنكِ؟»

قلت بملامح جامدة: «لدي خمسة. أوين أصغرهم.»

تلقيت منه ابتسامة صغيرة على هذا الكلام. حدق ويل إلى الطفل ثم قال: «رأيتك تلوحين لزوجين أعتقد أنهما والداه.»

«صديقتي المقربة وتني، وزوجها». دققت في وجه ويل لأعرف إن تذكر اسمها، لكن لا شيء. «هذه أول مرة أجلس فيها مع طفل. كما هو واضح.»

صرَّخ أوين في الوقت المناسب ودس قبضة يده في فمه.

سألني ويل وهو يدير الجزء العلوي من جسمه ليهدئ أوين: «هل تمكنت من إطعامه؟ أعتقد أنّه جائع.»

«حاولت، لكنه لم يتوقف عن البكاء. لم أتمكن حقًّا من جعله يشرب. يمكننا أن نحاول مرَّة ثانية.»

سخنت الحليب في المطبخ، وعندما عدت، وجدت أوين في حضن ويل الجالس على الكرسي المريح، وعلى عنق أوين مريلة. لم أفكر أن أضع له المريلة من قبل. مد ويل يده ليأخذ زجاجة الحليب.

قال: «أستطيع فعل ذلك، إلا إذا رغبت أنتِ في القيام بذلك.»

«تفضَّل.» جلست منطوية على نفسي على الأريكة.

«ولد جائع.» قالها ويل، بينما أخذ أوين يتجرع الحليب بسعادة. راقبتهما ذاهلة. نظر ويل إليَّ، ولم يكن من مجال ألا يرى صدمتي، لكنه لم يقدم أي تفسير لمهارته في التعامل مع الرضع.

بدأ أوين يتلوى، فحمله ويل وربت على ظهره بلطف حتى تجشأ بصوت عالٍ مثل هومر سيمبسون، ثم استرخى بين يدي ويل.

عندما فرغت زجاجة الحليب، جعل ويل الرضيع يتجشأ مرة أخرى، مسح ذقنه، ثم أخذه ووضعه بلطف على السرير النقال في زاوية الغرفة. لم يصدر أوين أي صوت.

همس ويل: «هل هناك غرفة أخرى يمكننا الجلوس فيها؟» تفاجأتُ. ظننت أنه سيغادر. «إلا إن فضَّلتِ أن أغادر.»

قلت: «ابقَ. إذا استيقظ، فسأحتاج إلى دعمك.»

أخذت ويل إلى المطبخ. صناديق الأحذية الممتلئة بدفاتر يوميات أمي ما زالت على الطاولة، في المكان نفسه، لم تُمَس منذ أعطاها لي بيتر.

أخرجت زجاجة نبيذ أبيض من الثلاجة ومددتها نحوه في تساؤل. أومأ برأسه ثم نقر بإصبعه على كُتيّب وتني «أسئلة وأجوبة حول رعاية الأطفال» على طاولة المطبخ.

«ما هذا؟»

جاوبته وأنا أصب النبيذ: «دليل على عدم ثقة صديقتي بي في رعاية ابنها الرضيع؟ ليس لدي فكرة عن سبب شعورها بهذا.»

قرأ ويل من الورقة: «أغاني النوم المفضلة لأوين هي Edelweiss و What a Wonderful World» نظر إليّ وقال: «تطور.»

«أنا مقتنعة أن الأطباء أجروا عملية زرع شخصية لِوتني عندما أنجبَت الطفل.»

تمعن في الصفحة، ازدادت خطوط جبهته عُمقًا، وقال: «الأمومة يمكن أن تغيّر الشخص تمامًا.» تصريح قوي يأتي من شخص يزعم أنه ليس أبًا.

«غرفة لطيفة.» قالها عندما مررنا بالغرفة الزجاجية التي استخدمتها أمي مكتبها الشخصي. لا أحب المجيء إلى هنا، لكن لا طريقة للوصول إلى الخلف دون العبور من خلالها. قال وأنا أفتح الباب الزجاجي المطل على الشرفة الخشبية: «إنها عصريّة جدًّا.»

قلت في هدوء: «نعم، أُعيد بناء هذا الجزء.»

تلاقت أعيننا، استطعت رؤيته يربط الأمور بعضها ببعض. لم أرِد التفكير في تلك الليلة، أو في كل أوقات العمل الإضافية التي قضيتها لأتمكن من المساعدة في تغطية تكاليف الإصلاح.

ترقرق الإدراك في عينيْ ويل، لكنه اكتفى بقول: «آه.» حنيت رأسي، مشيرة له بأن يخطو للخارج.

الشرفة الخلفية في مواجهة الدغل، بحيث لا يمكن رؤية البحيرة، لكن لطالما أحببت الشعور بالخصوصية هنا، حيث لا يمكن رؤية أيّ من أكواخ النزلاء. تركت الباب مفتوحًا حتى نتمكن من سماع صوت أوين، وجلست على أحد الكراسي.

قلت: «يبدو أنك خبير فيما يخص الأطفال وتغيير الحفاضات. متأكد أنه ليس لديك طفل في المنزل؟»

تجمد ويل، ممسكًا بكأسه أمام وجهه، محدقًا إلى النبيذ، ثم ببطء وضع كأسه على الطاولة.

قال بعد برهة: «لدي ابنة أخت. أختي لديها ابنة.» خرج صوته متقطعًا، كأنه تكلَّف شيئًا كي يشاركني هذه المعلومة.

«هل وُلِدَت حديثًا؟»

«لا».

ركز ويل نظره على كأس النبيذ، مُقبضًا فكه. كدت أرى السور الذي أحاط نفسه به.

أردت أن أهزّه. رغبت في الصراخ، *من أنت وماذا فعلت بويل الحقيقي*؟ أردت أن أسِنّ أظفاري وأمزق كل حجر من هذا السور.

«هل يهمك أن تشرح بالتفصيل؟»

أخذ ويل المشروب، ثم نظر في عيني: «كانت أختي صغيرة عندما أصبحت أمًّا. ساعدتها.»

«خال يُفتخَر به؟»

«شيء من هذا القبيل.»

«لا أعرف كيف فعلت والدتي كل هذا بمفردها.» إنها فكرة عابرة، لم أقصد حقًّا التلفُّظ بها.

قال ويل: «الأمهات العزباوات بطلات. والدتك بدت امرأة قوية الإرادة والعزم.»

قلت: «كانت قوية.»

لفنا الصمت. استقام ويل في كرسيه، ومدد ساقيه أمامه، محدقًا إلى الأشجار.

قال: «المكان هنا جميل. المنتجع كله رائع، لكن هُنا في الخلف يسود السلام.»

«نعم، كنت أجيء إلى هنا كثيرًا في صغري، وأذهب إلى مرفأ العائلة.»

«لتختبئي من النزلاء؟»

«شيء من هذا القبيل.» قلتها ونظرت نحو الدغل.

قال: «لا بد أنك تفكرين في البيع.»

«هل عليّ ذلك؟»

«لم تكوني مهتمة بإدارة منتجع، أفترض أنَّ فكرة البيع مطروحة.»

أخذت شهيقًا عميقًا ملأ رئتيّ بالهواء، وأطلقته ببطء: «فكرة البيع مطروحة.»

«إنه ليس قرارًا يسهل اتخاذه.»

وافقته الرأي: «بلى، ليس سهلًا. يبدو مستحيلًا.»

أخذ يرقبني عن قُرب: «هل لجيمي دور في ذلك؟»

لا أرغب في التطرق لذلك الآن. قلت: «أعتقد أنه لا معنى للاستعانة باستشاري إن كنت سأتخلص من المكان، أليس كذلك؟»

أمال ويل رأسه وسأل: «ما مدى جدية تفكيرك في بيعه؟»

أخذت رشفة من المشروب وقلت: «سؤال بمليون دولار.»

«لا أقصد أن أضغط عليكِ.»

«باستثناء حقيقة أنّك بحاجة إلى معرفة ما إن كنت أرغب في العمل معك.»

«صحيح.» وضع كاحلًا فوق الآخر وأردف: «لكنني لا أسألك بصفتي استشاريًّا محتملًا، أنا أسألك بصفتي...» شرد بفكره.

رفعت حاجبيّ، منتظرة أن أرى كيف سيتمكن من إنهاء هذه الجملة. لا تصنيف يصف من هو عندي.

أنهى الجملة بقوله: «أنا فقط أسأل.» لكنه بعد ذلك حدق إليَّ بحدة وقال: «وأعتقد أنني مندهش من أن هذا مجال للتساؤل. أنك لن تبيعي ببساطة.»

قلت بصوت مبحوح: «بسبب الخطة؟» مرت سنوات على آخر مرة نظرت فيها إلى القائمة التي أعددتها مع ويل. إن أغلقت عيني، فسأتمكن من تخيل خط يده. **خطة فيرن مدة عام**. ما زلت أتذكر الأربعة عناصر في القائمة.

«لأنك لم ترغبي في القدوم إلى هنا في النهاية.»

أصابتني رغبة ملحة في الحك بأصابعي. قلت: «كانت خطتي ولفترة طويلة هي فتح مقهى في المدينة.»

«مقهى دون جدارية لتورنتو على الحائط، أتخيل هذا.» اختلجت شفتا ويل: «شيء بدائي جدًّا لك.»

فارت السعادة بداخلي: «ربما أسمح لك برسم سرخس على الجدار. ورقة صغيرة.»

قال: «لا أرسمهم إلا بهذه الطريقة. أنا مغرم بأوراق السرخس الصغيرة.»

اعتراني هدوء تام، رغم الفورة التي اعتملت تحت جلدي. بدا لي أنه نطق كلمة مغرمهذه ضاغطًا على حروفها أكثر من بقية الكلمات. تبادلنا النظر دقيقة كاملة، أو ربما خمس ثوانٍ. بغض النظر عن طول المدة، فهي خطرة.

«أما زلت ترسم جداريات؟ أقصد من باب التسلية.»

قال ويل بهدوء: «لا.» حدق إلى الظلام وأردف: «لم أمسك بفرشاة منذ وقت طويل جدًّا.»

«ماذا عن القلم الرصاص؟»

هزَّ رأسه.

قلت له: «يجب أن ترسم. عدم استغلال موهبة مثل موهبتك لهو إهدار وخسارة.»

وقعت عيناه على عيني وأطال النظر إليهما وقال: «احذري. كلامك يبدو مثل مُجاملة.»

قلت: «ليس كذلك، كنت ألفت نظرك كيف تضيع النعمة.» خرج من حلقه صوت همهمة خفيض. جعلني أشعر وكأن ظهري يُخدَش.

«على أي حال» قلتها لأعود إلى موضوعنا الأصلي: «كانت بروكبانكس بمثابة حياة أمي كلها، ليس من السهل توديعها. ليس لدي أي فكرة عما يجب فعله.»

وضع ويل كأسه على الطاولة، لا يزال يرقبني، ويدوِّر الخاتم في إصبعه. حدقت إلى يديه، ساقطة في فجوة زمنية. كدت أشعر بإصبعه الصغير ملتفًا حول إصبعي. «إن كنتِ حقًا لا تعرفين، يمكنني العمل بناء على خطتين. خطة للبيع، والأخرى إن قررت أن تديري هذا المكان بنفسك.»

«يبدو أن هذا يتطلب مزيدًا من العمل.»

«النظر في كلا الخيارين قد يساعدك في اتخاذ قرار.» حركت رأسي من جانب إلى آخر.

سألني: «أنتِ غير متأكدة أنك ترغبين في العمل معي، أليس كذلك؟ أنا أجيد ما أقوم به، لكن هذه ليست المشكلة، أليس كذلك؟»

جَرَّ سؤاله شيئًا ما بداخلي لا أرغب في استكشافه.

لا يمكنني غلق جرحي بإحكام لدرجة أنني غير قادرة على فعل ما هو أفضل للمنتجع. أنا مديرة جيدة، لكنني لم أجدد ولم أصلِّح عملًا من قبل. ربما أستطيع إيجاد الحل بمرور الوقت، لكن بروكبانكس بحاجة إلى المساعدة حالًا، بل أمس. أخبرت ويل: «في الواقع، كنت أفكر في أنني أود قبول مساعدتك».

بإمكان الابتسامة الواسعة التي ارتسمت على وجه ويل أن ترشد سفينة إلى الوطن. بدا أصغر بعشر سنوات. صار يشبه ويل الذي أتذكره.

حشرت وتني رأسها في الباب الخلفي وسألت: «هل نقاطعكما؟»

قفزت من مقعدي وقلت: «مرحبًا! عدتما. كيف كانت النزهة؟»

قالت وعيناها تحدقان إلى ويل وهو يستعد للوقوف: «رائعة. لكن دعينا من ذلك.» نقرت على رسغها.

وتني حماسية للغاية، وعندما تكون جاهزة للعب، يزيد اتساع عينيها الكبيرتين، وتتلمَّظ شفتاها معًا كما لو تكافح لتكبح نفسها. أُطلِق على ذلك **وجهها الشرير الشيطاني**. وهي الآن ترتدي قناع وجهها الشرير الشيطاني.

قالت: «أرى أنكِ أنهيت فترة مُقاطعة الرجال.»

نظرت إلى ويل، الذي ارتفع حاجباه بمقدار بوصة عما كانا منذ قليل. «هل كنت في فترة مقاطعة؟»

قبل أن أتمكن من التأكيد أو نفي، أو الانفجار داخليًّا من فرط الشعور بالخزي، ظهر كام عند مدخل الشرفة.

قال: «نام أوين بسرعة.» لكن أحدًا لم يعِره اهتمام، لأن وِتني مدت يدها له وقالت: «لا بد أنك أنت ويل. سعيدة بلقائك.»

صافحها والذهول واضح عليه.

قالت وتني: «لقد بحثنا عنك على جوجل منذ قليل.» غدَّارة.

تلألأت عينا ويل عندما سمع هذا الكلام، ونظر إليَّ بغطرسة، لمحة أخرى من ويل وهو شاب.

«لنتحقق فقط من شهاداتك المعتمدة.» قالها كام وهو يمد له يده سأشكره لاحقًا. «أنا كامدن، وهذه المشاغبة زوجتي، وتني.»

قال ويل: «سعدت بلقائكما. لقد قابلت أوين أيضًا منذ قليل. طفل جميل.»

قالت وتني: «لم ندرك أن فيرن ستستضيف شابًّا هذا المساء. لسنا متأكدين إن تركنا ما يكفي من المال لشراء بيتزا تكفي شخصين.» تمزح، لكن سؤالها الأساسي واضح: *ما الذي تفعله هنا بالضبط يا ويل باكستر؟*

كنت على وشك أن أشرح كيف ساعدني ويل في رعاية أوين، لكنه تحدث أولًا: «رأيت فيرن وأوين يلوحان لكما قبل قليل، فمررت لأقابل الطفل. بدأنا نتحدث و...» أشار ويل إلى النبيذ والشرفة الخشبية. «ما أجمل هذا المساء!»

سألتُ: «هل تريدان كأسيْ نبيذ؟»

ألقت وتني نظرة علينا، وعلى وجهها أمارات الأسى الخالص. أعرف الحسابات التي تفكر فيها. هل تبقى وتحاول فهم شخصية ويل؟ أم تذهب وتتركنا نُكمل أيًّا ما كنا نفعله قبل أن يقاطعانا؟ خيار أليم.

قالت: «يسعدنا ذلك، لكن يجب أن نعيد أوين إلى المنزل.» كلماتها مشبعة بالخيبة، شيء مضحك.

ظل ويل في الخلف وأنا أودعهما، حمَلَت وِتني الطفل النائم بين ذراعيها بينما حمل كام حقيبة الحفاضات والسرير النقَّال.

عندما عدت إلى الشرفة الخلفية، قال ويل: «تبدو وِتني لطيفة. إنها مجنونة. يجب أن أغادر أنا أيضًا.» أوشكت أن أطلب منه البقاء، أن يشرب كأسًا آخر. قال ويل: «شكرًا على النبيذ.»

«أنا مدينة لك بزجاجة كاملة لمساعدتك لي الليلة. لا أعرف ماذا كنت سأفعل لو لم تأتِ.»

«أنا موجود في أي وقت.» توقف لحظة، غمر وجهي بنظرات عينيه مثل كشّاف النور وسألني: «كنتِ جادة فيما قلته منذ قليل، أليس كذلك؟ بشأن عملنا معًا؟»

«نعم.» رغم أن فكرة قضاء مزيد من الوقت مع ويل تُشعرني بالدوار. «سيأتي وكيل عقاري الأسبوع المقبل. هل يمكنك أن تحضر الاجتماع؟»

قال: «يمكنني ذلك. لكن هل يمكننا أن نلتقي قبله؟ هناك كثير مما أود مناقشته معكِ. الغد موعد رائع، إن استطعتِ؟»

اتفقنا على اللقاء هنا بعد الظهيرة، أوصلت ويل إلى الباب الأمامي، وأمسكته ليبقى مفتوحًا.

قال: «تصبحين على خير، فيرن. آمل أن تنامي جيّدًا.»

بعدما غادر ويل، وقفت أمام طاولة المطبخ أمام كومة علب الأحذية. فكرت في ويل وفي الماضي، وكيف تبدو الأمور مختلفة بعد مضي كل هذا الوقت، حملت العلب إلى غرفتي. عندما وضعتها على السرير، أحدثت المرتَبة صريرًا.

هناك أكثر من عشرة دفاتر مذكرات، تبدأ وأمي في الثامنة من عمرها وحتى قبل ولادتي مباشرة. قرأتهم جميعًا خلال الصيف الذي كان عمري فيه سبعة عشر عامًا. لكنني لم أكمل قط دفتر مذكراتها الأخير. وصلت إلى حيث اكتشفَت أمي أنها حبلى، وذلك قبل أن أواجهها.

توقفت عن التنفس عندما وجدت دفتر المذكرات، غلافه مزخرف بأزهار دوّار الشمس المبهجة، نصف صفحاته فقط هي الممتلئة. خط يد والدتي كان مألوفًا للغاية، مائلًا إلى اليمين ويطول عندما تكتب الحروف y و j و g و f. يعود التدوين الأول إلى عام 1990. وأمي في الثانية والعشرين من عمرها. ذلك هو العام الذي تخرَّجت فيه من جامعة أوتاوا.

مائة وسبعة وعشرون ليلة متبقية حتى أسافر إلى أوروبا! كتبتها في الأعلى. تبدأ كثير من التدوينات بهذه الطريقة، عد تنازلي لرحلتها الكبيرة.

جلب لي بيتر تقويمًا اليوم وقال إنني يجب أن أبدأ بشطب الأيام حتى أغادر. عدت إلى المنزل قبل أسبوع واحد، لكنني أعتقد أنه شعر بالملل من كثرة سماعي أتحدث عن السفر. لذلك أذهب الآن إلى مطبخ الحلويات كل صباح وأضع علامة «x» على التاريخ.

هل ذكرت من قبل أن الموسيقى التي يعزفها بيتر أكثر كآبة حتى من قائمة الأغاني التي أرسلها إليَّ الشتاء الماضي؟ يا لبؤس طاقم العمل لديه! سأضع شريط أغاني آن موراي غدًا في مشغل الموسيقى دون أن ينتبه.

ابتسمت بيني وبين نفسي. لا يزال بيتر محتفظًا بذلك الجهاز القديم لتشغيل الموسيقى. قلَّبت الصفحات بحثًا عن اسمه، ووجدته مكتوبًا بكثرة.

الليلة، بعد استعدادي للنوم، انزويتُ ومعي دفتر اليوميات، ضحكت بصوت عالٍ على وصف أمي لعائلة روز وجدي وجدتي.

إنه آخر يوم في الأسبوع الطويل، وأخيرًا أحسستُ بحلول الصيف. وصل كثير من الزبائن الدائمين أمس. جلب آل روز علبة كاملة من مشروب الجِن. بدأ معظم العاملين الموسميين في العمل (حارس الشاطئ الجديد هو الأجمل حتى الآن)، امتلأت غرف الموظفين. ستكون هناك ألعاب نارية عند المرفأ الليلة. سأضطر للاعتناء بأبي، لأنه في يوم فيكتوريا الوطني الماضي تناول كثيرًا من كؤوس المارتيني التي يقدمها السيد روز، وكاد أن يفقد أنفه في أثناء إشعال إحدى الشموع.

كتبت أمي عن رغبتها المُلحَّة في المشاركة في العمل بطريقة «ذات مغزى.» ذكرت قدوم بيتر لزيارتها في جامعة أوتاوا في عيد ميلادها مرات قليلة. لم يحدث شيء بينهما، لكن أصبح جليًّا لي الآن أن ثمة مشاعر أعمَق بينهما.

عندما ثقلت عيناي، وضعت دفتر اليوميات جانبًا وأطفأت الضوء. رحت أفكر في ويل، مستعيدة المساء الذي قضيناه معًا، مركزة على ابتسامته التي غيرت ملامح وجهه عندما قلت له إنني أريد أن نعمل معًا.

للمرة الثانية في حياتي، سيساعدني ويل باكستر في وضع خطة.

10

14 يونيو، قبل عشر سنوات

«لديّ اعتراف.» قلتها عندما وصلنا إلى نهاية الزقاق.

توقف ويل عدة مرات ليشير إلى الرسم الجرافيتي الذي يعتبره *صادقًا* أو *حيويًا* أو *خامًا*، لكننا في الغالب تحدثنا وتسكعنا. أخبرني عن رفاقه في السكن، الكوميكس التي رسمها عن «العيش في بؤس مع ثلاثة شركاء سكن آخرين في شقة بغرفتيْ نوم»، وكيف شرع يرسم اللوحات الجدارية كهواية، ثم سرعان ما اكتشف أن هناك طلبًا كافيًا عليها يساعده في دفع الإيجار. حاولت في أثناء حديثه ألا أطيل التحديق إلى وشمه، أو يديه، أو عضلة كتفه لفترة تنفي عن النظرة براءتها.

قلت هامسة بشكل مبالغ فيه: «أنا لم أكن منتبهة فعلًا للرسومات.»

«أنا أيضًا لديّ اعتراف.» بدا جادًّا.

اقترب من أذني، صدمتي وأنفاسه تلفح عنقي أسْرَت القشعريرة على ذراعي. «أنا أتضور جوعًا.»

«آه. هل ترغب في المغادرة؟» ابتسمت لأظهر أن هذا لن يكون تحولًا مخيبًا للآمال البتة.

«في الواقع، أفكر في تناول وجبة قبل التوقف التالي. أقصد، ما لم يكن لديك مكان آخر للذهاب إليه.»

قلت: «بقية خطتي لليوم التجول، والاسترخاء في شقتي. لذلك، أنا تحت أمرك.»

اتسعت ابتسامته. «ممتاز.» أخرج هاتفه من جيبه وقال: «هل تمانعين إذا اتصلت بأختي؟ دخلت أمس في مشاجرة محتدمة مع أبي. أعتقد أن من واجبي الاطمئنان عليها.»

«ليس لدي مانع بالطبع، سأنتظرك هنا.» وأشرت بإبهامي خلفي.

لوح بيديه وهو يضع هاتفه على أذنه إشارةً منه لأبقى هنا.

قال وهو يرقبني: «مرحبًا، بِلز.» ألقيت نظرة سريعة حولي، مستمعة إلى ويل وهو يسأل أخته عن حالتها كيف كانت، وأين هي، وإن كانت ستعود إلى البيت الليلة. استطعت سماع جواب السؤال الأخير: لا جازمة.

قال ويل بعد بضع ثوانٍ: «قلت له، صدقيني.» أخذ يفرك حاجبه بباطن كفه وأردف: «خضنا هذا النقاش الحاد بعدما غادرتِ. قضيت الليلة في منزل ماتي. لكننا سنتناول وجبة الإفطار معًا غدًا، أليس كذلك؟» سألها بعد دقيقة.

عندما اتفق وأخته على الوقت والمكان، ضحك ويل، نظر في عيني وقال: «اسمها فيرن».

ضيقت عيني عندما أعاد هاتفه إلى جيبه وسألته: «أخبرت أختك عني؟»

قال ويل: «حسنًا، طلبت مني أن أخبركِ أن جولة أنابيل باكستر في تورنتو تكلفتها أقل بنسبة تسعة وتسعين بالمئة من أي جولة في مكان آخر.»

«هل هذا حقيقة؟»

«ظاهريًّا».

«هل هي بخير؟»

«ستكون بخير. لا تزال تحاول أن تهدأ. تجاوز أبي لأبعد حد، لكنها فقدت سيطرتها حقًا، وتفاقمت الأمور. تلك المشاجرة أكثر شراسة من المعتاد. شعرت أن شيئًا ما يحدث».

لمست ذراعه قائلة: «اسمع يا مَدْرَسَة الفن، أعلم أن هذه جولتك، لكن هذه مدينتي أنا أيضًا. سأختار الغداء.»

كنا بالقرب من مطعم شهير لشطائر فيتنام، افتُتِح قبل عامين، تحمستُ لأن ويل لم يسمع عنه من قبل. عندما فتحت الباب، هبَّ علينا هواء التكييف وصوت الموسيقى الصاخب. مضت فترة ذروة الظهيرة منذ وقت طويل، لذا كان الصف الذي عادة ما يمتد إلى الشارع، لا يقف فيه سوى ثلاثة أشخاص. تأكدت من أن ويل ليس نباتيًا (تصادف جيد، على ما أعتقد) وأنه يأكل لحم الخنزير، ثم أرسلته ليحجز لنا الطاولة الشاغرة الوحيدة.

طلبت نوعين من شطائر البورك بان مي (جزء مسحَّب من البطن) وعلبة كبيرة من الورق المقوى ممتلئة ببطاطس كيمتشي المقلية، مغطاة بالمايونيز والبصل الأخضر ومزيد من لحم الخنزير المسحب، بالإضافة إلى مشروبي المياه الغازية الرائعين بنكهة الليمون.

قال ويل وهو يقضم أول لقمة من شطيرته: «لذيذ جدًا.»

أكلنا بشراهة في صمت، حتى وضع ويل مشروبه الغازي جانبًا. «سمعتك في أثناء المكالمة الهاتفية منذ قليل. من وتني؟»

ترددت.

«هل تريدين أن أتظاهر بأنني لم أسمع؟» لعق ويل قليلًا من المايونيز العالق في إبهامه، بينما سكتت برهة.

«ربما؟» قلتها وهو يمسح يديه بمنديل.

لم أستطع تحديد سبب شعوري بالراحة تجاه ويل، لكنني كنت أعرف أنه ليس بسبب المخدرات. أنا بحاجة إلى التحدث إلى شخص ما، كنت أغرق تحت وطأة سري. مع ذلك، لم أُرِد التحدث عن وتني وسط مطعم مزدحم أيضًا. «هل نكمل الجولة؟»

خرجنا إلى الرصيف، التقط ويل علبة حلوى الليمون من حقيبته، وعرضها عليّ. هذه المرة أخذت واحدة.

أخذنا نمص الحلوى بينما يقودنا ويل من خلال تشينا تاون إلى وجهته التالية. حرص دائمًا أن يكون في الناحية بجوار الشارع من الرصيف.

قلت له: «لست بحاجة إلى فعل ذلك. هذا غريب».

قال: «هذا من الأدب.»

«في عام 1954.» جذبته من ذراعه إلى الجانب الآخر حتى صرت بجوار حافة الرصيف.

بعد برهة قلت: «وِتني هي صديقتي المقربة. بقيت كذلك منذ الصف الخامس.» أخبرت ويل بقصة نشأتنا معًا، كيف ضربت كام

في معدته بعد أن نشر شائعة أن وتني تضع حشوًا في حمالة صدرها. جعلت الحكاية ويل يبتسم ابتسامة عريضة. طريقة انهيار كام الذي كان ضعف حجمي، وسيل دموعه، وكيف جاء بيتر لاصطحابي من المدرسة وأخبر نائب المدير أن كام حصل على ما يستحقه وأنني لن أعتذر.

قلت لويل: «إنهما يتواعدان الآن.»

«لا.» انسابت ضحكته في حلقي مثل صوص الشوكولاتة. «اتضح أن كام معجب بها للغاية منذ الصف العاشر. على أي حال، كنا صديقتين مقربتين وقتذاك. عشتُ طفلة وحيدة، لكن جوهريًّا وتني هي أختي.» تفادينا باعة على الرصيف تعرض قمصانًا صيفية بعشرة دولارات. «جاءت لزيارتي هنا لبضعة أيام. الرحلة كلها بشعة، نوعًا ما.»

«لم تسخري من أعمالها الفنية، أليس كذلك؟»

تنهدت بسعادة، ثم صرخت عندما مرّ راكب دراجة سريعًا بجواري واصطدم بحقيبتي القماشية. فجأة، ضم ويل خصري بذراعه، وسحبني إلى جانبه.

«أنتِ بخير؟»

نظرت إلى يده الملتفة بإحكام حول خصري، فأفلتها بسرعة، سرى احمرار انتشر من عنقه إلى خديه مثل احمرار شراب الجرنادين عندما نضيفه إلى شراب الشيرلي تمبل.

«على افتراض أنّك لم تصفي وتني بالبدائية، لماذا زيارتها محرجة؟» سألني ذلك بعدما بدأنا نسير مرة أخرى، ببطء يكفي ليتجاوزنا الناس.

قلت: «أعتقد أنني أردت أن تكون شيئًا غير الذي صارت عليه. ظننت أن بإمكاني أن أجعلها تقع في حب تورونتو، لكنها لن تحبها أبدًا.»

«هل هذا يهم؟ لن تكوني فتاة تفضل حياة المدينة قريبًا.»

رجعت رأسي للخلف وقلت: «سأظل دائمًا فتاة تفضل حياة المدينة. هو ليس اختيار بين هذا أو ذاك، ريفي أو حضري.»

رفع ويل يديه وقال: «نعم، أنتِ على حق. لكن لماذا يهمك كثيرًا أن تحب وتني المكان هنا؟»

حككت باطن معصمي وقلت: «أعتقد أنني ظننتُ أنها إذا رأت تورونتو كما أراها أنا، فقد تفهم...»

نظر ويل إليَّ ثم إلى معصمي الذي خدشته.

قلت، محاولة التحكم في أصابعي: «إنه رد فعل نتيجة التوتر.» تمزيق جلدي عادة مثيرة للاشمئزاز، لكن ويل لم يبدُ منزعجًا.

بدَّل مكانه معي لأصير بجانب مبنى كبير. لدي شعور ضبابي بأن جماعات من الناس تزاحموا حولنا، لكن تركيزي انصب على ويل، الذي وقف أمامي، يرقبني وينتظر. «أن تفهم ماذا، فيرن؟»

لم أرغب في إخبار ويل بالقصة المروعة الكاملة. لكن بإمكاني إخباره بهذا الجزء. تركت الكلام يخرج مني بعجالة: «لا أرغب في الانتقال إلى الوطن. لم أخبر أحدًا، لكنني لا أريد العمل في منتجع

عائلتي. الجميع يتوقعون أنني سأديره يومًا ما، لكنني قطعًا لا أرغب في ذلك أيضًا. حتى أنني لم أرغب في الالتحاق بكلية إدارة الأعمال، إنها فكرة والدتي.»

استمع ويل بصمت. انتظرت حُكمه عليَّ أن يعكِّر تعابير وجهه، لكن هذا لم يحدث، لذلك أكملت حديثي: «أعتقد أنني شعرت أنه إذا فهمت وتني لماذا أحب العيش هنا، فسأقدر على إخبارها ببقية الأمور. لكنها تكره تورونتو. لن تفهم لماذا أود البقاء. كنت نوعًا ما أكذب عليها، وعلى الجميع.»

جابت عينا ويل وجهي كأنه يبحث فيه عن شيء ما، قال: «ألم يكن من الصعب الاحتفاظ بكل هذا لنفسك؟» انتقلت عينا ويل حول وجهي وكأنّه يبحث عن شيء ما.

أومأتُ برأسي: «تعتقد أنني فتاة كئيبة، أليس كذلك؟»

«لا.» ثبَّت نظرته عليَّ، وللحظة، اعتقدت أنه قد يقول شيئًا آخر. لوهلة، اعتقدت أنه قد يقبّلني. لكنه نظر بعدها حوله وقال معلنًا: «لقد وصلنا.»

«متحف أونتاريو للفنون؟ حقًّا؟» سألته ناظرة إلى المبنى الذي وقفنا بجانبه. شعرت أنني أخفّ بعدما اعترفتُ لويل. «إنه، بعض الشيء...»

قاطعني: «لا تقوليها. أستطيع سماع ما يحدث في عقلك الآن. أنتِ شفافة مثل نافذة زجاجية.»

رفعت صوتي وقلت: «إنه *بدائي* بعض الشيء، ألا تعتقد هذا؟»

كانت ضحكته مشرقة ومرحة، انفجرت مثل بالون إثر دبوس. دندن لحنُها المثالي بداخلي.

«إنه أحد الأماكن المفضلة لدي في المدينة بأكملها. جُدِّد قبل بضع سنوات. من تصميم فرانك جيري. تُحفة معماريّة من الداخل والخارج.» لوَّح ويل بيديه في الهواء في أثناء حديثه، مشيرًا إلى الواجهة الزجاجية المتقوسة المرتفعة عن الشارع وتمتد بعرض المبنى. «بعد ذلك هناك الفن، بالطبع».

«بالطبع.» زممت شفتيّ كي أمنع ضحكتي.

«والآن ماذا؟»

«كنت فقط أفكر أنني يجب أن أتأكد إن كانت أختك متفرغة. ربما أستطيع الانضمام إلى جولتها.»

«هيا. هناك معرض أعتقد أنه سيعجبك.»

«حقًا؟» معظم الدورات التدريبية التي حضرتها مطلوبة في تخصصي: قانون الأعمال، الحساب التفاضلي، نظرية الألعاب، وأخذت أكبر عدد ممكن من الدروس الموسيقية، مثل الموسيقى وتأليف موسيقى الأفلام، الجيتار متعدد الأوتار، تاريخ الموسيقى في المدن. لم أستطع تخيُّل أي نوع من الفن يعتقد ويل أنني سأحبه. لم أعرف أي نوع من الفن سيعجبني. لكن بعدها لمحت ملصقًا كبيرًا معلقًا في النافذة.

«نظرت إلى ويل في حيرة: «باتي سميث؟»

«هناك عرض لتصويرها الفوتوغرافي. اعتقدت أنه قد يعجبك.»

«أنا مُغرمة بذلك لأبعد حد.»

دفع ويل ثمن تذكرتينا وتوجهنا مباشرةً إلى معرض باتي. توقعت أن أرى صورًا في غاية الضخامة، ملطخة بالحصى المُنَمنم والسّخام. توقعت شيئًا سقيمًا. لكن المعرض اتسم بالهدوء، والبساطة. الجدران مطلية بالأبيض، الصور صغيرة، التُقِطت لجمادات، بكاميرا فورية، بالأبيض والأسود. تمثال حجري لملاك صغير، قبر والت ويتمان، غرفة سجن قداسة البابا، شوكة وملعقة. وعُرضت مجموعة من أغراض باتي الشخصية تحت زجاج.

همست إلى ويل بمُجرّد انتهائنا من التجوال في المعرض: «صورها لا تميزها روح موسيقى الروك آند رول التي تغنيها، أليس كذلك؟»

قال ويل، وهو يشير إلى صورة زهرة تذبل: «لا أعرف. الموت تيمة متكررة في أعمالها. ماذا؟ تعبيرات وجهك مُريبة.»

همستُ: «لا شيء. *الموت تيمة متكررة*. تابع حديثك.»

أحببت حديث ويل الفني.

«كما كنت أقول، هناك كثير من الموت هنا. الموت أمرٌ في غاية الـروك آند رول.»

اقتربت منه أكثر وسألته: «هل أكون متعجرفة إذا قلت إنني أفضل موسيقاها؟»

قهقه ويل، تسلل صوته عبر عمودي الفقري.

حملق إلينا رجل يحمل حقيبة خصر وكاميرا DSLR معلقة على عنقه.

قال ويل في أذني: «إنه ليس من هواة موسيقى الروك آند رول.»

قلت، مشيرة إلى قدميْ الرجل «أختلف معك في الرأي.» يرتدي جوارب منقوشة بأوراق القنب. «لكن هذا معرض باتي سميث. من السخيف أننا لا نستطيع أن نضحك أو نتحدث بنبرة الصوت العادية.»

قال ويل بصوته العادي: «يمكننا ذلك،» فقطب الرجل حاجبيه مجددًا. «لكن هل يجب أن نتحرك من هنا؟»

«بالتأكيد. لقد جئت إلى هنا مرات كثيرة، أليس كذلك؟ هل لديك قطعة فنية مفضلة؟»

قال ويل: «ليس لدي قطعة مفضلة. لكن لدي جزء مفضل.»

قادني ويل إلى ردهة ضخمة من الزجاج والخشب، تمتد بطول المبنى. أحد جانبيها به نوافذ من الأرض إلى السقف، تطل على المدينة. يُطلق عليه اسم جاليريا إيطاليا، كما كان عوارض ضخمة مقوسة تجعله يبدو وكأننا في سفينة مقلوبة، باستثناء وجود كثير من الضوء. جذوع أشجار ضخمة نُقِشَت في جميع أنحاء القاعة، وبينما كنا نتجول، قررت أنه ليس كما لو كنا في سفينة مقلوبة.

قلت: «الأمر كما لو أننا في الغابة.» رغم أن تورنتو بدت واضحة تمامًا من خلال نوافذ الناحية الأخرى، ذكّرني المعرض بوطني. مزيج من المدينة والغابة. «هذا هو الجزء المفضل لديك؟»

«نعم. أحب جموح هذا المكان الطاغي، يجعلك تشعرين بضآلتك وبالحياة في الوقت نفسه. يجبرك في الأساس على التنفس بعمق. إنه الشعور ذاته عندما أنظر إلى الجبال في الغرب.»

فكرتَ أن هذا أجمل شيء سمعته في حياتي: «فعلًا؟»

«نعم، ماذا؟ لماذا؟» حك قفاه المشرب بالحُمرة.

هززت رأسي: «لا شيء.»

بعدما غادرنا الجاليريا، سلكنا طريقنا إلى المجموعة، التي تُعرض على الجمهور بشكل دائم، للفن الكندي.

قلتُ، مشيرة إلى مجموعة لوحات إميلي كار. «ها هي فتاتك.» نظر ويل إليّ بإعجاب.

«مهلًا، ربما لم ألتحق بجامعة الفنون، لكن يمكنني تمييز فن إميلي كار.» تحركنا نحو لوحة تصور شجرة صنوبر واحدة ضخمة. قلت: «قال لي أحدهم ذات مرة إن إميلي كار رسمت كثيرًا من الأشجار الوحيدة.»

«أراهن أنه واحد متكبر من خريجي جامعة الفنون.»

تعرفت بشكل ضبابي بعضَ اللوحات الفنية في منطقة تسمى مجموعة السبعة. من أشهر اللوحات التي تعبر عن الطبيعة البرية في البلد، رسمها كلها مجموعة من سبعة رجال. امتلأت الجدران بلوحات البحيرات والثلوج والجبال وعدد مهول من الأشجار. لكن بعض اللوحات بدت مألوفة لأنها تشبه الوطن.

قلت: «أعتقد أن إميلي لم يُسمح لها بالانضمام إلى المجموعة.»

رد ويل: «آه، بالتأكيد لا. كانت ترسم في الوقت نفسه. قال لها لورن هاريس إنها كانت واحدة منهم.» أشار إلى إحدى قمم هاريس المتجمدة وأردف: «ولكنها لم تكن كذلك، حقًّا. لم تكن أي امرأة كذلك.»

بقيت صامتة بينما نتجول في الأنحاء. كان هناك لوحة لبحيرة في أحد أيام الشتاء الأخيرة. السّماء رمادية، الأشجار عاريّة، والثلج ذاب ليصير لطخات بنيّة. كان بإمكاني شم رائحة أوراق الصنوبر المبللة، ووَعد التربة الطينية، وبراعم الربيع التي تتشكل على الأغصان. رفعت عيني إلى أضواء المصابيح، ضاق حلقي.

شعرت بعيني ويل وهما تتحركان نحوي. كان يرقبني بهذه الطريقة منذ دخولنا إلى معرض أونتاريو للفنون. ذكرني ذلك بطريقتي في التصرف مع وتني خلال زيارتها. كان يتفحصني ليعرف فيما أفكر.

وصلنا إلى لوحة لتوم تومسون، في الخلفية بحيرة مظلمة إثر عاصفة، وفي المقدمة شاطئ صخري وشتلات. النظر إليها مثل الوقوف على ضفاف مرفأ العائلة. الأشجار عارية في هذه اللوحة أيضًا، لكنه لم يكن فصل الشتاء. نهاية الخريف أو بداية الربيع، فترة انتقالية بين فصلين، في أوقات لم يزدحم المنتجع فيها. لا تكون المنتجعات مزدحمة. عندما نتوجه وأمي إلى البحيرة في الصباح وتشرب قهوتها ببطء. عندما تعود في وقت مبكر من المساء. عندما لم تبدُ الحياة كلها منحصرة في منتجع بروكبانكس ونزلائه.

شعرتُ بوخز في أنفي. نظرت إلى أضواء المصابيح مرة أخرى، لكن ثمة دمعة هربت، تلتها أخرى.

وقف ويل بجانبي: «أنتِ بخير؟»

أومأت برأسي. استغرقت بعض الوقت لأتحدث: «الحياة جميلة هناك، هل تعرف؟»

«أود أن أعرف.»

«أشتاق إليها في بعض الأحيان.» أشتاق إلى أمي أيضًا. كثيرًا. كلما كبرت، بدوت مشتاقة لها أكثر.

«تبدين متفاجئة.»

«أعتقد أنني كذلك.» نظرت إليه حينها، حوَّل عينيه عن اللوحة. «أنا آسفة. في بعض الأحيان يجعلني التدخين... حساسة.»

«لا ضير من الحساسية.»

أخذت نفسًا مرتعشًا: «لست متأكدة من ذلك.»

قال ويل بعد لحظة: «هل تعلمين أن توم تومسون لم يكن فعليًّا واحدًا من مجموعة السبعة؟ لقد توفي في ألجونكوين بارك قبل تأسيسها. يقول بعضٌ إنه قُتِل. أمر في غاية الغموض.»

نشجتُ: «أعتقد أني عرفت ذلك، نعم.»

اقترب ويل مني: «هل تعلمين أن الأشجار تيمة متكررة في أعمال تومسون؟»

فلتت مني ضحكة.

قال: «تعلمت ذلك في جامعة الفنون.»

نظرت إليه وأنا أمسح خدي: «آه، أنا آسفة. هل قلت إنك التحقت بجامعة الفنون؟»

ابتسم: «نعم، أعتقد أنني قد ذكرت ذلك من قبل؟»

«جامعة إميلي كار، أليس كذلك؟»

قال: «إميلي كار. هيا، لنخرج من هنا. أعتقد أنني أعرف ما الذي تحتاجين إليه.»

2 يونيو، 1990

قضيت صباحي في مطبخ الحلويات مع بيتر، نحشو فطائر الكريمة والشوكولاتة، وأخبره عن التحسينات التي سأقوم بها إن سمح لي أبي وأمي بأن أتولى منصب المدير العام. قلقت من احتمالية تغيُّر الأمور عندما أعود هذا الصيف، وأن بيتر لن يتوافر لديه وقت لي الآن بعدما أصبح رئيس طهاة الحلويات. أحسب أنني شعرت دائمًا بالقلق من أنه قد يمل مني. لكنه لا يزال بيتر القديم. إلا أنه هذا الصيف يجري تجارب في عجينة الساوردو، ويتحكم في الموسيقى التي تُشغل في المطبخ. لو لم أسمع فرقة سونيك يوث مرَّة أخرى، فسأكون في منتهى السعادة. إنه أيضًا يطيل لحيته، مما جعله يبدو أكثر وسامة، لا يعني ذلك أن هذا النوع من الأشياء يهمه. وأنا أيضًا لم أعد أهتم بذلك. تخلصت من إعجابي ببيتر منذ سنوات. لن يفكر فيّ بهذه الطريقة أبدًا.

هو لا يحب إريك، لكن بيتر لم يحب قط حرّاس الشاطئ. يقول إن كل هذا الوقت في الشمس لا بد أنه حرق خلايا دماغه. لا بأس. بيتر لن يكون بيتر لو تقبّل الشباب الذين أواعدهم. على أية حال، أنا أعرف أن إريك ذكي، شهادة الهندسة ليست سهلة المنال. ويجب أن ترونه في ملابس السباحة.

11

الآن

سحبت قارب التجديف من حافة مرفأ العائلة إلى المياه، ثم ركبت بسلاسة كما أفعل كل صباح، قبل أن أتجه إلى المبنى الرئيس. إنه قارب تجديف يصلح في المياه الهادئة، لا تنورة ولا غطاء يغطي ساقيّ، وبينما أتجه جنوبًا، حدقت إلى ساقيّ الذهبيتين المائلتين للبني. آخر مرة كانتا خمريتين بهذا الشكل، في سن المراهقة.

السماء ملبدة بالغيوم اليوم، والبحيرة تكاد تخلو من الزُّوار. عندما مررت بكوخ عائلة برينجل، رفعت المجداف في الهواء ملوِّحة لأم جيمي الجالسة عند المدخل الخشبيّ. هناك جرار صغير يعمل على المنحدر في قطعة الأرض المجاورة، يبدد الهدوء، ويزيل الصخور لتمهيد الطريق لمنزل أحلام جيمي. اعتاد أن يتخيله عندما كنا نتواعد، يتخيل أننا نعيش فيه معًا، ونعمل في المنتجع. لطالما كانت بحيرة سموك هي مكانه السعيد.

في هذا الصيف، يبدو أنه مكاني أنا أيضًا. تحولت رحلات التجديف بعد تناول القهوة إلى طقس. في بعض الأيام، أفحص جزءًا عشبيًّا من المستنقع حيث بنى أبو قردان كبير عشه على شجرة. دائمًا ما أبحث عن الأيل -لقد رُصِدَت هنا من قبل- لكنني لم أرَ واحدة قط. في أيام أخرى، أبقى قرب الشاطئ، أسترق النظر إلى الأكواخ،

وألقي التحية على أي شخص مُستيقظ بالفعل وواقف في الشرفة الخشبية. تلك الجولات الصغيرة تمنحني فترة استراحة من كل ما يحدث في بروكبانكس، فترة استراحة من ويل، رغم أنني لم أنجح قط في إخراجه من عقلي بشكل كامل.

مر أسبوع منذ أن اتفقنا على العمل معًا، وقد وجدنا أيضًا نظامًا مناسبًا. انقسمت أيامنا إلى جزئين. في الصباح، أبقى في مبنى المنتجع الرئيس، بينما يعمل ويل في كوخه. من بعد الظهيرة، نكون معًا في البيت. يمكنني أن أعرف عندما يكون لديه مكالمات فيديو، لأنه حينها يظهر بقمصان بيضاء اللون، وفي الأيام التي جدوله فيها أخف، يأتي إلى البيت بمجرد أن يراني سائرة في الممر. اليوم مختلف. اليوم نأخذ وكيل عقارات في جولة حول المكان.

وجدت ويل في بهو المبنى، للحظة راقبته عن بعد، مدهوشة أن رؤيته صارت مألوفة هكذا. يعاين سلسلة من الصور التي تجسد ثلاثة أجيال من بروكبانكس، بالإضافة إلى العقود التي سبقت زماننا.

هناك صورة لكلارك جايبل في أثناء إقامته الشهيرة في الأربعينيات، وصورة كلاسيكية لجدي وجدتي عندما اشتريا المكان. فستان جدتي إيزي مصبوغ بالألوان، وجدي جيري يرتدي سترة تتدلى منها شرائط طويلة، وله لحية مذهلة. لن تعرف أبدًا أنه سليل أسرة ثرية، رغم ذلك، كيف يمكن لاثنين من الحالمين في العشرينيات من عمرهما شراء منتجع مترامي الأطراف، وإن كان يحتاج إلى بعض التجديد؟ لطالما كان ذلك شيئًا يدعو للمرح في رأيهما.

هناك صور أخرى أيضًا. والدتي وهي طفلة ذات شعر حريري لامع، تلهو داخل دلو مياه معدني بجانب الشاطئ. أنا ووالدتي نرتدي فستانين منقوشة بالمربعات الصغيرة أمام شجرة صنوبر ضخمة مغطاة بالزينة البراقة في البهو.

الصورة التي ينظر إليها ويل هي من حفل نهاية الصيف. كنت في حوالي الخامسة من عمري، وأرتدي فستانًا أبيض، مزينًا بشريطٍ من الساتان الأزرق الفاتح حول الخصر. أمسك بيد أمي وأنظر إليها بتعبير ينم عن إعجاب، ارتدت هي فستانًا يليق بحفلات الكوكتيل بدرجة اللون الأزرق لشريطة فستاني. كنا في منتصف المساحة المخصصة للرقص في غرفة الطعام؛ التقط المصور لنا صورة بينما نرقص رقصة الفالس بطريقة بلهاء. كنت أحب الرقص معها، وكيف عني لي أن تعطيني كامل اهتمامها. كان أمرًا نادر الحدوث، حتى في تلك السن الصغيرة.

قلت: «هل يجب أن أشعر بالإهانة لأن وكيل العقارات يُعامَل برسمية؟» دائمًا ما يحلق ويل ذقنه بنظافة، ويرتدي ملابس أنيقة، لكنه نادرًا ما يرتدي سترة البدلة وربطة العنق.

نظر إلى ملابسه وقال: «هل هذا أكثر مما ينبغي؟ الأفرول كان في الغسالة.»

العمل بجانب ويل يتطلب مني عدم التفكير في الماضي. لم يعد هناك مزيد من الأشياء *البدائية*، لم نعد نتحدث عن أوراق السرخس الصغيرة أو الكبيرة. لا نتحدث عن ذلك اليوم. ظننت أن لدينا اتفاقًا ضمنيًا على عدم ذكره.

نقر على صورتي أنا وأمي وقال: «كنتِ طفلة جميلة بشكل استثنائي.»

لم يكن لدي الوقت للرد لأن هاتفه بدأ يرن. تعرفت بالفعل نغمة الجرس، أيًّا كان الشخص الذي اختصه بهذه النغمة، فقد اتصل عدة مرات ونحن معًا.

قال ويل: «يجب أن أجيب عن هذا الاتصال، أستأذنك.»

يتحدث إلى شريكه في العمل أمامي، وكذلك زملاء العمل، لكنه يرد دائمًا على هذه المكالمات في مكان آخر. إن كنا في الشرفة الخلفية، يدخل إلى البيت. إن كنا في المطبخ، يذهب إلى المدخل الخشبي الأمامي. والآن، خرج من الباب الرئيس ليتحدث مع المُتصل في الناحية الأخرى.

ليس فقط فيما يتعلق بالمكالمات. ويل باكستر في الثانية والثلاثين من عمره شخص كتوم جدًّا بشأن خصوصياته، وأنا عميل سري. أجمِّع كل معلومة استخباراتية يمكنني الحصول عليها، ملتقطة نظراته المستترة عندما يكتب، وأسجل كل ذلك في دفتر يومياتي المخابراتي في ذهني. إذا كانت هذه لُعبة **النزيل الغامض**، فليس لدي كثيرًا لأبلغ عنه. ليس فقط أننا لم نتحدث عن ذاك اليوم، بل نكاد لا نتحدث عن أي شيء آخر غير المنتجع. أعلم أنه يمتلك منزلًا في منتصف المدينة بالقرب من مكتبه. أعرف أن لديه عضوية في نادي رياضي وأنه يلتقي مدربه في ساعة الغداء. أعرف أن مكتبه به حوض استحمام. بعد أن أخبرني بذلك، تخيلته متعرقًا وجلده يلمع، ثم مغمورًا بالصابون وجلده يلمع، وأعطي لنفسي درسًا قاسيًّا.

ثم الأشياء التي عرفتها فقط من خلال وجودي بجانبه. مشروبه المفضل خلال فترة العمل هو ماء معدني فوار مع شريحتي ليمون. يلعب بخاتمه عندما يغرق في التفكير. لديه نبرة صوت خاصة بمكالمات العمل، سلسة وأيضًا... في غاية القوة والثبات. عندما أسمعها، تثير فيّ مشاعر لا ينبغي أن أشعر بها، وألقي على نفسي مزيدًا من الوعظ.

لا شيء من هذا يكفي. ويل هو صندوق مغلق لا مفتاح له، وكلما قضيت وقتًا أكثر معه، زادت رغبتي في فتح القفل. أحيانًا أرى لمحة من الويل القديم، لكنه سرعان ما يختفي مثلما ظهر. أنا بأمس الحاجة إلى سماع ضحكته.

لدي أشياء أكثر أهمية لأفكر فيها، لكن عندما أستلقي مستيقظة في الساعة الثانية صباحًا، أجهز عبارات ساخرة قصيرة بدقة تامة لأحظى بقهقهته. أتساءل عمّا حدث ليجعل ويل بهذا التحفظ، ولماذا تخلى عن فنه، ومع من يتحدث عندما يرن هاتفه. أحيانًا أسترق النظر من النافذة في منتصف الليل، وأجد أن ضوءه مشتعل دائمًا تقريبًا. لكنني لا أسأله لماذا لا ينام، وهو لا يذكر ذلك أيضًا.

عاد ويل إلى البهو، مرر يده على ربطة عنقه. حركة أخرى اكتشفتها. هو متوتر.

سألته: «هل كل شيء على ما يرام؟» ولاحظت بعض الاحمرار تحت ياقته.

زمجر قائلًا: «بخير».

«فهمت.» أفهمه دون حاجة إلى شرح.

ارتخت الخطوط الصارمة حول فم ويل، بدا أنه على وشك أن يقول شيئًا آخر، لكنني رأيت امرأة تمشي بثقةٍ في البهو مرتدية سترة بدلة وتنورة حمراوين. استطعت معرفة ميرا خان من صورتها الشخصية ولافتات البيع والتحديثات الكثيرة على إنستجرام.

أخذت ميرا في جولة حول المنتجع، رافقنا ويل والتزم الصمت أغلب الوقت. ثمة شيء ما فيها يذكّرني بأمي. رُبما سرعة خطواتها أو طريقتها التي تُشعرني أنها تقيّمني من خلف نظارتها الشمسية، أو ربما لأنني لا يمكنني التوقف عن رؤية أمي في كل مكان. أصبح الوضع أسوأ منذ بدأت في قراءة يومياتها. أيًّا يكن، أتوق أن أُظهِر لميرا مدى قدرتي وكفاءتي. أخبرتها عن رؤيتي لتغيير الديكور وإضافة وسائل رفاهية جديدة.

«واحد من الأمور التي تحدثت عنها مع ويل هي كيفية إنتاج إيرادات من أماكن في المنتجع لا تحقق حاليًا عائدًا ماديًّا.» قلت لها ذلك عندما وصلنا إلى المكتبة.

غيرت أمي الأثاث الكلاسيكي القديم عندما سافر جدي وجدتي إلى الغرب، والآن رُتِّبَت الكراسي ذات المسندين في مجموعات ثنائية، مما يعطي الشخص انطباعًا بأنه في مكان للتزلج بدلًا من غرفة للمُطالعة على الطراز الفيكتوري. هناك موقد حجري يطوقه نوافذ طويلة تطل على البحيرة. ثُبِّتت على الجدران رفوف عريضة من الخشب الداكن، ذات حواف غير مصقولة، ممتلئة بالكتب، بعضها موجود هنا عندما استولى جدي وجدتي على المكان. بعض آخر جمعته أمي على مر السنين. وبعض تركه النزلاء. ذات مرة، عثرت أمي على

نسخة من كتاب Kama Sutra [1] كان محشورًا بين رواية Summer Sisters ورواية The Stone Angel وذُعرت متسائلة عن مدة وجوده هناك. اعتبر بيتر ذلك مضحكًا ونصحها بوضع الكتاب في رف عالٍ. «امنحي النزلاء بعض المتعة مقابل ما يدفعونه، ماجي.» ضربته أمي بالكتاب على صدره، لكنني وجدته على الطاولة بجانب سريرها بعد بضعة أشهر، وقرأته كله في أثناء العمل.

أخبرت ميرا عن فكرتي لإضافة ركن للإسبريسو وطاولة كبيرة حتى يتمكن الناس من العمل على الحواسيب «سنستقطب مزيدًا من الناس إلى هنا وتزداد الإيرادات.»

انتظرتها ترد بحماسة، لكنها اكتفت بالابتسام بلباقة.

احتفظت بأفكاري لنفسي بقية الجولة.

هل أنتِ بخير؟ قالها لي ويل بشفتيه بلا صوت في أثناء مرافقتنا لميرا إلى سيارتها المرسيدس.

أومأت، لكنني شعرتُ بالإحباط.

قالت ميرا: «المكان جميل، فيرن. ساحر فعلًا. يتحتم عليّ أن أجري مزيدًا من البحث لتحديد السعر المقترح. نحن نتحدث عن أرقام تتجاوز المليون، على الأقل، لتشغيل مثل هذا الحجم من العمل مع كمية الأراضي الكبيرة المطلة على المياه.» قدمت لنا تقديرًا تقريبيًا، وتحكمت في نفسي كيلا أشهق.

ألقيت نظرة على ويل، لكنه لم يبدُ منزعجًا.

---

(1) كتاب هندي قديم عن الجنس والعلاقات العاطفية. (المترجمة)

«سأرسل إليك بريدًا إلكترونيًا خلال بضعة أيام بما أفكر فيه. من الواضح أن هناك عددًا محدودًا من المشترين المحتملين للمنتجعات والفنادق الفاخرة مثل هذه، هناك السلاسل الفاخرة وربما عدد قليل من المستقلين. والمطورون أيضًا احتمال قوي.»

كررت وراءها: «المطورون؟»

قالت ميرا: «نعم. أنت بعيدة قليلًا عن المدينة، لكن الأكواخ والمبنى الرئيس يمكن أن يُهدموا من أجل تطوير مجمع سكني. منازل المدينة، شقق منخفضة الارتفاع، وهذا النوع من الأشياء، إن لم تكن هناك قضايا تقسيم عمراني. قد يصير الأمر رائعًا.»

«لا.» لم أفكر حتى قبل أن أقولها. بيع المنتجع شيء، وتدميره شيء آخر. «لا مطورون.»

عبست ميرا، زمّت شفتيها، ثم أومأت: «فهمت.» رفعت ذقنها لتخاطب ويل، مما أثار استيائي. قدمته لها على أنه مستشاري الشخصي، لكنني العميلة المحتملة. «أنا واثقة بأنني لست مضطرة لإخبارك بمدى أهمية الحفاظ على السعر في الحدود العقلانية حتى نتمكن من البقاء في دائرة المنافسة.»

قال ويل: «بالطبع.»

همهمت ميرا بصوت غريب وقالت: «حسنًا، دعنا نتأكد من أن الجميع على علم بذلك، حسنًا؟»

من الواضح أنّها تقصدني بكلمة الجميع، وأنَّ شيئًا ما فاتني.

فور انطلاق سيارتها من الموقَف، قال ويل: «سأخبرك بالتفاصيل ونحن وحدنا.»

فتحت فمي لأحتج، لكن ويل قاطعني: «ثقي بي، هذه ليست محادثة ترغبين في أن يسمعها أحد.»

ما أكَّد رأيه أن امرأة مرتدية زي التنس قاطعتنا لتسأل عن مكان الملاعب.

«البيت؟» سألت ويل بمجرد أن أشرت إليها لتتجه يمينًا.

قال: «في الواقع، لدي فكرة أفضل.»

هبطت من التل إلى المياه. على ويل إجراء قليل من المكالمات بعد اجتماعنا مع ميرا، لكن ها هو الآن، واقفًا بجانب كوخ التجهيزات وقد ارتدى ملابس السباحة ومن فوقها قميصًا قطنيًّا، في يديه مجدافان. تقلصت معدتي بمُجرّد أن رأيته، وهذا مضحك لأني شعرت بالتوتر يطال كاحلي منذ طلب مني أن ألتقيه عند المرفأ. لم يُعطني سببًا، لكنني بدلت ملابسي وارتديت ملابس السباحة وسروالًا قصيرًا. راودني شعور ما.

قال ويل بينما أسير نحوه: «كنت أتساءل عمَّا إذا كانت الدعوة لا تزال قائمة.» كان هناك زورق في البحيرة بالفعل.

لا أعرف ما إذا كان يجب أن أضحك أم أدفعه إلى البحيرة. في البداية يُعلِّق على زي العمل، والآن هذا.

قال: «ما رأيك؟»

«أعتقد أنّك تأخرت تسع سنوات عن درسك.»

جفل وقال: «أعرف، أنا آسف.» أومأ برأسه باتجاه الزورق وأردف: «تمنيتُ أن تعلميني على أي حال. قلتِ إنك ستتأكدين من أنني لن أحرج نفسي.»

«أتذكُر ذلك؟»

تفحص ويل وجهي بعينيه. هنا بالخارج، لون عينيه البني الغامق أكثر شبهًا بكوب من الكوكاكولا عندما يُحمَل أمام الضوء. «أتذكر كل شيء.» قالها ببطء، مثبتًا عينيه عليَّ، غاصت معدتي في الماء.

أخذت المجداف القصير، وأنا أحث يدي على البقاء ثابتة. «حسنًا.» فردت كتفيّ: «انزل إلى القارب.»

الجو غائم، وفي الظهيرة من شهر يوليو، من الصعب بقاء أي شخص في المياه. أحب الأيام الغائمة لهذا السبب بالذات. جدفنا بعض الوقت، دون أن نتكلم، نكتفي بالانسياب مع المياه، نمر بالأكواخ المنتشرة على ضفاف البحيرة، أكواخ خشبية كلاسيكيّة بإطارات نوافذ مطليّة بالأحمر، ومنازل صيفية كبيرة الحجم، ذات مراسي ضخمة. جلس ويل في المقدمة، راقبتُ عضلات ظهره وهي تتحرك. قضيت دقائق ناظرة إلى وشم الشجرة الأخضر على ذراعه.

حدث سريالي، أن أكون هنا معه، إنها اللحظة التي تخيلتها طوال العام بعدما التقينا، وأنا أسير إلى العمل، وفي أثناء تحضيري اللاتيه، وقبل أن أنام، تخيلت أنني أصطحب ويل باكستر في أعظم جولة في بحيرة سموك.

قال ويل ناظرًا خلفه: «إذًا، كيف أبدو؟» باغتني بابتسامة ويل القديمة، وفجأة شعرت بالحيرة مما يحدث. إنه مختلف اليوم.

قلت له: «طويل جدًّا مقارنة بحجم الزورق.»

أشرت إلى قطعة أرض رملية صغيرة ملك للحكومة، وسحبنا القارب إلى الشاطئ. جلسنا على شريط الشاطئ الصغير، أصابع أقدامنا في المياه، تمامًا كما تخيلت قبل تسع سنوات.

«لم ندخل في تفاصيل حول ما قد يتضمنه البيع بعد، وفي هذه المرحلة كل شيء يعتبر تخمينات.» قالها ويل، أعادني إلى الحاضر. «ولكن بشكل أساسي، هناك مجموعة محدودة من المشترين لعملية بهذه الضخامة. وفي حين أن العمل ليس قويًّا بالطريقة التي نرجوها، فإن سعر الممتلكات والمباني وحدها هائل.»

«قالت ميرا إنه عليَّ المحافظة على التنافسية.»

«صحيح. لتحقيق ذلك، تتأكد كثير من الشركات التي لها ظروف مماثلة من أنهم يديرون الأمور بأكبر قدر ممكن من الكفاءة.» سكت لحظة ثم أكمل: «غالبًا ما يتضمن ذلك تقييمًا شاملًا لأداء جميع الموظفين و... إقالة بعضهم.»

تعكرت معدتي. همست بعد دقيقة: «كم عددهم؟»

قال ويل: «لست متأكدًا. ربما نقيل قليلًا من الموظفين من هنا وهناك، أو قد نرغب في إقالة عدد كبير. يمكنني معرفة ذلك بعد مرور مزيد من الوقت.»

تفحص ويل وجهي: «سنستشير وكيلًا آخر، لكن الأمر كالتالي: إن قررتِ البيع، يمكنك القيام بذلك دون تغيير حتى مصباح واحد، لكن لن يأتي أي مشترٍ دون أن يجري تغييرات، تغييرات كبيرة، ومن المحتمل أن تشمل الإقالات. ستعمل الشركات على تنفيذ الأمور بطريقتها الخاصة. سيضعون معايير موحدة لكل شيء، وسيحضرون فريقهم من طرفهم ويُوظفونهم في بعض المناصب القيادية.»

فكرت في جيمي، وكيف أنه راضٍ عن مخزوننا من غسول الشعر والصابون المصنوعين محليًا، وفي تعليق بيتر الأخير عن قلة الفنادق التي توظف خبازين في المكان. كل شيء يأتي جاهزًا ومُجمّدًا.

قال ويل: «لا أقصد أن أثير ذعرك، لكنني أيضًا لا أريد أن أجمِّل الكلام.»

حدقت إلى المياه، محاولة أن أقمع غثياني.

ستصاب أمي بخيبة أمل. جاءت الفكرة وراحت في لحظة واحدة، قصيرة ومؤلمة، وكان يجب أن أغمض عيني.

«فيرن؟»

«بدأت في قراءة مذكرات أمي، تلك التي كتبتها في الصيف الذي سبق ولادتي.» ارتجف صوتي، سكتت للحظة. لا أعرف لماذا أخبرته بهذا. وضع ويل ذراعه حول كتفي. إنه لا شيء سوى احتضان غرضه المواساة، لكن لمسه لي جعلني أشعر بارتياح بالغ، تمامًا مثل فتح صمام قلبي ليتحرر من الضغط. رائحته زكية، ضبطت نفسي بقدر الإمكان كيلا أضع رأسي على كتفه وأرتمي في حضنه.

قلت عندما استطعت التحدث بثبات: «لطالما عرفَت. عرفت دائمًا أنها تريد أن تدير المنتجع. البيع كان سيقضي عليها.»

سألني ويل بعد دقيقة: «هل يمكنني أن أدلي بملاحظة؟»

«بالتأكيد.» التفتت حتى أتمكن من النظر إليه. سقطت ذراعه عني واستقرت يده على الرمل الذي بيننا.

«أنت تشعين بالحيوية عندما تتحدثين عن المنتجع والاحتمالات المستقبلية. أنتِ شغوف بهذا المكان وأفكارك مبنية على أسس متينة. وآمل ألا تمانعين، لكنني حضرت أحد اجتماعات الموظفين لديك.»

«ماذا؟»

بعدما أخبرني جيمي أن حضوري «يخيف الناس»، عقدت اجتماعين لأقدم نفسي بشكل لائق، شجعت الجميع على الاستمرار في إبقاء الأمور في حالة جيدة بعد وفاة أمي، استقبلت الأسئلة، لم أستطع الإجابة عن كثير منها، بما فيها إن كنت سأبيع المنتجع أم لا. أردتُ أن أتقيأ طوال الوقت. أحبت أمي أن تبقى محور الانتباه، لكنني لا أزال غير مرتاحة عندما تُسلّط الأنظار عليَّ. كنت مرعوبة من أن يعرف الناس أنني أختلق المعلومات التي أقولها بينما أتحدث.

مال نحوي وقال: «أردت أن أراكِ في خضم العمل. كنتِ مذهلة، واثقة، حافظتِ على الشفافية بقدر الإمكان، قويّة لكن متعاطفة. من الصعب الوقوف أمام مجموعة كبيرة من الناس لتخبريهم بأنك لا تملكين كل الإجابات. كثير من القادة لن يفعلوا ذلك.»

اندهشت من إشادته. كنت واثقة بأن الجميع يمكنهم رؤية يديّ ترتجفان، ويسمعون الرعشة في صوتي. شعرتُ بارتيابهم. حدَّق كبير الطهاة إلى وجهي طوال الوقت، طاويًا ذراعيه أمام صدره. «لا أعتقد أنني كسبتهم.»

«هل كنتِ ستقتنعين لو أنكِ في مكانهم؟ لقد نشأتِ في المنتجع، لكن لمعظمهم، أنتِ ظهرت فجأة من لا شيء.»

غمغمت: «أنا فقط لم أتخيل نفسي هنا.» حتى عندما أسمع نفسي، أجد الحجج ضعيفة، مثل قميص مفضل نرتديه حتى يصبح مهترئًا، مريح لكنه قد يكون جاهزًا للرمي في القمامة. «في الواقع، شرعتُ أستمتع بعودتي إلى هنا. جزء من ذلك يبدو صحيحًا.» الاعتراف بذلك مخيف، لكنه حقيقيّ. بعيدًا عن اجتماعات الموظفين، أحببت العمل عمومًا. أحببت أن أكون بالقرب من وتني. نادرًا ما اشتقت إلى المدينة. «شيء صادم، أليس كذلك؟»

بالنظر إلى كل ما يعرفه ويل عني، توقعت أن يوافق. «لن أقول ذلك. في بعض الأحيان تتغير الخطط.»

بدت الجملة مُحمّلة بالمعنى. راقبنا قاربًا يمر ببطء، ورجلًا يضع طُعم الصيد على طرفه. بعد لحظة، أضاف ويل: «نحن لسنا الاثنين نفسهما في الثانية والعشرين من عمرهما. من الطبيعي أن نرغب في أشياء مختلفة.»

نظرت إلى أصابعنا المستقرة على الرمال على بُعد بوصات متقاربة، قلقة من أنني أريد بعض الأشياء نفسها التي أردتها آنذاك.

قال ويل: «أخبريني إذًا عن فترة مقاطعة الرجال هذه.» نظرت في عينيه. بدا أن الأفكار تُبث على تردد لا يستطيع سماعه أحد سوى ويل.

قلت بحذر: «ليس هناك كثير لأقوله.» قطعًا حياة الحب تندرج تحت فئة الأشياء التي لا نتحدث عنها. «انفصال سيئ، تعهُّد بالعزوبية، إلخ.»

«تعهد بالعزوبية، أليس كذلك؟ كيف سار الأمر؟»

«تحملت خمسة أشهر.» لم أحصل على الضحكة التي أتوق لها. بدلًا من ذلك، ظل ويل ساكنًا.

«إذًا، أنتِ تواعدين أحدًا. جيمي؟»

حفرت الرمل بأصابع قدمي، ضغطت ذقني على ركبتي: «انفصلنا منذ فترة طويلة جدًّا.»

«لا يزال يحبك.»

ألقيت نظرة سريعة على ويل وقلت: «لا، ليس صحيحًا.»

«ثقي بي. رأيت كيف ينظر إليكِ.»

«ثق بي. أنت مخطئ. جيمي يحب المنتجع.» قلتها وأنا أحاول إقناع نفسي مثلما أُقنع ويل.

«على أي حال، المقاطعة لها علاقة أكبر بنيل إجازة من العلاقات.»

«قال: «آه. وكم من الوقت استمرت الإجازة؟»

«حوالي سنتين.»

كرر: «سنتين، هل كانت جادة؟ والعلاقة التي تسبق المقاطعة؟»

عضضت خدّي. كان يجب أن أفكر في ذلك. أنا وفيليب قلنا «*أحبك*» لأحدنا الآخر، كل منا التقى عائلة الآخر. كنت أعتبر كلبه البوج كأنه كلبي. ما زلت أعتني بموكا عندما يكون فيليب خارج المدينة. لكنني قط لم أتخيلنا معًا طوال العمر.

«كنا معًا عامًا ونصف، وعملنا معًا فترة طويلة قبل ذلك».

«لماذا انفصلتما إذًا؟»

تنهدت.

لم أفكر سابقًا في أن لديّ نوعًا محددًا، رغم ذلك، أصرت وتني على أن لدي نوعين: الشخص الجيد بشكل مثالي، لكنه بعيد كل البعد على أن يكون مثاليًّا لي؛ (تقريبًا كل شخص واعدته)، والأوغاد (فيليب).

لم أستعد يومًا لتبادل المفاتيح وترتيب الأثاث، لكن بعد أن عرفت فيليب، فكرتُ في أن وتني ربما على حق، ربما جزء مني يختار الأشخاص الخطأ عمدًا. أعتقد أنه لا شيء مثل رؤية حبيبك بسرواله الداخلي حول كاحليه وهو واقف خلف امرأة أخرى لتجعلك تشكين في اختياراتك.

«قال ويل: «آسف. لم أقصد التطفل.»

«لم تقصد؟» سألته وأنا أضحك ضحكة صغيرة. غريب جدًّا، أن أتحدث معه بهذه الطريقة مرة أخرى، لكنني وجدت نفسي راغبة في مشاركته الحكي. لطالما كان الأمر هكذا مع ويل. «لا بأس. أعتقد أنه شيء محرج بعض الشيء. لقد خانني. وجدتهما معًا. انفصلنا.»

سأل ويل: «وما المحرج في ذلك؟» صوته كان مثلجًا بما فيه الكفاية لأتطلع إليه. حدق إلى البحيرة، قابضًا فكه.

هزرت كتفي. لا أريد إخباره عن مدى تأثر كبريائي بخيانة فيليب. أردت تغيير الموضوع: «إذًا ما قصتك؟»

تجعّد جبين ويل.

«ليس هذا بالضبط ما تخيلته عن نفسك.» فكرت فيما كتبته عن خطته.

«قال موافقًا: «لا، ليس هذا ما تخيلته.» ظننت أن هذا كل ما سيقوله بخصوص هذا الموضوع، لكنه أضاف: «ليست قصة قصيرة.»

«لدي وقت.»

انحنى للأمام، وأخذ يلف خاتمه.

قلت: «أنت تفعل ذلك كثيرًا.»

أخذ يقيمني بجنب عينه.

«من أعطاه لك؟»

قال بعد دقيقة: «جدتي. كان لجدي.»

«كنتما مقربين».

«أنا وجدتي، نعم. تتذكرين؟» زينت ابتسامة طفيفة شفتيه، راودتني رغبة في وضع إبهاميّ على زاويتيْ فمه وأرفع طرفيهما لأعلى.

قلت بهدوء: «بالطبع. أتذكر كل شيء».

همهم ونظر إلى المياه: «تُوفي جدي وأنا في الرابعة من عمري. لا أتذكر كثيرًا عنه، لكن جدتي بقيت بالجوار أغلب الوقت. كانت سيدة قوية. دوتي. لأحببتِها، كما أعتقد».

وجدت ذلك مرضيًا على نحو غريب: «فعلًا؟»

«نعم، كانت حقًّا امرأة صريحة. مستقلة لأبعد حد. اعتدت وأختي المبيت في بيتها ونحن صغيران كل عطلة نهاية أسبوع تقريبًا. لدينا غرف النوم المخصصة لنا هناك. علمتني كيفية استخدام مفك البراغي وتغيير زيت السيارة. عندما غادرت أمي، أعطتني هذا الخاتم، ومحادثة طويلة عن المسؤولية والاهتمام بشقيقتي.» نظر إليَّ. أومأت. أتذكر هذا الجزء أيضًا. فكرت في تحسس الندبة على ذقنه بإصبعي، لكنني بقيت ساكنة.

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

«كانت ظريفة، لكن حس الدعابة لديها كان جافًّا. لم أستطع قط معرفة ما إن تحدثت بجد أم لا. عندما كبرت، أدركت أنها كانت تمزح تقريبًا طوال الوقت. توفيت قبل حوالي عام.»

«أنا آسفة.»

«كانت في التاسعة والتسعين من عمرها. عاشت حياة جيدة.»

«ما زال الأمر سيئًا. سواء عاشت حياة جيدة أم لا.»

«كان سيئًا. في غاية السوء.»

أخذ مطر خفيف يتساقط. مجرد رذاذ أغبش، لكننا دسسنا أنفسنا في الزورق وجدفنا عائدين بوتيرة سريعة، وهذا جيد لأن القطرات تساقطت بحدّة أكبر عندما اقتربنا من المنتجع.

أخرجنا القارب من المياه ونقلناه إلى حامله. بحلول الوقت الذي حملنا فيه المجاديف وسترات النجاة إلى مخزن الأدوات، كنا قد تبللنا. انتهيت من تعليق السترات، وعندما استدرت، وجدت ويل يرقبني على بعد خطوات قليلة.

تساقط المطر خارج الباب من خلفه، ضاربًا على السقف المعدني كما الطبل. قميصه يقطر ماءً، ملتصقًا بانحناءات صدره. تبادلنا النظر ثلاثة أنفاس طويلة، بعدها أخذ خطوة للأمام، خفض بصره إلى فمي.

قلت له: «لا تفعل.»

سأل بصوت خشن: «لا أفعل ماذا؟»

أخذت نفسًا: «لا تنظر إليَّ بهذه الطريقة.» لم أعرف كيف أتعامل مع ويل الجديد، الذي يدرس وجهي كخريطة لكنز.

«أي طريقة؟»

قلت، ضاغطة بأظفاري على راحة يدي: «كأنك تهتم لأمري اللعين.»

تقدم خطوة أخرى نحوي: «ماذا لو كنت أهتم فعلًا لأمرك اللعين؟»

«حسنًا، غير مسموح لك.» رجعت خطوة للوراء

«لِمَ لا؟»

لقد كنت أكبح الألم طوال الظهيرة، لكنه طفا إلى السطح كالعوامة: «لأنك تركتني أنتظرك على ذاك المرفأ قبل تسع سنوات.»

قال في هدوء: «لم أُرِد ذلك.»

«إذًا لماذا فعلت ذلك؟ علمتَ أنني سأكون هنا. عرفت ما أشعر به تجاهك.» بدا صوتي مختنقًا.

ابتلع ريقه: «نعم، عرفت.»

استطعت الشعور برجفة شفتي السفلى، عضضتها. بقوة. يجب أن أغادر. مررت بجوار ويل، لكنه أمسك ذراعي وجعلني أستدير. انحنى، عيناه تحركتا بين عينيّ.

«قلقتُ من أن أبدو مختلفًا عما تتذكرين، ويخيب أملك.»

همست: «لكنك خيبت أملي. جعلتني أعتقد أن كل ذلك لم يكن إلا في رأسي.»

قال: «لم يكن كذلك. صدقيني، لم يكن رأسك هو المشكلة.» أردت أن أسأله عما يعنيه، لكنه مسح دمعة على خدي ودس خصلة من شعري وراء أذني قبل أن يجذبني نحوه.

أمسكت طرف قميصه بقبضة يدي، جذبته أكثر بقربي. أردت تمرير أصابعي على كتفيه وتقبيل ندبته وأقوم بكل الأشياء التي أردتها قبل أن أكره ويل باكستر.

انحنى وضم وجهي بين يديه. لامس أنفه أنفي. تسللت يداي تحت قميصه المبتل، بسطتهما على بطنه، أغمض عينيه. جلده دافئ، جسمه صلب. قربت نفسي منه.

مرر ويل إصبعه على أنفي من أعلى لأسفل وقال. «مثالي.»

همس باسمي وهو يقرب شفتيه من شفتي، أفاقني ذلك من غمامة الحنين التي ضعت فيها.

خطوت للخلف وقلت: «أنا آسفة. لم يكن عليّ فعل ذلك. لا يمكننا فعل ذلك.»

«حسنًا». كانت أنفاسه ثقيلة مثلي.

قلت بصوت متقطع: «أنا غارقة في المشكلات. أحتاج إلى مساعدتك. أحتاج إلى أن نظل بخير، وأن نتمكن من العمل معًا.»

حدق إلى وجهي وقال: «لن أفعل أي شيء يعرض عملك للخطر، بغض النظر عما حدث بيننا. أريدك أن تعلمي ذلك. يمكنك الوثوق بي.»

هززت رأسي. الثقة بويل مثل الثقة بسراب. «لا أستطيع. لا أعرف من تكون. وأنت لا تعرفني.» ثم مشيت وخرجت من السقيفة إلى المطر.

سمعت طرقًا بعد الثانية صباحًا. طرق خفيف. ليس كطرق بيتر طرقة ثم أخرى ثم أخرى، ولا طرق مشتت من نزيل رأى عينين صفراوين في الغابة.

كنت مستيقظة بالفعل. فقدت الأمل في النوم قبل بضع دقائق.

لم يكن هناك أحد عند الباب عندما هبطت للطابق السفلي، لكن ثمة طرد رفيع ومربع على سجادة الاستقبال. ملفوف بورق مخطط زاهي الألوان ومن فوقه ظرف عليه اسمي. عرفت خط يد ويل على الفور. لم يتغير.

أخذت الهدية إلى طاولة المطبخ وفتحت البطاقة. في الداخل، رُسِمَت امرأة تحمل مجدافًا في الهواء مثل السيف، وملاحظة قصيرة.

أنتِ تعرفين من أكون. وأنا أيضًا أعرفك.

مزقت الورقة وحدقت إلى غلاف أسطوانة الأغاني، مبتسمة في الظلام.

12

14 يونيو، قبل عشر سنوات

أخذني ويل إلى **سونِك** بوم. كان واحدًا من أكبر محلات الأسطوانات الصوتية في المدينة، ذهبت إليه عدة مرات، لكنني لم أخبره بذلك. هو على حق، هذا بالضبط ما احتجتُ إليه بعد انهياري الطفيف في المعرض. شعرت بالحنين إلى الوطن من قبل، لكن اللوحات أثارت فيَّ نوعًا أعمق من الاشتياق.

شعرت بتحسن وأنا أُقلِّب الأسطوانات، قائلة لويل ما كنت لأشريته منهم لو أنني قادرة على دفع ثمنه. هذا لا يعني أنني أملك مشغل أسطوانات، فلا مساحة له في شقتي.

سألني: «لو أنك قادرة على شراء واحدة اليوم، فأيهم ستختارين؟»

«واحدة فقط؟»

أومأ.

حدقت إلى الأرفف وأخذت أفكر، ثم قدته إلى قسم آخر لأبحث عن جائزتي. التقطت أسطوانة لباتي سميث بعنوان Horses أخذت أقلبه بين يدي وأعرضه عليه، قلت: «إحياءً للذكرى.»

قال ويل: «لدي فكرة.»

ولم يقل أكثر من ذلك.

قضينا ما تبقى من العصر متجولين في كِنسينجتون ماركت، وهو حيٌّ صغير فيه محلات قديمة ومتاجر صغيرة وباعة طعام بقوا صامدين ومستمرين في عملهم رغم شح إمكانياتهم، وازدياد محلات بيع اللحوم المتخصصة والمتاجر الفاخرة. بحثنا جاهدين في كلّ متجر صغير عن شيء قيّم. ذهبت مباشرةً إلى رف النظارات الشمسية، باحثة عن إطارات رخيصة تناسب قصة شعري الجديدة، وويل منهمك في البحث، رغم أنه لم يقُل عما يبحث.

صحت أسأله من آخر مكان توقفنا فيه: «ما رأيك في هذه؟» كان ينظر إلى شيء بالقرب من مكان الدفع. النظارة التي ارتديتها كبيرة ولها ذراعان بلاستيكيان وعدستان صفراوان بنيتان. سعرها 7.99 دولار أيضًا.

«تبدين مثل نجمة سينمائية في الستينيات.»

نظرت إلى نفسي في المرآة مرة أخرى وقلت: «اشتريت.»

عندما حلّ المساء، صار الهواء رطبًا، كست السماء كتلة كثيفة من الغيوم الرمادية. اتفقنا على أننا بحاجة إلى شرب شيء.

«هذان جِن وتونِيك ممتازان.» قلتها بعدما جلسنا إلى طاولة معدنية صغيرة في الفناء الأمامي لحانة صغيرة. هذا ما شربته والدتي دائمًا في أول يوم دافئ من السنة.

«لم أكن أعرف درجات جودة الجِن والتونِيك.»

«آه، بالطبع يوجد درجات. لقد تذوقت بعضًا من الجِن والتونِيك المروعين حقًّا في هذه المدينة. تونِيك فاسد، ليمون يابس، وجِن رديء.»

ضحك ويل: «أنا متحمس جدًّا لأننا وصلنا إلى وقت من المساء وقد قررت شخصيتك الرسمية أن تظهر فيه.»

«تذوقه إنه ممتاز.» قربت منه كأسي الموضوع على الطاولة.

أخذ رشفة. ثم أخرى، ثم واحدة أطول، وقال: «هذا منعشٌ. لكنه غريب.»

«ما الغريب؟»

«لسبب ما، لدي رغبة جامحة في لعب الإسكواش وتعلم كيفية الإبحار.»

«ها ها.»

ابتسم. «لكن المشروب جيد. أفضل بمراحل من الجعة التي طلبتها، في الواقع.» طلب ويل أحد أنواع الجعة المُصنّعة بعناية. «سأعود بعد قليل.»

راقبته ذاهبًا نحو الحانة، ثم أخرجت هاتفي المحمول. رأيتُ رسالة نصية من وتني.

شكرًا على استضافتي! أنا وكام نريد أن نخرج معكِ أنت وجيمي للاحتفال بمجرد عودتكما. بدأ العد التنازلي!!!

كان هناك أيضًا رسالة من جيمي، يقول فيها إنه سيقيم حفلًا يشعل فيه نارًا عند مساكن الموظفين لاحقًا في تلك الليلة.

لا تبالغ في ذلك، كتبت هذا في رسالة نصية ردًّا عليه. قطعًا سيبالغ. سيكون هناك كثير من الجعة، وكثير من السجائر. رقائق البطاطس غير معروفة المصدر، نقانق تُشوى في عيدان على الفحم، أغلبها تأكله النيران بدلًا من أفواه الجوعى. حتمًا سيُحضِر أحدهم جيتارًا صوتيًّا،

عادة ما يكون إشارة لي للمغادرة، لكنني سأظل إن عزف جيمي. لديه ثلاث أغانٍ لا غير كلهم لنيل يونج، وإن لم يبالغ في الأداء، فلديه صوت جميل. في الليلة التي قبلته فيها لأول مرة، أمام عشرات الموظفين الآخرين عند نار المخيم، غنى أغنية Heart of Gold. عندما ضم بأصابعه أصابعي، كانت لزجة من أثر المارشميلو. رغم ذلك ظللت أضمها بقوة لبقية الليلة.

عاد ويل بكأسين من الچِن والتونيك ودس نفسه في كرسيه، قال: «نظرًا إلى أنني شربت نصف كأسك.»

«أُقدِّر ذلك.» مددت يدي لأخذ الكوب، فاصطدمت قدمي بقدمه تحت الطاولة. «آسفة. لدي قدمان ضخمتان.»

ارتفع حاجبا ويل: «حقًّا؟»

«نعم، قامتي قصيرة جدًّا، ولدي قدمان كبيرتان بشكل غير متناسب.»

«هذه ليست مشكلة.»

«بلى.» رفعت إحدى فردتي حذائي ماركة كونفرس ذي الرقبة العالية وقياسه 9، ثم قلت: «انظر.»

ميَّل رأسه وقال: «لا أعرف، تبدو عادية. ربما عليكِ الوقوف حتى أرى كل شيء مجتمعًا.»

قفزت من مقعدي، واضعة يدي على خصري.

نظر إليّ من رأسي إلى أخمص قدمي وضحك: «في الواقع، أنتِ على حق. إنهما ضخمتان. من المدهش أنك لا تتعثرين بهما أكثر.»

قلت: «شكرًا لك. أنا متأكدة أن لديك قدمين بحجم عادي جدًّا.»

ألقيت نظرة سريعة على حذائه، كان ضخمًا. عندما رفعت بصري له مرة أخرى، كان ويل يبتسم ابتسامة ساخرة.

اندسست في مقعدي بوجه محمر.

قال ويل: «ماذا كنتِ تقولين؟»

رميت الليمونة على صدره: «لا تكن متعجرفًا.»

جحظت أعيننا في الوقت نفسه، ثم انفجرنا في الضحك. بصعوبة التقطت أنفاسي عندما ركل ويل قدمي من تحت الطاولة، وقهقهنا من جديد.

أظلمت السماء عندما انتهينا من جولتنا الثانية. مرَّرت إصبعي حول حافة الكأس. لم أرغب في توديعه، لكنني عرفت أنَّ يومنا وقد أوشك على الانتهاء.

«استمتعت.» لم أعرف ماذا أقول غير ذلك.

قال ويل: «وأنا أيضًا. وهذا يذكرني بشيء.» بحث في جيب بنطاله الچينز ووضع حقيبتين بلاستيكيتين صغيرتين على الطاولة. بداخل كل واحدة منهما دبوس تذكاري على شكل ترام الشارع بلون أحمر لامع. قال: «واحد لك وواحد لي. إحياءً للذكرى.»

ثبتت دبوسي في زاوية حقيبتي القماشية، بينما ثبّت ويل دبوسه على حقيبة ظهره. التقت أعيننا عندما انتهى. «أحببته. شكرًا لك.»

بينما احتسينا آخر ما في كأسينا، خطر على بالي فجأة تصور مفزع، وهو أن ويل ربما هو أفضل شخص قابلته في حياتي. بل أكثر مما يبدو عليه، أكثر من مجرد وجه جميل.

ذات مرة، أعدَّ بيتر كعكة الشوكولاتة دون دقيق. بدت مثالية، غامقة ولامعة، نُثِرَ فوقها حبات السكر البلّورية. لكن عندما أخذت قضمة، أدركت أنَّ ما فوقها ليس سُكر، بل حبات ملح، كما أضاف بيتر فلفلًا حارًّا إلى الكاكاو. أروع ما تذوقت في حياتي، فاخر مثلما كان غير متوقع. ويل كان هكذا.

قال: «لدى صديقي حفل الليلة.» رفعت بصري إليه وأنا أشرب. أردف: «في سنيكي ديز. لم أطلب چِن وتونيك هناك من قبل. أنا متأكد أنهما رديئان. لكن هل ترغبين في المجيء؟»

قلت ببطء: «سبق أن زرتُ سنيكي ديز من قبل.» إنها مؤسسة في تورونتو، ثمة حانة في الطابق السفلي، وقاعة حفلات صغيرة في الطابق العلوي، رسم الجرافيتي يغطي جميع الأسطح المتاحة، لديهم أشهر رقائق ناتشوز في المدينة.

لعب ويل بخاتمه: «لا أعتقد أن أيّ طالب جامعي في هذه المدينة لم يزرها من قبل.»

«ألن يكون هذا جزءًا من جولة ويل باكستر الرسمية؟» جلست في ثبوت تام، لكن فقاعات من الدم فارت تحت جلدي.

«انتهت الجولة. أنا خارج مواعيد العمل الآن. لن أشرب في أثناء العمل.»

«بالطبع لن تشرب. لم أقصد أن أهين احترافية عملك.»

«سيبدأ الحفل في التاسعة. يمكننا أن نتناول وجبة سريعة هناك أولًا؟»

أسندت ذقني إلى يدي، أخذت أراقبه فترة أطول من اللازم.

«أنت فعلًا ستغادر غدًا، أليس كذلك؟»

«نعم. فعلًا سأغادر.»

«وبعد ذلك لن تعود أبدًا؟»

ميَّل رأسه إلى جنب، غير متأكد مما أردت الوصول إليه. قال: «سأعود، ولكن ربما ليس قبل العطلات الرّسمية.» وقتها سأكون قد رحلت منذ زمن.

«إذاً ما تقوله هو أن هذه فرصة لا تتكرر سوى مرة واحدة في الحياة؟»

تقوست شفتا ويل. قال: «بالضبط. استغليها أو ضيعيها.»

«أشعر بالقرف نوعًا ما.» قلتها عندما اقتربنا من الحانة. استكشفنا المدينة طوال اليوم، وكنت مكسوَّة بطبقة واضحة من الأتربة ووسخ المدينة. احتجتُ إلى استحمام. «شقتي قريبة من هنا. أفكر في الذهاب إلى هناك لأغتسل وأبدل ملابسي وألتقيك هناك بعد قليل؟» كان بإمكاني الوصول إلى شقتي والعودة قبل بدء عرض الفرقة.

«ماذا؟ هيا. اعتقدت أننا سنتناول رقائق الناتشوز أولًا. بالإضافة إلى ذلك، بمجرد أن تصلي إلى المنزل، من المستحيل أن تشعري بالرغبة في الخروج مرة أخرى.»

«رائحتي تشبه الماء العكر.»

انحنى ويل للأسفل، قرب وجهه بمقدار بوصة من رقبتي، واستنشق بعمق. قال في أذني: «رائحتك مثل شروق الشمس.»

اقترب رأسي من رأسه كأنه انجذب إليه بخيط. أوشك أنف كل منا على الاصطدام معًا.

قال كاتمًا ضحكة عصبية: «آسف، أصبح الأمر غريبًا.»

تنحنحت وقلت: «نعم. على أي حال، ملابسي غير ملائمة تمامًا للخروج.» كنت على وشك أن أقترح على ويل القدوم معي، لكن فكرة الاستحمام وهو في الغرفة المجاورة بدت فكرة سيئة بجدارة.

قال: «تبدين رائعة. لستِ بحاجة إلى تبديل ملابسك. نحن ذاهبان إلى سنيكي ديز. لن يرتدي أحد ملابس رسمية.»

«أنتِ فقط قلقة من أنني سأنشغل عنكِ هناك، وأنك سوف تضطرين للاستماع وحدك إلى إحدى الفرق الموسيقية الغريبة على غرار فرقة نِرفانا.» لم يذكر ويل أنها فرقة سكا إلا قبل مسافة مبنى واحد تقريبًا.

قال ويل: «مُرعِب، لا تجعليني أذهب وحدي.»

رأيت أيقونة الجماجم على لافتة سنيكي ديز في المُقدمة. «حسنًا. لكنك مدين لي.»

بمجرد وصولنا، حجز ويل إحدى المقصورات الخشبية بينما هربت بسرعة إلى الحمام في الطابق السفلي. فتشت في حقيبتي، على أمل أن يظهر بداخلها وبطريقة سحريّة أحمر الشفاه أو مشطًا، لكن كل ما وجدته هو علكة وعلبة مرطب شفاه من نوع سميثز *روزبود سالف*. لم أكن من الفتيات اللائي يحملن مستلزمات التجميل معهن. لم أهتم حتى بوضع مستحضرات التجميل في الصباح. فركت إبطي بورق مناديل مبلل بالصابون، رششت الماء على وجهي، ووضعت

طبقة سميكة من مرطب الشفاه اللامع. تمنيت باستماتة لو لدي مزيل عرق.

وجدت شابًّا جالسًا بجوار ويل عندما عدت إلى الطابق العلوي. حتى من الجهة الأخرى للمكان، استطعت رؤية أنه حرص حرصًا شديدًا أن يكون مهندمًا. لديه بشرة زيتونية ولحية سوداء مشذَّبة، ومرتبة، ومحددة بشكل مثالي.

قال ويل: «فيرن، هذا إيلي».

«تشرفت بمقابلتك.» وقف إيلي، أخذ يدي بين كفيه. ارتدى بنطالًا من الجينز أحمر اللون، وربطة عنق سوداء نحيفة، وقميصًا أبيض كنت متأكدة أنه تعرّض للكي في وقت سابق من المساء. أراهن أن بقية جسده شهد الصالة الرياضية قبلها.

قلت: «وأنا أيضًا.» أخذت مكانًا بجانب المجلس وفي مقابلهما. «كيف تعارفتما؟»

قال إيلي: «كنا معًا في المدرسة الابتدائية، ثم الثانوية، لكننا لم نلتق منذ فترة طويلة. لا يمكنني أن أصدق أنني أقنعت هذا الرجل أخيرًا لحضور عرض.»

رميت نظرة على ويل، لكنه رفض التجاوب معها. شعرت أنه شاهد أداء الفرقة من قبل، وأننا لم نجيء إلى هنا لنقضي الليلة في سماع أغاني سكا *البشعة* على غرار فرقة نِرفانا.

قال ويل: «كنا هنا في المنطقة، وفيرن مهووسة بالموسيقى إلى حد ما، لذا فكرنا أن ندخل ونجرب.»

قال إيلي: «هذا لطيف. أعتقد أننا نقدم عرضًا لائقًا.» وأشار إلى النادل لنُملي عليه طلباتنا، ثم التفت إليَّ: «هل تعيشين في تورونتو، فيرن، أم أنك أنت أيضًا من فانكوفر؟»

قلت: «لا، يا إلهي، أنا من هنا. شقتي على بُعد بضعة شوارع من هنا».

أدار رأسه نحو ويل وقال: «كيف حال العلاقة عن بُعد؟ أنا أعيش في ليبرتي فيليدج، إن كنتِ تجدين ذلك حِملًا عليك.» وغمز.

قلت: «لا، يا إلهي، نحن لسنا معًا. على الإطلاق».

ضحك ويل وقال: «هل يجب أن أشعر بالإهانة من كيفية صدّك لي الآن؟»

قال إيلي: «قطعًا لشعرتُ أنا بذلك. بدت وكأنها أكلت مأكولات بحرية فاسدة.»

وضع لنا النادل زجاجة جعة وثلاث كؤوس، صببتُ الجعة ثم تجرعت كمية كبيرة من كأسي.

وإيلي وويل يتحدثان، أدركت أننا في موقف لم نواجهه من قبل. كان يومي مع ويل عفويًّا وغير اعتيادي، لكننا عن غير قصد أعطينا لأنفسنا خريطة طريق، وكتاب قواعد، ونقطة نهاية. الآن، لم نخرج فقط عن المسار، بل أتحنا علاقة الشَّراكة الغريبة التي بيننا للمتفرجين.

ركلني شخص ما من تحت الطاولة، فرفعت رأسي عن الجعة التي أشربها.

حرك ويل شفتيه يسألني *هل أنتِ بخير*؟ بينما كان إيلي يعيد صب كؤوسنا.

أومأت.

وضع النادل صينية وسط الطاولة. مكدسة بكمية هائلة من رقائق الناتشوز الباهرة المقززة. كان يجب أن يكون هناك طبقين من المكونات الإضافية بجانب الجبن والصلصة؛ لحم مفروم، وفاصوليا مقلية، وخضروات، وجواكامولي، وكريمة حادقة. تأوهنا من فرط الإعجاب.

«إذًا، كيف كان هذا الشخص في طفولته؟» سألت إيلي وأنا ألتقط رقاقة ناتشوز.

قال إيلي: «بيل المتوحش؟ كان مثلما هو إلى حد كبير.»

حركت شفتيّ هامسة لويل *بيل المتوحش*؟ فأدار عينيه. ظننت أنني رأيت رقبته وقد أخذت في الاحمرار.

«كان نحيفًا. يرسم طوال الوقت. مشاعره جياشة بعض الشيء.»

رفعت حاجبيّ: «حقًّا؟»

ألقى إيلي نظرة على ويل، الذي أعطاه إشارة تكاد تكون غير ملحوظة برأسه. عاد إيلي ينظر إليّ متجاهلًا سؤالي، قال: «ولم يكن لديه أي مهارات رياضية.»

قال ويل: «كنت أمارس الرياضة. أركل الكرة في أثناء وقت الاستراحة.»

«واسم هذه الرياضة هو؟» غمز لي إيلي مرة أخرى.

حك ويل جبينه وقال: «تنس الريشة؟»

قال إيلي: «تنس الريشة. نعم، لعبة مدرسية كلاسيكية.» عندما التهمنا رقائق الناتشوز كلها تقريبًا، أخرج إيلي عشرين دولارًا من

محفظته، قال: «ربما يجب أن أتوجه للأعلى بعد قليل. الطبال يستاء إن لم نأتِ جميعًا ونسجل حضور قبل خمس عشرة دقيقة على الأقل من موعدنا.»

سألت: «ما اسم فرقتكم يا شباب؟»

اتسعت عينا ويل وهو جالس إلى الطاولة، ومن تحتها ركل قدمي.

قال إيلي بوجه جاد: «اسمها ذا مايتي مايتي كورت تونز.»

دفعت رقاقة مغموسة بالصلصة إلى فمي. كنت بحاجة إلى تغيير الموضوع وإلا لضحكتُ بصوت عالٍ. «هل تريدان أن تعرفا يا شباب كيف نجعل هذه الناتشوز أفضل؟»

«نعم.» أجابا بصوت واحد.

شرحت نظريتي، تتضمن توزيع المكونات الإضافية عليها، وطهي رقائق الناتشوز في طبقات حتى تظل مقرمشة. حدق ويل وإيلي إليَّ ذاهلين.

«لا توافقاني الرأي؟» دفعت رقاقة رخوة إلى جوفي. ما زالت ممتازة.

تحدث إيلي أولًا: «فيرن؟» وضع يدًا واحدة على صدره. «أعرف أننا التقينا توًّا، لكن أعتقد أنكِ توأمي الروحي. تتزوجيني؟»

ضحكت

«موعد، إذًا.»

هززت رأسي.

«اسمعيني. نحن نعيش في الجانب نفسه من المدينة. أنت مُذهلة الجمال، وأنا موهوب نوعًا ما في السرير.» أشار إلى ويل وقال: «لدي وظيفة جيدة، وشقتي الخاصة، وأنا لاعب ساكسفون ماهر. لدينا صديق واحد مشترك، سيشهد لصالحي. فعلًا لا سبب لرفض الفكرة.»

قلت: «الأمر لا يتعلق بك، بصراحة» نظرت إلى ويل راجية دعمه، لكنه كان يحدق إلى إيلي.

«ماذا أفعل لتوافقي؟ سأحجز مكانًا لطيفًا.»

هززت رأسي مرة أخرى. بدأت يداي في التعرق. عرفت إلى أين سيوصلنا هذا الكلام.

«فيرن، أنت تقتلينني. ما رأيك في تناول القهوة معًا؟»

ازدردت ريقي، قلت في هدوء: «أنا آسفة. لدي حبيب.» بمجرد أن انفلتت الكلمات من فمي، استدار رأس ويل باتجاهي.

«تبدو هذه تمثيلية.» قالها إيلي، ثم استدار إلى ويل وأردف: «هل هي فعلًا غير متاحة في السوق؟»

ثبت ويل عينيه عليّ، تقلصت معدتي.

قلت، ما زلت أنظر إلى ويل: «نعم فعلًا. اسمه جيمي، ونحن معًا منذ أربع سنوات.»

14 يونيو 1990

ساعدني بيتر في مشروع زراعة الحدائق. قال أبي إن بإمكاني زراعة السرخس والبيجونيا على طول الممر المؤدي إلى الأكواخ إن اعتنيت بهما. أخذنا عربة الجولف اليوم لكي أستطيع أن أشرح لبيتر في أي مكان أريد كل شيء أن يكون. قلت له إنني وإريك اتفقنا أن نكون معًا، كاد أن يصطدم بشجرة. يقول إن إريك متغطرس، سطحي، ولا يملك شيئًا مثيرًا للاهتمام ليقوله. قال إنه ليس جيدًا كفاية لي. لكن عندما أضع في الاعتبار أن بيتر قال كلامًا مشابهًا عن كل حبيب أواعده منذ السابعة عشرة من عمري، فلم يكن هذا مفاجئًا تمامًا. لطالما اعتقدت أنه يقول ذلك لأنه يكبُرني بخمس سنوات، ويعتبرني مثل أخته الصغرى. في هذه الأيام، لست متأكدة من ذلك.

في وقت سابق من هذا العام، عندما قضى بيتر عطلة نهاية الأسبوع معي في أوتاوا، حدثت تلك اللحظة. كانت ليلة عيد ميلادي الثاني والعشرين، وبعدما غادر الجميع، جمع الأكواب البلاستيكية الفارغة، وأخبرني أن أخلد إلى النوم بينما يكمل التنظيف. عانقته، وعندما ابتعدت، أبقى ذراعيه حولي. أُقسِم أنه كان سيقبلني. إذا تكلمت بصراحة، شعرت بخيبة أمل لأنه لم يفعلها. اعتقدت أنني لا بد وقد توهمت الأمر. لكنني الآن لست متأكدة.

13

الآن

عملتُ أنا وويل في الشُّرفة الخلفية. تردد صوت الدق المجوف لطيور نقار الخشب في الأشجار. جلس ويل ممددًا ساقيه أمامه، ظهر جلده كشريط أسفل حافة سرواله. لا أعرف لماذا وجدت كاحليه جاذبين لهذا الحد. مثل نبيلة من عصر الوصاية على العرش، راجية أن ترى لمحة من جلد أحدهم.

تجاوزت السَّاعة السادسة بكثير عندما رن هاتفه. إنها نغمة الجرس، نهض ليتلقى المكالمة.

مر أسبوع منذ أن أخرجنا الزورق إلى بحيرة سموك. وقتها كدنا أن نتبادل قبلة. لم يذكر أحدنا ذلك، لكن عندما شكرته على أسطوانة باتي سميث، شعرت بتوتر الجو بيننا. وإلا لشعرت أنني حلمت بتلك اللحظة. باستثناء أنني أحيانًا ألمحه يرقبني، وأسمعه يهمس بـ «*مثاليّ*»، فأستغرق وقتًا طويلًا لاستعادة تركيزي.

راسلت جيمي بخصوص حفل الرقص في أغسطس وعرض المواهب. كانت هذه هي التقاليد، حتى قبل أن يمتلك أحد من عائلة بروكبانكس المنتجع، وهو حفل توديع سنوي لنهاية الصيف، يشمل عشاء وموسيقى تبث مباشرة أمام الجمهور. قدم السيد والسيدة روز أغنية «The Surrey with the Fringe on Top»

من مسرحية *أوكلاهوما!* وفي كل عام كان أمي تزود عربات الجولف بأغطية مخططة. من المعتاد أن يُنَظَّم صف من الموظفين ليؤدوا رقصة الركلات، لكن أمي ألغتها في التسعينيات. إنه إنتاج ضخم، وأعتقد أنه حمل كبير علينا هذا العام. تجادلت أنا وجيمي لمدة ربع ساعة حول هذا الأمر. عندما خطا ويل إلى الداخل بهاتفه وأغلق الباب الجرار وراءه، ضغطت على زر الاتصال.

بدلًا من قول مرحبا، قال جيمي: «أنت تكرهين التحدث عبر الهاتف.» خفض صوته وأردف: «هل دخَّنتِ قليلًا من أي شيء، فيرني؟»

«ظريف جدًّا. اعتقدت أن ذلك سيسهل عليّ إقناعك بالتراجع عن هذا.»

أعطيت ويل صلاحية كاملة للاطلاع على طلبات الحجز، لديه تقريبًا عدد الأسئلة نفسه حولي أنا وجيمي.

استطعت الشعور بأن جيمي لديه شكوك. ضغط عليّ لأخبره بتفاصيل عن كيفية معرفتي بويل، وكل ما قلته هو أننا التقينا مرة واحدة منذ وقت طويل. لكنه لم يتخذ أسلوبًا دفاعيًا بشأن وجود مستشار يتسكع في الأنحاء. حفل الرقص هو الشيء الوحيد الذي تشبث به جيمي.

قال: «أنت لن تقنعيني بالتخلي عنه.»

«لا أعتقد أن فكرة إقامة حفل كبير رغم كل ما يحدث، فكرة جيدة.» من الصعب تخيل حفل الرقص دون وجود أمي هناك، لست

متأكدة إن كنت مستعدة لذلك. *سنُقيمه الصيف المقبل،* فكرت بيني وبين نفسي، لكنني تداركت نفسي قبل أن أنطق بها.

«فيرن.» نطق اسمي كأنه تنهيدة، عرفت أنَّ ما سيقوله بعدها جاد. لا أعتقد أنه ناداني باسمي فيرن (دون إضافة ياء الملكية) أكثر من ثلاث مرات في حياتي. «جميعنا أحب ماجي، لكن يراودني شعور بأن المنتجع لا يزال في حالة حداد. لا أريد أن أقترح أنه حان الوقت للمضي قدمًا، لكننا بحاجة إلى احتفال، لكل العاملين في المنتجع وكذلك للنزلاء.»

أغمضت عيني. في الخلفية، قرقع صوت ويل المرتفع عبر الباب الزجاجي. لم يكن يصرخ، لكنه بدا مُحبَطًا.

قلت لجيمي: «ربما أنتَ مُحق.»

«أنا كذلك. بالإضافة إلى ذلك، لقد حجزت الفرقة الموسيقية بالفعل.» خرجت مني ضحكة غاضبة.

قال جيمي: «سأهتم بكل شيء. أنا معكِ.» عندما عاد ويل بعد عشر دقائق، كان يحمل علبتيْ ماء فوار بالليمون، الذي بدأت أوفّره له، وطُوِيَ كُمّا قميصه الأبيض حتى المرفقين. لا أدري لماذا وجدت ظاهِر ساعديه في غاية الجاذبية، أيضًا. رفعت رأسي عن حاسوبي المحمول. أرسل إليَّ الطاهي التنفيذي للمطعم بريدًا إلكترونيًا متعاليًا، يشرح لي فيه بأسلوب مهذب واستفزازي كثيرًا من الأسباب التي يجب أن تبعدني عن التخطيط لقائمة الطعام.

«آسف بشأن ذلك.» قالها ويل وهو يقدم لي الماء المعدني.

«بشأن ماذا؟»

«أنا متأكد أنك استطعت سماعي.»

«إنه شيء خاص. ليس من شأني.» عدت للالتفات إلى حاسوبي، محاولة اكتشاف الطريقة الاحترافية لإخبار الطاهي بأن يذهب إلى الجحيم.

ظل ويل هادئًا بضع دقائق ثم قال: «إن قررت البقاء مدة أسبوعين آخرين، فهل ستقبلين ذلك؟» اتسعت عيناي ناظرة إليه: « لن يأتي الوكيل العقاري الثاني قبل الأسبوع المقبل، وبعد ذلك، يمكنني مراجعة الخطتين معك: البيع أو البقاء».

كان من المفترض أن يغادر ويل الأحد المقبل، وهو شيء ارتعبت منه في قرارة نفسي.

قلت بصوت محايد: «ابق بقدر ما شئت. سأتأكد من استطاعتنا في الإبقاء على كوخ رقم 20 متاحًا لك».

فورًا أرسلت بريدًا إلكترونيًا إلى المسؤول عن الحجز. إن بقي ويل مدة أسبوعين إضافيتين، فسيكون هنا في حفل الرقص. ربما الأمر ليس شنيعًا إن حضر معي. حدقت إلى الشَّاشة، لكن تفكيري انجرف إلى الماضي وقتما شعرنا بالحر وتعرَّقنا والتصق أحدنا بالآخر على ساحة رقص مختلفة.

«عندما تراجع كل شيء، هل ستخبرني بما كنت ستفعله لو أنَّك في مكاني؟» سألته، وقد تمالكت نفسي.

لم يخبرني ويل إن كان يعتقد أنني يجب أن أبيع أم لا. قدَّرت ذلك، لكنني أيضًا رغبت باستماتة في معرفة وجهة نظره. لقد حكيت له عن

حلمي الخيالي بامتلاك مقهى، والمتجر الصغير الذي تجولت فيه مرارًا وتكرارًا، لدرجة أن مالكي المحل اشتبهوا فيّ كسارقة.

قال ويل، وهو يرى أنني على وشك الاعتراض: «سأعرض عليك كل التفاصيل، لكن هذا قرارك. حتى لو أردت مني ذلك. لا أعرف ما الأفضل لك. أنت وحدك تعرفين ذلك».

ضيقت عيني: «ويل باكستر، أنت جبانٌ طويل القامة».

أطلق ضحكة، عالية وصاخبة ومشرقة كصفار بيضة. لم أسمع تلك الضحكة منذ سنوات. أشعة الانتصار تشع من صدري.

مال ويل إلى الأمام، وأسند مرفقيه إلى فخذيه. «هل تتناولين العشاء معي؟»

«العشاء؟» لقد تناولنا بعض كؤوس الجعة بعد العمل بضع مرات، لكن تناول العشاء سيعني تجاوز الحد الذي وضعناه لنُبقي الأمور رسميّة «هل يتضمن تناول الطعام؟»

ابتسم ويل، تجعدت زوايتا عينيه: «عادةً يتضمن الطعام.»

جفلت وأنا أنظر إليه.

قال: «الليلة. في كوخي.»

الضحكة المرتجفة التي خرجت من فمي كانت عصبية بشكل مبالغ فيه. «من الناحية التقنية، هو كوخي أنا. لا أعرف إذا كنت قد سمعت ذلك، لكنني أملك هذا المكان».

«ربما سمعت شيئًا من هذا القبيل.» ظل ينظر في عيني وأردف: «هل هذا يعني نعم؟»

«لا أعتقد أنك طرحت عليَّ سؤالًا.» من المفترض أن يبدو ردي مستفزًا، لكنني بدوت مثل فأر يتفاوض مع أسد.

ابتسم، والترقب جعلني أشعر بجلدي يضيق عليَّ. «فيرن، هل تودين القدوم لتناول العشاء؟»

قلت: «نعم.» أنا حقًّا أود ذلك.

طلب ويل ثلاثين دقيقة ليجهز نفسه.

في ذلك الوقت، قمتُ بما يلي:

- وقفت أمام مرآة غرفة نومي، أحاول تحديد ما إذا كان عليّ ارتداء شيء أكثر أناقة من سروال قصير وقميص قطني ضيق، أم أن ذلك سيجعلني أبدو كأنني أحاول إثارة انتباهه. (وهذا ما كنت أفعله. ربما.)
- جربت فستانًا حريريًّا جديدًا أزرق اللون، اشتريته الأسبوع الماضي.
- وضعت في الاعتبار أن اللون الأزرق لا يلائم ذوقي المعتاد فالألوان التي تريحني في الملابس هي الأسود، والأبيض، والرمادي.
- ناقشت مع نفسي فكرة تبديل سروالي الداخلي الذي يشبه سراويل الجدَّات.
- أزلت شعر ساقيّ بشفرة حلاقة جافة.
- ارتديت سروالًا داخليًّا ذا سيور رفيعة.

- خلعت السروال الداخلي ذا السيور الرفيعة، وعدت لارتداء سروال الجدّات. (مجرد صديقين. مجرد صديقين. لسنا حتى صديقين! زميلين!)
- قررت أن أعصابي مُتعَبة، تجاوزت الحد بشكل مُقرف؛ لأنني ارتديت سروالًا داخليًّا غير نظيف وبدلت به آخر نظيف، وغير مثير.
- تعرّقت في فستاني، فبدلته وعدت لأرتدي سروالًا قصيرًا وقميصًا قطنيًّا ضيقًا. ملاحظة لنفسي: الحرير الملون هو العدو.
- تساءلت إذا كنت سأجلب معي نبيذًا أحمر أم أبيض.
- تجرعت كأسًا من النبيذ الأبيض. سأجلب معي الأحمر.
- حدقت إلى نفسي في المرآة مرة ثانية وارتديت فستانًا من قماش الجيرسيه الأسود، بلا أكمام.
- نظرت إلى نفسي في المرآة مرة أخرى وارتديت فستانًا أسود قصيرًا دون أكمام، بسيطًا بطريقة تجعل الرائي يندهش قائلًا «*ماذا؟ جميلة بهذا الفستان القديم!*» لكنه ضيق بطريقة *تُظهر استدارة جسدي*.

بحلول الوقت الذي طرقت فيه الباب الزجاجي للكوخ رقم 20، كنت قد أوصلت نفسي حد الهياج، انزعجت من نفسي لأنني انفعلت، ومن ويل لأنه السبب وراء هذا الارتباك.

لكن عندما خرج إلى الشرفة الخشبية، شعره مُثبَّت إلى الخلف بشكل عشوائي، كما لو كان يمرر يديه من خلاله، نسيت كل ذلك. لأن ويل باكستر يرتدي مئزرًا. مئزر أسود اللون ذو خطوط بيضاء

رأسية. لم أعرف أن مئزر المطبخ يمكن أن يكون مثيرًا، لكن هذا المئزر بمثابة الأخ الرابع للإخوة **هيمسوورث**[1].

«أنت ترتدي مئزرًا.» هكذا استقبلته.

«أنا أرتدي مئزرًا.» هكذا رد عليَّ. «لا أحب أن ألوث ملابسي».

قلت بينما ما زلت واقفة عند الدرج: «لديك ملابس في غاية الأناقة.»

خفض بصره ناظرًا إلى ما يرتديه؛ قميص قطني أسود، وسروال قصير من الچينز الممزق على الموضة، يصل إلى ركبتيه.

استدركتُ أقول: «عادةً. لا يعني هذا أنك لا تبدو لطيفًا. تبدو لطيفًا.» ربما نسيتُ أمر التوتر والعصبية، لكن من الواضح أنهما لم ينسياني.

كوخ ويل مثل كوخ آل روز بالضبط، باستثناء طاولة الطعام ذات العجلات. شرفة خلفية لها باب زجاجي، ومدخل خشبي أمامي مُطِلّ على البحيرة. مساحة صغيرة لتناول الطعام، ومطبخ يطل على منظر المياه. المدفأة المصنوعة من الحديد المصبوب قديمة لكنها ساحرة، والأرضية المصنوعة من خشب الصنوبر داستها الأقدام كثيرًا. كانت الجدران أيضًا خشبية، لكن أمي عزلتها وجصّصتها بالجبس حتى نتمكن من استخدام الكوخ على مدار السنة.

---

(1) الكاتبة تقصد أن مئزر المطبخ الذي يرتديه ويل جميلاً لدرجة أنه يصلح أن يكون أخًا رابعًا للإخوة هيمسوورث المشهورين بوسامتهم، وهم ثلاث ممثلين أستراليين معروفين. (المترجمة)

تبعت ويل إلى المطبخ ووضعت النبيذ على طاولة المطبخ. وجدت خضروات على لوح التقطيع، وكرتين من لحم البرجر يبدوان مُحضرين في البيت، وكيسًا من القصدير وفيه شيء ما جاهز للشواء.

«لحم برجر من الصفر؟» سألته بإعجاب.

قال: «إنها وصفة معقدة للغاية، لحم، وملح، وفلفل».

«هل يمكنني مساعدتك في أي شيء؟»

«أعتقد أن كل شيء تحت السيطرة. برجر، سلطة، بطاطس. هل يبدو هذا جيدًا؟»

«يبدو مثاليًا.» قلتها وأنا ألتقط مفتاح القوارير من درج أدوات المطبخ.

كانت جميع الأكواخ مزودة بالأساسيات. «سأفعل شيئًا لأكون مفيدة.» التقطت كأسين من الخزانة العلوية، سكبت النبيذ فيهما، بينما استمر ويل في تقطيع الخيار والفلفل من أجل السلطة. راقبته ساندة خصري إلى طاولة المطبخ.

مهاراته في استخدام السكين مذهلة. لأحبت أمي ذلك. رفع بصلة حمراء بيده، فأومأت.

سألته بينما يقطعها إلى حلقات رقيقة متساوية: «أنت واحد من هؤلاء الأشخاص المروعين الذين يجيدون كل شيء، أليس كذلك؟» وضع نصفها في السلطة والباقي وضعه في طبق مع بقية مكونات البرجر.

«على العكس تمامًا، أنا مُريع في...» نظر إلى السقف، عوج شفتيه وأغمض عين واحدة. صدر منه صوت همهمة.

استدركت: «التواضع؟»

«لا، أنا متفوق في التواضع.»

أحب ويل بهذه الحالة. مسترخيًا وأبله قليلًا. بصرف النظر عن اليوم الذي أوشك فيه على تقبيلي، فهو كان متحفظًا تمامًا. أتساءل ما الذي تغير. نقلنا كل شيء إلى المدخل الخشبي الأمامي، حيث بدأت الشمس في الانحدار إلى البحيرة، مما أعطى كل شيء وميضًا بلون الزعفران. طافت حشرات اليعسوب في السماء، باحثين عن وجبتهم المسائية ليصطادوها. ثبتت المائدة الخشبية، وضعت الأواني والمناديل الورقية المطوية، بدلًا من فوط السفرة، على الجانب نفسه لنتشارك في رؤية المنظر الخلاب. قلت في أثناء جلوسنا لتناول الطعام، ناظرة إلى المياه: «هذا جميل.» بقي ويل مرتديًا مئزر المطبخ، لكنني لم أعلِّق على ذلك. رجوتُ أن ينسى خلعه لبقية الأمسية. أصبحت هوايتي الجديدة هي رؤية ويل باكستر وهو يرتدي مئزر المطبخ.

«تبدين متفاجئة.»

هذه أول مرة أجلس في أحد المداخل الخشبية، وأتناول وجبة كما يفعل النزلاء. هناك أشجار أرز بين الأكواخ للحفاظ على الخصوصية، لكن بإمكانك أن تلمح الأكواخ المجاورة بمظلاتها الخضراء المبهجة، وانتقال همهمة الناس وهم يتناولون العشاء عبر الشاطئ. إنه إحساس يُريح.

«أعتقد أنني كذلك. أعني، أعلم أن المكان في الخارج هنا خلاب. فقد قضيت ما يكفي من الوقت في تنظيف الأكواخ في طفولتي لألقي نظرة جيدة عليها. لكنني اعتقدت أنه قد يُشعرني بأنني مكشوفة

قليلًا.» أشرت إلى صف الأكواخ وأردفت: «لكنه ليس كذلك. لا أمانع وجود أناس آخرين. إنه نوعًا ما... مُريح.»

«أعتقد أن هذا هو السبب مجيء كثير من النّاس إلى مكان مثل هذا. يمكنك أن تكوني محاطة بالطبيعة، لكن غير منعزلة. هناك شعور بالصُحبة.»

أخذت قضمة من البرجر. إنه لذيذ، ربما هو أفضل ما تناولت. لا أعرف كيف، بالنظر إلى بساطته: خس، طماطم، بصل، جبن الشيدر، لحم. حتى السلطة مذاقها غني، والصلصة مصنوعة في البيت.

سألته وفمي ممتلئ بآخر قضمة: «أين تعلمت الطبخ بهذا المستوى؟»

«لست متأكدًا من أن الشواء يعتبر طبخًا.»

قلت وأنا أمسح يدي: «لا تتواضع، فهذا لا يليق بك. علاوة على ذلك، رأيتك وأنت تمسك السكين منذ قليل. أنت تعرف ما الذي تفعله.»

«علمت نفسي الطبخ، لكنني أخذت دورة في مهارة استخدام السكاكين قبل بضع سنوات.»

أبعدت نظري عن المياه المتلألئة لأنظر إلى وجهه، قلت: «لا أريد أن أحكُم بناءً على الأفكار النمطية الثابتة، لكن الرجال الذين مثلك عادة لا يطبخون. إنهم يذهبون إلى المطاعم ويطلبون الوجبات الجاهزة.»

قال: «هل يفعلون ذلك؟ أخبريني مزيدًا عن الرجال أمثالي.»

«أقصد فقط أن لديك وظيفة مهمة وفخمة. أنا متأكدة أن هناك ساعات عمل طويلة ومواعيد عشاء عمل مع العملاء.»

«فخمة؟»

«رأيت الصور عبر الإنترنت. حفلات وتبرعات.» وحبيبة سابقة ساحرة الجمال.

«آه.» أخرج ساقيه من تحت الطاولة ووقف بحركة رشيقة واحدة، جمع أطباقنا. لقد وصلت إلى الحد الأدنى من قدرة ويل الجديد على تحمُّل الإفصاح عن مزيد من المعلومات الشخصية.

نهضت، لكنه أشار لي بالبقاء جالسة وقال: «أنا سأقوم بذلك.» وضع طبق السلطة فوق الصحون وأخذ الأطباق المتسخة إلى الداخل.

عندما عاد، لم يعد يرتدي المئزر. جلس على الكرسي المقابل لي، وضع ذراعيه على الطاولة، وانحنى للأمام. ثبت عينيه في عينيّ.

«أنا لا أعمل ساعات طويلة.» قالها ويل بالنبرة التي يستخدمها في مكالمات العمل، كما لو أن هذه معلومة هامة. صحيح أن ويل عادةً ما ينتهي من عمله بين الساعة الخامسة والسادسة، لكنه أيضًا يستيقظ في منتصف الليل. افترضت أنه يعمل.

«حسنًا.»

أخذ يتفحصني، بملامح جادة، وإلى حد ما صارمة. تحركت عضلة في فكه. «وأطبخ أغلب الليالي.»

شعرت وكأنني اصطدمت بجدار صلب لم أكن أراه. أعرف أنه انفصل عن جِسيكا، لكنني لم أفكر في أن أسأل عما إن كان يواعد امرأة أخرى.

«ولكن ليس فقط لنفسك.» حاولت إخفاء خيبة الأمل من نبرة صوتي، لكنها خرجت جلية وواضحة، مرتدية سترة برتقالية ساطعة كالتي يرتديها عمّال البناء.

«لا.»

سأغضب من نفسي لاحقًا بسبب صراحتي ووضوحي، لكنني لا أستطيع أن أجلس أمامه لثانية أخرى. قمت عن الطاولة، لكن ويل نهض بسرعة، امتدت يداه نحو يدي، قال: «ابقي.»

نظرت إليه وهززت رأسي. لا أريد التحدث. لا أريد أن يسمع أي منا اضطراب صوتي.

قال: «من فضلك. سألتِ عن حكايتي في اليوم الذي خرجنا فيه بالزورق.» *اليوم الذي كاد يقبلني فيه.* تظل الكلمات غير منطوقة، لكنها موجودة هنا معنا، تهتف كأنها معروضة في لافتة إعلانات. ضم ويل يدي، متتبعًا نبض معصمي بإبهامه. «أريد أن أشاركها معك، إذا كنت ستسمعين.»

أنا على يقين أن ما سيقوله ويل لي سيؤلمني، لكنني عدت للجلوس، تدفق الدم في طبلة أذني. ظل واضعًا يديه فوق يدي، ولم يسحبهما عندما بدأ في الحديث.

قال: «لم أكن صادقًا تمامًا معك.» تحول تدفق الدم إلى صخب أشبه بالزئير. «لكن ليس كما تعتقدين. في الليلة التي جئت فيها لمساعدة

أوين، سألتني إذا كان لدي أطفال. قلت لك إنه ليس لدي، وهذا صحيح، لكنها ليست الحقيقة الكاملة. أنا أعيش مع أختي وابنتها.»

على الرغم من صمتي، لا بد أنه كان جليًّا أنني لن أفر هاربة، لأن ويل سحب يديه عني.

«كانت أنابيل صغيرة عندما ولِدَت ابنة أختي. تعلمت الطبخ حينها. إنهما السبب في أنني لا أعمل حتى وقت متأخر. العشاء العائلي أمر مهم في منزلنا.» سكت لحظة ثم واصل: «كانت حبيبتي السابقة تكره أنني أسميه منزلنا. إنه ملكي، لكنهما عاشتا هناك معي دائمًا.»

قلت: «هذا هو سبب معرفتك كثيرًا عن الأطفال.»

أومأ وقال: «وهذا هو السبب في أن لدي وظيفة فخمة.»

«لست واثقة بأنني فهمتك.»

«تذكرين أنني التحقت بالكلية في فانكوفر؟»

قلت بسرعة كرد فعل: «إميلي كار.»

ابتسم: «إميلي كار. عدت عندما كانت أنابيل حبلى. تعقدت الأمور مع والدنا. كان على وشك الزواج مرة أخرى، وزوجته ليندا أرادت أن تبقى أنابيل والطفل معهما، لكنني لم أستطع تخيل أن هذا سينتهي على خير لأي شخص. كان والدي وأنابيل نادرًا ما يتحدثان. حدثت بينهما مشاجرة كبيرة عندما عرف أنها حبلى وتريد الاحتفاظ بالطفل».

«ولم تستطع تحمل أن تكون بعيدًا عنهما هكذا.»

«صحيح.»

«وماذا عن الأب؟»

«ديفيد. إنه ليس شخصًا سيئًا، لكنه كان صغيرًا، أيضًا. تواعدا بضعة أشهر فقط، ولم يكونا على استعداد تام للتعهد للالتزام. بدأت جدتنا تحتاج إلى الرعاية أيضًا. اعتقدت أن بإمكاني، على الأقل، مساعدة أنابيل في الحصول على بيت لتعيش فيه.»

أعدت ملء كأسينا مرة أخرى، وأخذ ويل رشفة.

«صديقي ماتي كان يعمل في وكالة الاستشارات التابعة لوالده في تورونتو. قدم لي وظيفة تصميم الجرافيك، وراتبًا جيدًا. ساعدني في دفع إيجار الشهر الأول والأخير. كان لدي فكرة أن نتشارك أنا وأختي السكن، وأنني سأتمكن من مساعدتها في رعاية الطفلة بعد أن ولدت.»

أخذ يلعب بساق كأسه. «لم يكن لدي أي فكرة عما أُقبِل عليه.»

«كم عمر ابنة أختك؟»

نظر ويل إليّ عن قرب ورد: «تسع سنوات.»

ردَّدت خلفه: «تسعة؟» لم يكن ويل مجرد جليس أطفال أو خال يفتخر به. «لقد ساعدت في تربيتها.»

«نعم.»

حكى لي ويل كيف عرض والد ماتي عليه دفع مصاريف دراساته العُليا في إدارة الأعمال، وكيف حصل عليها من خلال الدروس المسائية. عاش هو والفتاتان في شقة حتى ادخر ما يكفي لدفع المُقدَّم. استمعت إليه، وتمكنت تقريبًا من الشعور بعقلي وهو يلتوي ليستوعب المعلومات الجديدة.

«كانت السنوات الأولى صعبة.» حك ويل عنقه كأنه يفكر إذا كان يجب أن يقول مزيدًا. «بدلًا من فعل أي شيء لعين أريده، صرت أذهب إلى وظيفة من الساعة التاسعة إلى الخامسة، ومن بعدها أجلس مع الطفلة في البيت. مما أثر فيَّ، بشكل ما.»

«ماذا تعني؟»

ضغط بإصبعه على نتوء في سطح الطاولة كما لو أنه يدفع شيئًا داخل الخشب. لم ينظر إليّ عندما تحدث وقال: «سُلِبنا النوم. كنتُ أؤدي أعمالي بأعجوبة.»

لا أعتقد أن هذه هي كل الحكاية، لكنني خفت من الضغط عليه فيكف عن الحكي. «ماذا عن رسمك؟»

«لم يعد شيئًا أفعله. لا وقت.»

قلت: «لكنك أحببته.» رفع بصره نحوي. أردفت: «كنت ممتازًا فيه.»

ومض شيء ما في تعبير وجهه. «نعم، حسنًا. كان حظي جيدًا لأنني وجدت شيئًا يمكّنني من دعم عائلتي.» تردد قبل أن يكمل: «هل هذا غريب؟ أنني أسميهما عائلتي؟»

«لماذا سيكون هذا غريبًا؟ أختك وابنتها هما حرفيًا عائلتك.»

ارتخى كتفيه وقال: «هذا ما أشعر به أيضًا. لكن هذه كانت مشكلة... لدى النساء.»

لم أُبدِ رد فعل عندما ذكر النساء الأخريات، ليس بشكل ظاهر. أما من الداخل، فتجلطت معدتي. لكن بعد ذلك، ارتفع حاجبا ويل

قليلًا، كما لو أنه يريد أن يعرف هل هذه المسألة مشكلة *لهذه* المرأة، وجف فمي.

مرر يديه في شعره عندما بقيت هادئة، مما زاد من فوضوية خصلاته المبعثرة. قال: «على أي حال. أنا أحب عملي، وشريكي ماتي، إنه العقل المدبر الحقيقي. آتي إلى هناك في الغالب لأسحر العملاء.»

قلت: «وهذا هو سبب الحفلات الفخمة.» رغم أنني لم أصدق ذلك ولو للحظة. لقد رأيت ويل وهو يعمل. لقد بحثت عنه على جوجل بشكل موسع. لطالما كان أكثر من مجرد وجه جميل. لكنني أيضًا تذكرت كيف كان يتحدث عن الفن، من الصعب تصديق أن عمله الحالي يمنحه الرضا نفسه.

قال ويل موافقًا: «هذا هو سبب الحفلات الفخمة. ليس هذا ما تخيلت نفسي أفعله عندما كنت في الثانية والعشرين من عمري، لكن بحق الجحيم، من الذي يعرف أي شيء وهو في بداية العشرينيات على أي حال؟»

قلت: «عرفتَ قليلًا من الأشياء. لقد ساعدتني في معرفة أنني لست مضطرة للوصول إلى هنا.»

راقبني ويل وقال: «لكن ربما تغير هذا في رأيك.» أردف بعد بضع ثوانٍ: «ربما هذا هو المكان الذي كان من المفترض أن تصلي إليه في النهاية.»

لقد تساءلت عن ذلك أيضًا. عما إذا كنت قد سلكت الطريق الطويل للعودة إلى وطني. نظرت إلى المياه وقلت: «ربما.»

كنا عند حوض المطبخ عندما وصلت الرسالة. لم يسمح لي ويل بغسل الأطباق بعد العشاء، لكنني أمسكت بالمنشفة، ورغمًا عنه، مرر لي الأطباق النظيفة لأجففها. كان يرتدي قفازات مطاطية صفراء، وهي تقريبًا مثيرة مثلها مثل المئزر.

أضاء هاتفي على الطاولة. رسالة من فيليب، بها كلمة واحدة فقط.

قَدَر.

قطبت حاجبي ناظرة إلى الشاشة، غير متأكدة مما يشير إليه.

سألني ويل: «هل كل شيء على ما يرام؟» ثم وصلت رسالة فيليب الثانية.

إنها صورة خارجية لمبنى التُقطت في الليل. غير واضحة قليلًا، لذا تعين عليّ فحصها جيدًا لأميّزَ وجود متجر في الزاوية من الطوب الأحمر وعلى نافذته لافتة. ضغطت على الشاشة لأكبر الصورة.

«رباه.»

«فيرن؟ ماذا يحدث؟»

مددت هاتفي إلى ويل، فخلع قفازات غسل الأطباق.

«إنه للبيع.»

تفحص الشاشة: «إنه مقهاكِ.»

«نعم.» وقفنا جنبًا إلى جنب، ننظر إلى الصورة معًا.

«هذا هو. لا أستطيع أن أصدق أنه معروض للبيع فعلًا.» ظننت أن الزوجين المسنين الذين يمتلكانه قد شربا إكسير الحياة وسيحتفظان بهذا المكان إلى الأبد.

ظهرت رسالة نصية أخرى من فيليب على الشاشة.

لا وقت أفضل من الوقت الحاضر، يا بي بي. عودي إلى المنزل.

طرفت عينا ويل مرتين وهو ينظر إلى الشاشة، ثم تنحنح وقال: «بي بي؟»

«اختصارًا لكلمة بروكبانكس.»

نظرت إلى الهاتف مرة أخرى. فيليب محق. هذا قَدَر. هذه هي لحظة تحقيق حلمي.

لدي مال. لدي سنوات من التخطيط. لدي كومة من كتب الطبخ والخَبز في خزانة شقتي، ووحدة تخزين للأثاث العتيق. يمكنني وضع الكرسي البرتقالي المخملي في الزاوية بجوار النافذة. بإمكاني افتتاح مقهى فيرن.

«لطالما رغبت في ذلك بشدة.» همست بها وقد فاجأت نفسي. متى تغير ذلك؟

«هل ما زلت تتحدثين مع حبيبك السابق؟»

«ماذا؟» نظرت إلى ويل في تشتت. عيناه أغمق من المعتاد.

«لا أحدثه، في الحقيقة. تبادلنا قليلًا من الرسائل.»

قطب ويل: «إنه يطلب منك العودة إلى المنزل.»

«يقصد العودة إلى تورنتو. هو يعرف إلى أي مدى أردت ذلك.»

سألني: «هل أردتِ ذلك؟».

«لا أعرف. لم أعد أعرف ماذا أريد.» حدقت إلى الصورة، وبدأ رأسي يضطرب. «يجب أن أذهب.»

شكرت ويل على العشاء، سار بجانبي حتى وصلت إلى البيت. قال شيئًا عندما سلكنا الطريق المؤدي إلى مرفأ العائلة، لكنني لم أسمعه لأنني مفككة من الداخل. لست متأكدة من أي شيء الآن، ويل، المنتجع، ومقهاي.

تجاهلت طريقته في النظر إليّ متفحصًا عندما قال لي تصبحين على خير. أغلقت الباب الأمامي خلفي، وبعد ثوانٍ سمعت طرقًا على الباب.

وقف ويل عند مدخل الباب، واضعًا يديه على إطاريه، وقال: «أعتقد أن هذا هراء.»

ثارت أعصابي. لم يتحدث معي بهذه الطريقة أبدًا من قبل. «عفوًا؟»

«أعتقد أنك تعرفين بالضبط ما تريدين. أعتقد أنك ترغبين في البقاء هنا وإدارة هذا المكان وأنك خائفة.»

قاطعته في غضب: «أنت لا تعرف أي شيء عني.» اهتز رأس ويل للخلف، في حركة رقيقة، لكنها مُرضية للغاية. أردته أن يشعر بما شعرت به قبل تسع سنوات.

بدأ ويل يقول: «لا تقولي ذلك. أعرف أنك خائفة من...»

قاطعته: «تظن أنه بإمكانك الظهور بعد كل هذا الوقت، تقضي بضعة أسابيع معي، وتظن أنك تعرفني. أنت لا تعرف شيئًا واحدًا عمن أكون وعما أشعر به لأنني عدت إلى هنا.»

ابيضت أصابعه حول إطار الباب. جيد.

قال وعيناه مركزتان على عيني: «هذا غير صحيح، وأنتِ تعرفين ذلك. تريدين أن تصبي غضبك عليّ؟ جيد. تريدين أن تصرخي في وجهي؟ افعلي ذلك. أنا أستحق ذلك.» اقترب مني أكثر وقال: «لكن لا تخبريني أنني لا أعرفك.»

فتحت فمي، لكنني لم أنطق بأي كلمة.

تقوست شفتا ويل وهو يُكمل كلامه: «أعلم أنك تحبين المكان هنا. يظهر هذا جليًّا على وجهك، الطريقة التي نظرتِ بها إلى البحيرة هذا المساء. لكن واضح أيضًا كيف تعملين بجد واجتهاد. لن تفكري في بيعه إلى مطور عقاري، ولا أعتقد حتى أنك تريدين لأي شخص آخر أن يدير المكان هنا.» سكت لحظة ثم واصل: «أعرف أنك لا تريدين أن تصبحي مثل أمك.» خفض بصره ليرى أنني أحك جلد معصمي بأظفاري. «أعرف أنك تحكين جلدك عندما تشعرين بالتوتر. تعضين على خديك عندما تحاولين اتخاذ قرار، وتلعبين بشعرك عندما تكونين عصبية. تغمغمين بأغاني فرقة توكينج هيدز عندما تحاولين التركيز. تحبين أصدقاءك. وتحبين المكان هنا.» كل كلمة هي سهم من الحقيقة اخترق منتصف الهدف.

قلت كأنني أبصق الكلام: «اذهب إلى الجحيم.» أخذ صدري يعلو ويهبط كما لو أنني كنت أجري في ساحة الجري. «من أنت لتخبرني أي شيء عن حياتي؟ تخليك عن حلمك لا يعني أنه عليّ التخلي عن حلمي.» ندمت على العبارة بمجرد أن تركت شفتي، لكنني أكثر غضبًا من أن أحاول الاعتذار عليها.

تبادلنا التحديق. أغلقت قبضتي يديّ كي لا تمتدا إليه، لأدفعه بعيدًا عني أو لأجذبه نحوي، لست متأكدة.

قال ويل: «لا أعتقد أنني أريدكِ أن تتخلي عن أي شيء، فيرن. أعتقد فقط أنكِ لن تعترفي بما ترغبين في الاحتفاظ به.»

ثم استدار وغادر.

14

14 يونيو، قبل عشر سنوات

اعتقدت أن ويل قد تجاهلني. استأذن للذهاب إلى الحمام فور صعود إيلي للاستعداد لعرضه. غاب فترة طويلة، انحنيت على الطاولة لأرى ما إن كان قد أخذ حقيبته معه. لكنها على الأريكة المقابلة لي.

طلبت مشروب الجاجر مرتين بينما أنتظر، ثم وضعت ملمع الشفاه بيد غير ثابتة، ومسحت الزائد على فخذي.

كذبتُ على ويل طوال اليوم بشأن جيمي. الآن كلانا يعرف الأمر.

حبست أنفاسي عندما عاد. كان شعره رطبًا وبعيدًا عن جبينه، كما لو أنه غسل وجهه في الحوض. جلس، دون أن ينظر في عيني، وأخذ يحدق إلى أكواب الشراب، بشفتين مزمومين. فكرت في الاعتذار، لكنني لم أكن متأكدة مما يجب أن أعتذر عليه. من المفترض أنه لا يهمه إن كان لدي حبيب. لم أكن صريحة حول ذلك، لكنني أيضًا لم أحاول تضليله.

«اسمع.» هممتُ الحديث رغم أنني لا أملك أي فكرة عما سأقوله بعد ذلك.

لكن ويل رفع الكأس الأقرب إليه ووجَّهه نحو فمه. وجدَت عيناه طريقهما إلى عيني وثبتهما عليّ حتى رفعت كأسي. قال: «في صحتك.» وسكبنا الخمر الأسود في حلقينا.

وضع ويل كأسه على الطاولة بحركة عنيفة، ثم وقف. كنت متأكدة أنه على وشك أن يودعني، لكنه جاء إلى جانبي من المقصورة ومد يده. «هيا لنرقص، فيرن.»

لم أتوقع أن لفرقة نِرفانا سكا متابعين كثر، لكن فرقة ذا مايتي مايتي كورت تونز جذبوا كثيرًا من الجماهير. المكان العلوي طويل وضيق، به مَشرب ممتد بعرض حائط واحد بالقرب من الجزء الخلفي، وفي المقدمة مسرح ضيق. لم أرَ المكان بهذا الازدحام من قبل.

دون أن يتحدث، قادني ويل إلى كومة من الكراسي في الزاوية. أخذ علبة سكاكر الليمون من حقيبته ثم أخفى حقيبتينا تحت الكراسي. وضع واحدة من السكاكر في راحة يدي وقذف بالأخرى في فمه قبل أن يشبك أصابعه مع أصابعي ويقودني عبر الحشود. لم يتحدث معي سوى بخمس كلمات منذ عودته من الحمام، ولم أستطع معرفة ما إذا كان غاضبًا مني، أو غاضبًا من نفسه، أو مزيجًا من الاثنين. أغضبني ذلك.

راقبت الفرقة ونحن نتقدم إلى الأمام. كل عضو متأنق مثل إيلي. كانوا محشورين جنبًا إلى جنب على المسرح ببناطيل منقوشة بالمربعات الصغيرة، والقبعات والحمالات الملونة. بعض الحضور يرتدون ملابس مشابهة. سترات البدلات. جوارب نسائية شبكية شفافة. قفازات بلا أصابع. اصطدمت بامرأة ترتدي تنورة إسكتلندية وقميصًا قطنيًّا قصيرًا، ثم قلت لويل أن يمنحني لحظة، واندفعت في طريقي مرة أخرى إلى أمتعتنا.

لم يسمح لي بالعودة إلى المنزل لأبدّل ملابسي، حسنًا. لكنني لن أظل شاعرة بأنني رثة الملابس. فتحت أزرار قميصي وطويته في حقيبتي، بقيت بالقميص القطني الداخلي القصير.

لم يقل ويل أي شيء عندما عثرت عليه، لكنني استطعت أن أشعر بعينيه تتحركان من رقبتي إلى ذراعي إلى صدري. كان قميصي القطني ضيقًا، أبيض اللون، وشفافًا. حمالة صدري سوداء اللون. انزلق أحد سيورها على كتفي، ولم أهتم بإعادة تثبيته لأعلى. مع شعري القصير، لا شيء يمكنني الاختباء وراءه. لكنني قد تجرعت أربعة كؤوس وشراب الجاجر، وللمرة الأولى منذ سنوات، لم أشعر بالرغبة في الاختباء كثيرًا.

وقفت المغنية الرئيسة أمام مكبر الصوت، شعرها معقوف كفتاة على غلاف من الزمن القديم، وخصرها ملفوف بفستان طويل. وهي تقدّم الفرقة، وقفت على أطراف أصابعي لأقترب من أذن ويل.

«كان يجب أن تعرّفني باسمهم قبل أن ألتقي إيلي.» ظللت أنظر إلى وجهه.

لم يبعد عينه عن المسرح وهو يقول: «لماذا تحتاجين إلى المعرفة؟»

لم أجبه. كان يعرف أن أعصابي على وشك الانهيار عندما نطق إيلي بهذه الكلمات؛ *ذا مايتي مايتي كورت تونز.*

قلت: «ولم ترهم يعزفون حتى.»

اقتربت منه أكثر، وضعت يدي على ذراعه لأثبّت نفسي. معرفة ويل بأمر جيمي جعلني أشعر أن ثمة شبكة أمان قد تمزقت من تحت أي شيء كنا نفعله لنشعر بالاتزان. «لقد جلبت شخصًا يعشق الموسيقى إلى حفل موسيقي قد يكون الأسوأ في العالم. حركة جريئة جدًا، ويل باكستر.»

أدار وجهه لي، فتقارب أنفانا عدة بوصات، انخفض بصره إلى فمي وتباطأ هناك. تبددت شبكة الأمان. نظر في عيني، ثم فتح فمه ليقول شيئًا بينما بدأ الجيتار يضرب بألحانه الأولى لأغنية Smells Like Teen Spirit.

أطبق فمه وتبادلنا التحديق بينما تُضرَب الطبول. ثم فجأة انفجرت آلة البوق والساكسفون والترومبون. نظرنا إلى المسرح، ثم عدنا لنتبادل النظرات، ثم تحوَّلت الصالة فجأة إلى مجموعة من الكيعان والأذرع والرُكَب المتقافزة بجنون.

هتفت: «يا إلهي، إنهم رائعون!»

تلألأت ابتسامة ويل. أمسك بيدي ورفعها فوق رأسي، وجعلني أدور حول نفسي.

قلت وأنا أحاول سحب ذراعي للوراء: «أنا لست متمكنة في الرقص.»

هذا صحيح إلى حد بعيد. كان أصدقائي يجبرونني أحيانًا على الخروج عندما يرغبون في التخلص من مواعيد غير مرغوب فيها، أو درجات مخيبة للآمال، لكن ذلك تمَّ دائمًا بالإكراه.

صاح ويل: «أنت ترقصين.» وضع يده الأخرى على خصري وقال: «نحن نرقص».

حركات ويل رائعة بشكل غير عادي. حتى مع تصلب خصري وعدد المرات التي دهست فيها قدميه، اعتقدت أننا ربما نبدو وكأننا نعرف ما نفعله. لا أحد ينتبه إلينا. ندبّ بقدمينا على مسرح الرقص،

مندمجين مع كل أغنية، ازدادت الغرفة دفئًا ورطوبةً. سقط شعر ويل على وجهه، مبللًا بالعرق، وصار قميصي مشربًا بالعرق.

لم يتطلب الأمر كثيرًا ليتقارب جسدانا. دفعة من شخص ما أوصلتني متعثرة إلى ويل. رفعت بصري إليه لأعتذر، لكنه أمسك بمعصميّ وعلقهما حول عنقه. كان جسده صلبًا ودافئًا أمام جسدي.

«لمعلوماتك، أنا لا أجيد الرقص أبدًا.» قلتها عندما دهست قدمه للمرة الخامسة.

مرر يديه على ظهري وجانبيّ، حتى استقرتا على وسطي: «أنت مثالية».

رقصنا بهذه الطريقة، متقاربين، عيناي في عينيه، أصابعه تضغط عليّ، حتى توقفت فرقة كورت تونز لإصلاح دواسة طبل معطلة.

توقفنا عن الحركة وتبادلنا النظر. ابتلع ويل ريقه، وخفض بصره إلى فمي مرة أخرى، وكنت أعرف أننا لو كنا غير مرتبطين، لقبّلني.

«تشرب؟» قلت.

«حسنًا».

شققنا طريقنا من بين الحشود نحو البار، طلب اثنين من الچِن والتونيك، حاولت ألا أنظر إلى قميص ويل الملتصق بصدره بينما كان النادل يحضّر مشروباتنا. وضعهما على الطاولة أمامنا، وعلى حافة كل كأس شريحة ليمون مجففة، تبادلنا الابتسامات. أزحت الماصة من كأسي وتجرعت ما فيها كأنها كأس ماء. امتلأ نصفها بالثلج ونسبة الخمر فيه ضعيفة جدًّا كما لو أنه فعلًا ماء.

«لنبقَ بالقرب من المكان الخلفي.» قلتها عندما بدأت الموسيقى مرة أخرى. كنت قد بدأت أشعر بالدوار، محاولة أن أقاوم الحرارة والضجيج والألم الذي شعرت به في انحناءات قدميّ. «المكان شديد الحرارة هنا».

وقفنا على حافة الزحام. ظل ويل ينظر إليَّ وإلى الفرقة.

سألني: هل أنتِ بخير؟

مسحت عنقي وأومأت. لكن أفكاري دارت كالإعصار، أفكارٌ عن ويل وجيمي. عن جسد ويل وهو يتحرك أمامي. ذراع ويل تلمس ذراعي، مددت يدي نحو يده بشكل تلقائي، منسحبة للخلف عندما التفت أصابعي حول معصمه. ماذا كنت أفعل؟ من المفترض أنني لم أعد أشرب بهذا القدر. لقد مرت سنوات منذ أن سمحت لنفسي بأن أكون ثملة. احتجت إلى هواء. نظرت حول الغرفة، حسبت المسافة إلى المخرج. عندما لمس ويل أسفل ظهري، قفزت.

«أنت متأكدة أنك بخير؟»

«يجب أن أخرج من هنا.»

أومأ وقال: «انتظري بجوار الباب. سأحضر أمتعتنا.»

اختفى ويل في الزحام. تحركت نحو الحائط، وضغطت جبيني على سطحه اللزج. بقيت هناك، بعينين مغمضتين، تنفست بعمق، حتى لمس شخص ما كتفي.

قال ويل: «ها هي. اشربي هذا، ثم سنخرج من هنا.»

فتحت عيني لأجد أنه يمسك كوبًا من الماء. انحنى أمامي حاجبًا الصالة. شربت قليلًا وأعدت الكوب إلى ويل، فشرب ما تبقى.

«هيا.» قالها، آخذًا بذراعي تحت ذراعه، وساعدني في نزول الدرج.

خرجنا إلى الفناء الأمامي ثم توقفنا. انهمر المطر. بدأت المياه تنهمر من زوايا سقف البار، وتتجمع في قنوات تصريف المياه. انعكست الأضواء على الأرصفة المبللة، صار الهواء ثقيلًا وله رائحة معدنية. كانت الشوارع شبه فارغة، باستثناء بعض الأشخاص المتجمعين تحت موقَف الترام. لم تكن مجرد أمطار. عاصفة صيفية غزيرة. خطوت مباشرة في خِضمها.

سمعتُ ويل ينادي باسمي، لكنني تجاهلته، لأنني أخذتُ أشعر بتحسن، حيث كانت قطرات المطر الباردة تلامس بشرتي. رفعت ذراعيّ، وأغمضت عيني، ورفعت ذقني للعاصفة. بعد دقيقة، اجتاحت سيارة سريعة بركة ماء، انتثر ماؤها على ساقي بالكامل، فقفزت للخلف صارخة.

وقف ويل بجانبي، والماء يتدفق على وجهه.

قلت وأنا أجذب ذراعه: «حسنًا، هيا لنذهب.»

«إلى أين؟»

وعلى الرغم من أنه كان يعرف الإجابة بالفعل، أخبرته على أي حال.

«سنعود إلى منزلي.»

5 يوليو 1990

أصبح بيتر متقلب المزاج في الآونة الأخيرة. اعتقدت أن موعدًا مزدوجًا لمشاهدة الألعاب النارية بمناسبة يوم كندا الوطني سيسعده. لطالما كان لطيفًا مع ليز. اعتقدت أن كل شيء على ما يرام وأنه سيغير رأيه في إريك إن قضى وقتًا أطول معه. جلسنا على التل أمام المبنى الرئيس، منتظرين أن تظلم السماء. كنا نتحدث أنا وليز عن رحلتنا، وفجأة، بدأ بيتر يستجوب إريك. أراد أن يعرف خططه للمستقبل وتاريخه العاطفي بأكمله. اضطررت أن أصرخ في وجهه ليكفّ عن ذلك.

عندما ذهبت إلى المطبخ في الصباح التالي لأقول لبيتر أن يتوقف، كان في مزاج سيئ بالفعل. نعتني بالسطحية لأنني معجبة بإريك. لم يتحدث معي بهذه الطريقة من قبل، كأنه لا يتحمل وجودي. طلبت منه أن يعتذر، لكنه رفع صوت الموسيقى وتجاهلني. قلت، صارخة في وجهه: «حتى أنني لا أكره فرقة ذا كيور لهذه الدرجة.» لم يفعل شيئًا سوى التحديق إلى وجهي بغضب، ورفع مستوى الصوت مرة أخرى. كان هذا قبل يومين، لم نتحدث منذ ذلك الوقت.

15

الآن

لا أعرف لماذا ارتديت منامتي. أو لماذا استلقيت على السرير من الأساس. لن أنام. غادر ويل منذ ساعات، لكنني ما زلت متوترة، قدمي اليمنى تنقر على اليسرى، كما لو أنني شربت ستة فناجين من الإسبريسو. لا بد أن القمر منير، فقد تجاوز الوقت الساعة الثانية، لكنني استطعت رؤية فروع الشجر المتشابكة خارج نافذتي.

ما قلته لويل الليلة كان فظًّا. أردت أن أوجعه. بإمكاني الشعور بالرغبة الملحة في العض بين أسناني، لدرجة ترك علامة. لم أعتقد أنني ما زال بإمكاني الانفجار بهذا الشكل. غضبي كان مثل شيء ملموس، شيء يمكنني تكويره وقذفه به. أعادني ذلك إلى نفسي في السابعة عشرة وأنا أصرخ في وجه أمي.

لم أنهِ قراءة اليوميات التي أغضبتني، وهذا لا يعني أنني ألوم أمي. لم أستطع التعامل مع الحقيقة، حتى لو أعرفها منذ فترة طويلة.

لكنني لا أريد أن أكون غاضبة. لا أريد الانفجار مثلما فعلت الليلة. شعرت بالخجل من الطريقة التي تحدثت بها إلى ويل. لقد بدأ يفتح قلبه لي، واستخدمت ذلك ضده.

دفعت الغطاء جانبًا وتوجهت نحو النافذة، رغم أنني لست بحاجة إلى التحقق. ضوء ويل مضاء دائمًا.

لم أعطِ نفسي الوقت لأغير رأيي. اندفعت من غرفتي، هبطت الدرج، خرجت من المنزل، انكمشت بشرتي بينما أركض سالكة الطريق القصير بقدمي الحافيتين، وصعدت الدرج المؤدي إلى كوخ رقم 20.

أخذت أصفع الباب الزجاجي براحة يدي قبل أن أفهم ما المنطق من الركض إلى هنا بشعري الأشعث وقميصي الفضفاض الذي ارتديته لأنام به. كُتِبَت عليه عبارة «مدمن قهوة» فوق صورة لإبريق قهوة، عندما رأيته للمرة الأولى على رف العرض، كرهته، لكن بعد ذلك قررت أنني لا يمكنني العيش دونه.

ظهر ويل مرتديًا ملابسه الداخلية، وقميصًا. اختلست نظرة إلى جلده وانحناءات سوداء، لكن من الصعب تمييز أي شيء نظرًا إلى الضوء الساطع من خلفه.

«فيرن، ما الذي يحدث؟» أخذ ثلاث خطوات نحو المدخل الخشبي، لكنني لم أعطه الفرصة لفتح الباب قبل أن أبدأ بالتحدث.

قلت له من خلف الباب الزجاجي: «لقد كنت وقحة منذ قليل. أنا شاكرة لوجودك هنا، ومساعدتك لي فيما يخص المنتجع. لا بد أن أقول لك ذلك من قبل. وأظن أنه من الرائع أن تعمل في وظيفة تحبها ويكون لديك عائلة تحبها، وأن تعرف كيف تطبخ. لقد طبخت برجرًا ممتازًا فعلًا يا ويل. وأريد طريقة عمل صلصة السلطة.» أخذت نفسًا لأضع حد لثرثرتي المشتتة. «لم أقصد كلامي عندما قلت إنك تخليت عن حلمك. أنا آسفة جدًا.»

كان وجهه في الظل فلم أرَ تعبيراته. قال بصوت خفيض: «حسنًا، هل هذا هو سبب مجيئك إلى هنا؟»

«نعم؟ لا.» فتح ويل الباب الزجاجي ليدعني أدخل، لكنني لم أستطع تحريك قدمي. «جئت إلى هنا لأعتذر، وأيضًا لأقول لك أنك مُحق. أنا أعرف ماذا أريد.»

جذبني ويل من عند الباب إلى المدخل الخشبي. وضع يديه على كتفي وانحنى بقربي. دون أن أفكر في مدى سوء الفكرة، قبَّلته.

قُبلة خرقاء وسريعة. تُعتبر قفزة نحو شفتيه أكثر منها قُبلة. حطَّ فمي بالقُرب من زاوية شفتيه. ابتعدت بمجرد أن لامسته لأنه لم يُبادلني التقبيل. لم يلف ذراعيه حول خصري.

اللعنة. لم أقصد فعل ذلك. قصدتُ إخباره باعتقادي أنني أريد البقاء في المنتجع. والآن هو ينظر إليّ جافلًا، بعينين متسعتين. أن تسيء إلى شخص وتنتقد اختيارات حياته، ثم تهجم عليه بقبلة من فمك في منتصف الليل، لهي إستراتيجية غير فعالة للتودد.

قلت متلعثمة: «أنا آسفة. يجب أن أذهب.»

استدرتُ، لكن ويل أمسك بذراعي.

قال وهو خلفي: «قولي لي ماذا تريدين، فيرن.»

هززت رأسي رافضة، فأدارني لأصبح في مواجهته.

«لِمَ لا؟»

قلت بصوت يكاد يكون مسموعًا: «لأنك تعرف بالفعل.» كان يعرف وقتذاك، كما يعرف الآن. لا يحتاج إلى أن أقولها بصوت عالٍ.

همس بصوت خفيض: «أريد أن أتأكد. ما الذي تريدينه، فيرن؟»

أخذت نفسًا ثم همستُ: «أريدك».

كانت الكلمة قد خرجت من فمي توًّا عندما حدث كل شيء دفعة واحدة. ذراعاه أحاطتا بي، حملني ورفعني عن الأرض. التفت ساقاي حول وسطه، وذراعاي حول رقبته. التقت شفاهنا بلهفة حتى اصطكت أسناننا، فشرعتُ أضحك، لكن الضحكات تلاشت بين احتدام شفتينا.

قادنا ويل إلى الكوخ، فمه على فمي، كان طعمه حمضيًّا ودافئًا، أغلق الباب وراءه. لم يكن لدي الوقت لألاحظ أي شيء سوى الضوء الباهت لمصباح غرفة المعيشة، لأنه وفي لحظة ثبتني ويل عند الباب. ضممت وجهه بين يدي، قبلت ندبته قبل أن أعود وأقبل شفتيه. تلاحم جسدانا، ضامة خصره بساقيّ، آخذة في الحركة قدر الإمكان، لكن هذا لم يكن كافيًا. اهتزت حنجرتي بصوت هديرٍ غير معتاد.

قال ويل وهو يقبل رقبتي: «فكرت فيكِ فترة طويلة.» سحبت قميصه، محاولة أن أزيحه من تحت ساقيّ. استغرقتُ لحظة حتى أدركت أنه يهمس في جلدي، يخبر الفراغ الذي خلف أذني بمدى رغبته في هذا، ويخبر أسفل فكي كم أنا جميلة.

بهذيان وجنون، مددت يدي بيننا، لكنه لف أصابعه حول معصمي، رفعه فوق رأسي. فعل الشيء نفسه باليد الأخرى، حتى صارت كلتا ذراعيّ معلقتين فوقي.

قال، ناظرًا في عيني: «لا تحركيهما.»

أومأت: «حسنًا؟» لكنه لم يتحرك. قلت له: «نعم.»

أبعَد قدميّ عن وسطه وأسندني إلى الباب بينما مرر يديه لأعلى ولأسفل على خصري.

قال بصوت خشن: «لدي قائمة طويلة جدًّا من الأشياء التي أرغب في فعلها لكِ، في فعلها معكِ.»

همست: «من الأفضل أن تضع خطة إذًا.»

تسللت ابتسامة صغيرة إلى شفتيه، قال: «أستطيع أن أفعل ذلك.» أخذ شحمة أذني بين أسنانه، بينما امتدت يده ليُبقي يديّ في مكانهما. قال وهو يتتبع طول رقبتي بأنفه: «يمكنني المضي من الأعلى إلى الأسفل. هل ستحبين ذلك؟» لثم باطن ذراعي وحتى مرفقي، ضاغطًا عليّ بوسطه كي يثبتني وأنا غارقة فيما يفعل.

قلت له: «نعم. هذا جيد.» مال فوقي، لامس جبيني صدره. اجتاحني التباين بين الجلد الناعم والعضلات القوية ورائحته الدخانية الحُلوة. ثم بعد ذلك شعرت بحرارة لسانه الرطب عندما لثم إصبعي الصغير.

تمتمت: «يا إلهي.» شعرت بفمه يبتسم حول إصبعي، لامس بأسنانه مفصل إصبعي. لثم إصبعي البنصر. ميلت خصري وأخذت أحركه أمام خصره العاري. لكنه أبعد نفسه للوراء وأصبح بعيدًا عني. قد تشعر امرأة أكثر رزانة بالحرج من الأنين الذي صدر عني. لكنني لست رزينة. شعرت وكأنني أُمحَى مع كل حركة من فم ويل، مع كل إصبع يلثمه.

ارتعشتُ عندما وضع شفتيه على المعصم الآخر، وقبّل نبضي، ثم مرر فمه إلى أسفل ذراعي يقبله حتى عاد ووصل إلى حيث بدأ،

رقبتي. رفع قميصي حتى تجاوز وسطي، ثم تجاوز سروالي الداخلي، وكشف عن بطني. قال: «سأحتاج إلى خلع هذا.» لكنه لم يستمر في رفعه.

قلت له: «حسنًا.» وفي حركة سريعة واحدة، اختفى قميصي. سمعته يلعن في سره، وتوقف للحظة طويلة، ثم مد يديه ليضع شعري خلف أذني قبل أن يندفع بشفتيه إلى شفتي، لاثمًا شفتي السفلية ثم عاد إلى رقبتي.

همس عند عظمة الترقوة: «يجب أن نلتزم بالخطة.» ضم صدري بيده، محركًا فمه عليه بينما يداعبني بأصابعه، بلطف ثم بشدة أكثر. ربَّعت كاحليّ، ضاغطة عليه بساقيّ، وكانت حركة واضحة لدرجة أن ويل توقف ونظر بيننا.

ابتسم لي: «أو ربما تريدين أن أعرض عليك خيارًا ثانيًا؟ يمكنني أن أبدأ من الأسفل وأشق طريقي نحو الأعلى. لأرى إذا كنت ستحبين ذلك أكثر؟» مرر إحدى يديه من ركبتي حتى خصري، انزلق إصبعه تحت سروالي القطني الداخلي.

تنفست وقلت: «فكرة جيدة. أختار الخيار الثاني.»

هناك ومضة شيطنة في عيني ويل. قال: «متأكدة؟» طوى النسيج في يده، سحبه ليضيق بين ساقيّ.

خرجت مني آهة، ثم جلس على ركبتيه واضعًا يديه على خصري. ارتجفت ساقاي من الترقب، استندت إلى كتفيه لأبقى مستقيمة. لمحت خلفه ورقًا مبعثرًا على الأرض، ومجموعة من أقلام الرصاص على طاولة القهوة. لكن بعد ذلك، لف ويل كف يده حول كاحل

قدمي اليسرى، وجذب قدمي العارية إلى فمه. عيناه على وجهي. حاولت سحب قدمي بعيدًا، لكنه تتبع بإصبعه الأوسط باطن قدمي، صرخت، حاولت البقاء واقفة باستقامة.

صرخت: «الخيار الأول.»

قال ويل: «فات الأوان.» لكنه وضع قدمي على الأرض. قال: «لقد بدأت بالفعل بتنفيذ الخيار الثاني.»

قبض على خصري بشدة. حتى وهو راكع، كان يصل تقريبًا إلى صدري، ويدس رأسه بين ساقيّ يقبّل باطنهما. أوغلت أصابعي في شعره، أزحته عن جبينه لأتمكن من رؤيته بشكلٍ أفضل.

همست: «ناعم للغاية.» فلثم باطن فخذي ردًا على ذلك. أخذ يحرك إبهامه فوق سروالي الداخلي حيث تتجمع كل الأحاسيس بشدة فيَّ، صدر مني صوت بدأ كضحكة لكن انتهى كآهة. دس إبهامه تحت النسيج، حركه في دوائر صغيرة، وقرب شفتيه من ساقي الأخرى، لثمها بلطف. لم يستوعب جسدي التحولات السريعة بين المتعة والحرمان، بين المداعبة والأسنان.

تمتمت: «ما الذي تفعله لي؟»

نظر ويل إليّ من تحت أهدابه السوداء، داعب ضوء المصباح الذهبي عظام وجنتيه. واصل تحريك إبهامه، بوتيرة أسرع الآن، ثم بدَّل يده ليستطيع تمرير إصبعه فوق المكان الأكثر بللًا. أغمضت عيني، لأن ويل راقبني بذاك الجوع الشديد، ولن أتمكن من الحفاظ على أي سيطرة. شعرت به وهو يداعبني، ثم بعد ثوانٍ قليلة، ثبَّت

إيقاعًا يقودني مباشرة إلى حافة الهاوية، وفي اللحظة التي أوشك فيها على السقوط، يبطئ الوتيرة.

«لا، لا، لا. استمر، استمر.» فتحت عيني، وإذا بعينيّ ويل مثبتتان عليّ.

قال: «أريد أن أجعلك تشتهين هذا بقدر ما أشتهيه أنا. أريدك أن تشعري باليأس تمامًا كما شعرت طوال هذا الوقت.»

أحكمت قبضتي على شعره، أشده يائسة، أغلق ويل عينيه. أنشأت حجرة جديدة في دماغي وأطلقت عليها اسم «ما يحبه ويل». شددت شعره بطريقة أقوى وراقبته، هممتُ أن أنحني، لكن ويل منعني ماسكًا خصري. قال:

قال: «أنا متفانٍ جدًّا في إكمال عملي، فيرن.» وسحب سروالي الداخلي لأسفل، ساعدني لأُخرِج ساقيّ منه. باعَد بين ساقيّ بلطف ثم قبض على مؤخرتي بيديه.

ضعفت ساقاي، جذبت شعره بقوة.

نقل يديه ليثبتني من خصري.

شعرت باهتزازات تمر من خلالي بينما يتحدث: «ثقي بي.» وضع ساقًا واحدة على كتفه، وعندما اقتربتُ، قلت له لا تتوقف، لا تتوقف، لا تتوقف، هذه المرة أطاعني. بعدما هدأت، خفف من قبضته عليّ فتعثرت. وقف، وضع يديه على جانبيْ وجهي، وأصابعه في شعري، وعيناه تحركتا بين عيني. أخذ يتفحصني.

أردت أن أخبره بمدى روعة هذا الشعور، لكن بدا أنني فقدت القدرة على تحويل حروف العلة والحروف الساكنة إلى كلمات فعلية، ناهيك بتجميع بعض الكلمات وتكوين جملة. بدلًا من ذلك، وقفت على أطراف أصابعي وقربت المسافة بين شفتينا، قبلته بجوع. مددت يدي بيننا. أريد مزيدًا، مزيدًا، مزيدًا.

قلت: «أريد مزيدًا منك.» لم أكن متأكدة أن لكلامي معنى، لكن ويل أومأ.

«يمكنك الحصول على كل شيء».

شعرت وكأن شخصًا قد أسلمني مفاتيح أروع مدينة ملاهي وسمح لي باللعب. أردت أن أفعل كل شيء دفعة واحدة. أردتُ أن أكون تحته، فوقه. رغبت في الركوع على ركبتي. أردت أن أدفعه إلى الأريكة. مُهتاجة، بيدين ترتعشان. بدأت بالأساسيات. أمسكتُ حرفَ قميصه ورفعته فوق بطنه. ساعدني ويل في خلعه، وعندما انخلع، قلتُ في تبجيل: «يا إلهي».

الرجل مغطى بالحبر. ليس كثيرًا لدرجة ألا يكون هناك بوصة من الجلد غير الموشوم، لكن لا بد أن ما لا يقل عن ستة وشوم فوق صدره وثنيات بطنه. مدهش هو التباين بين بشرته الفاتحة والرسومات التي دُقَّت بالأسود والرمادي.

«هل كانت هذه الوشوم موجودة دائمًا؟» تتبعت القلم الرصاص الذي استقر على عظمة حوضه العلوي البارزة. إنها أصابع طويلة. هناك خط متعرج يتمايل من طرفه المدبب ويختفي تحت حزام سرواله الداخلي.

«منذ الولادة.» قالها بجدية، بينما تسارعت أنفاسه وأنا أحرك إصبعي على قفصه الصدري.

«أقصد وقتذاك.» لو عرفتُ أنه كان يخفي كل هذا تحت ملابسه قبل عشر سنوات، فلا أدري إن كنت سأتمتع بقدر كبير من ضبط النفس.

«بعضهم.»

نُقِش اسم *صوفيا* في الجزء العلوي من جانبه الأيمن، تقريبًا تحت ذراعه. كرهته على الفور. لم أسأل مَن تكون. هناك ثمرة ليمون على ضلوعه عشقتها وشريط من رسم الكوميكس بطول جانب واحد من بطنه. والخط من السهل معرفته على الفور.

«لقد رسمت كل هذا، أليس كذلك؟» قلتها وأنا أنظر إليه. تمتم بالإيجاب.

قال بصوت مُتعَب: «فيرن، سأتركك تفعلين جولتك الاسترشادية لاحقًا، حسنًا؟»

«لا أعتقد ذلك.» انحنيتُ، قربت فمي من ثمرة الليمون.

«أخذت دورك، والآن أريد دوري. أريد الجولة الأعظم في العالم في ويل باكستر.»

ميَّل ويل رأسه للوراء، لثمتُ أسفل بطنه. تنفس بعمق وبحدة وقبض على معصمي، قال: «غرفة النوم.»

لم أوافق. لدي أفكاري الخاصة عن انهيار ويل بين راحة يدي الآن، لذا استمررت فيما أفعل. وضع ويل يديه على رأسه، شُدَّت عضلات

بطنه بطريقة جعلتني أعرف أنني على وشك الحصول على ما أريد، رفعني عن الأرض، ولم يكن لدي خيار سوى التشبث برقبته.

قلت مُحتجة: «لكنك على وشك الانتهاء.» قبَّل الجلد أسفل أذني وقال: «لا تعلمين مدى سيطرتي على نفسي عندما يتعلق الأمر بك.»

عضضت كتفه بينما قادنا إلى الغرفة وقلت: «أنا متفانية جدًّا في الحصول على ما أريد.»

تطوحنا على جنبينا في السرير، مددت يدي إلى حزام سروال ويل الداخلي. لكن قبل أن أزيحه لأسفل بوصة واحدة، وضع يده على خدي وقال اسمي. نظرت في عينيه. قال: «ببطء، حسنًا؟ لقد انتظرت طويلًا من أجل هذا.»

أومأت، لكن كلماته، والطريقة التي نظر بها إليّ، بوضوح وثبات، أثارت فيّ شيئًا لم أشعر به قبل لحظات. أنا مستلقية على السرير، عارية، مع ويل باكستر. لا أعرف أين أضع يدي. لا أعرف أين أنظر.

رفع ويل ذقني فحدقت إليه. سألني: «هل أنت بخير؟» أخبرته بالحقيقة: «أعتقد أنني متوترة.»

ابتسم وقال: «وأنا أيضًا. هل تريدين أن نتوقف؟»

هززت رأسي: «قطعًا لا.»

أزاح ويل شعري جانبًا، ثم قبل رقبتي. قدَّمنا لأنفسنا فترة طويلة، وأبقى ويل لمساته على كتفي وخصري، حتى زال شعوري بالتوتر. لم أعد أطيق صبرًا. حركت نفسي ملتصقة به، ووضعت يده على صدري. سحبت سرواله الداخلي إلى أسفل، وهو لم يمنعني.

قلت له: «أريدك.»

أبعدني عنه قليلًا، لففت ساقي حول ساقه لأحتضنه عن قرب. قلت: «الآن.»

قال: «واقِ ذكري.» جفلتُ. صحيح. جلب واحدًا من الحمام، شاهدته يرتديه، ثم جذبته إلى السرير.

استدرت فضمني إليه وقلت: «هذا أفضل لي.» لف ذراعه حولي، التصقت به أكثر، لكنه لم يفهم أنها دعوة. داعبني وقبل كتفي، ثم قال: «سأفعل أي شيء تريدين.» ثم بدل الأماكن فأصبح فوقي. «لكنني أود حقًا أن أنظر إليك في أثناء المرة الأولى، حسنًا؟»

ابتلعت ريقي، شعرت بحلقي جافًا، همست: «نعم.»

ثبت ويل عينه في عيني ونحن ملتحمان معًا، أخذ وقته، حتى صرنا واحدًا. حدقنا، لا ترف جفوننا. شعرت وكأن قلبي سينفجر بإحساس لا أعرف ماذا أسميه. لم أدرك أن ثمة دمعة فرت من زاوية عيني حتى قبلها ويل فاختفت.

قلت معتذرة: «لم يحدث ذلك لي من قبل. سأكون بخير.»

«أنتِ متأكدة؟»

أومأت: «أنا بخير.»

ضغط ويل بشفتيه على شفتي، بلطف، وتحرك بإيقاع بطيء. «يمكننا أن نصبح أفضل من مجرد بخير.»

لم تكن الشمس قد أشرقت بَعد عندما أيقظني صوت طائر البحيرة الحزين.

لم يكن هناك سوى ضوء الفجر الخافت وترنيمة الطائر الغريبة والجميلة. استغرقَت عيناي بضع ثوانٍ لتتكيفا مع الضوء وتستوعبا أين أنا، وأتذكر أنني لست في المنزل. استرجعتُ ما حدث الليلة الماضية وومض في عقلي منظر البشرة المتعرقة الملساء والوشوم. وجهي ملتصق بوسادة، وويل يطوقني، ويهمس في أذني. تلك كانت المرة الثانية.

تذكرت عندما استجمعت شجاعتي لأطلب منه أن يعانقني بينما نغفو، راغبة في الشعور بجسده المريح ملتصقًا بجسدي. هذا ليس شيئًا أطلبه عادةً ممن ينامون في سريري، أن يضموني، ولم أكن متأكدة إن كان بإمكاني طلب ذلك من ويل. في النهاية، لم أحتج إلى أن أطلب. التصق بظهري، وضمني إليه. غفوت وشفتاه على كتفي.

عندما استدرت، وجدت ويل ممددًا على ظهره، الملاءة ملفوفة حول خصره، وشعره كالعُلِّيق الأسود.

قررت استغلال الفرصة للنظر إلى وشومه عن قرب قبل أن أهرع للخروج. فأنا لا أريد أن يراني النزلاء وأنا أتسلل عائدة إلى بيتي بملابس النوم. بالإضافة إلى أنني لا أعرف كيف أتعامل مع ويل في ضوء النهار.

قال ويل بصوت خشن: «أعتقد أننا لم نتجوَّل أمس.» مما ذكرني فجأة باسم صوفيا المنقوش على ضلوعه من الأعلى.

«قررت أن أقوم بجولة ذاتية إرشادية.»

وضع يده خلف رأسه وجذبني إليه، حتى استقر رأسي بين صدره وذراعه. فاجئني هذا، فتصلبت. الجنس العابر والعناق في صباح اليوم التالي لا يجتمعان عادةً، هذا هو تعريف الليلة العابرة في القاموس.

ضمني ويل إليه أكثر وقال: «مرحبًا. أين ذهبت؟»

«آسفة. كنت أفكر.»

«ما الذي استغرقت في التفكير فيه هكذا؟» لف أصابعه حول خصلة من شعري.

قلت وأنا أمرر يدي على بطنه: «أفكر في.. أن لديك كثيرًا من الوشوم.»

بعثر شعري بيديه، فاسترخى كل شيء في داخلي قليلًا.

«هل تكونين متيقظة هكذا دائمًا في الصباح؟»

تنحنحتُ: «أنا لا أفيق تمامًا حتى أشرب قهوة. ربما يجب أن أعود إلى المنزل قبل أن أضطر للذهاب إليه شاعرة بالعار أمام النزلاء. لا أعتقد أن هذا هو نوع الحياة البرية التي يأملون في رؤيتها هنا.»

حرك يده على ظهري العاري، محتضنًا انحناءة خصري. قال: «لكن لديَّ خطط كبيرة هذا الصباح.» تنفستُ أسرع عندما تسللت أصابعه لأسفل قليلًا.

«مُغرٍ، لكن..»

قال بلطف: «فيرن، لا تغادري الآن. سأذهب إلى المنزل في وقت لاحق وسأحضر لك ملابس احتياطية، حسنًا؟»

«حسنًا.» أدرت رأسي وأخفيت ابتسامتي في صدره. أعرف أن هذا لن يوصلنا إلى شيء. لدى ويل حياة في تورنتو، وأنا... حسنًا، أعتقد أنني سيكون لدي حياة هنا. مع ذلك، والآن، يمكنني البقاء لفترة أطول.

مررت إصبعي على شجرة الصنوبر على ذراعه وقلت: «إذًا، لماذا كل هذه الوشوم؟»

«النساء يحببنها.»

«نساء مثل صوفيا؟»

ضحك ويل ومرر يده خلال شعري وقال: «آه، نعم. صوفيا تحبها قطعًا.»

أدرت رقبتي لأجده مبتسمًا لي. «صوفيا ابنة أختي.» لا بد أن ويل رأى ارتياحي جليًّا مثلما شعرت به، لأن ابتسامته اتسعت.

قلت: «آه. لا أعتقد أنك أخبرتني باسمها من قبل.» ضمني مرة أخرى بين صدره وذراعه، وغرس أصابعه في شعري من جديد.

«لا؟ لم يكن هذا عن قصد، لكنني الآن سعيد لأنني لم أخبرك. أنتِ جميلة عندما تغارين.»

تأففت: «أنت مستحيل.» مررت يدي على الاسم وقلت: «هل تشتاق إليها؟»

التقط ويل نفسًا طويلًا بصوت مسموع. «إنها أطول فترة غبت فيها عنها.» قالها ببطء، كما لو أنه يختار كلماته من قائمة تحتوي على أربعين صفحة. «لكن أختي أصرت على أن ذلك فترة راحة جيدة لنا جميعًا.»

«وهل كانت كذلك؟ أقصد هل هي فترة راحة جيدة؟»

ميل رأسه لأسفل ليتمكن من رؤية وجهي: «هل تمزحين؟»

هزرت رأسي نافية.

«كنت أعمل، نعم، لكن راودني شعور كامل بأنني في عطلة. لم أقضِ مثل هذا الوقت الطويل مع نفسي منذ زمن. كانت رائعة. إجازة تامة من الواقع.»

إجازة من الواقع. سحقت هذه الكلمات جمجمتي.

أشرت إلى رسم الكوميكس المكون من أربعة شرائط على بطنه. الجزء الأول يظهر شابًا وضيعًا محاطًا بصناديق متحركة. «هل هذه رسمتك؟»

«الفقاعة الأولى عن شركاء السكن، نعم.»

«هل فكرت يومًا في البدء فيه من جديد؟»

«رسم الكوميكس؟ لا.»

«لكن ماذا عن الرسم؟ حتى لو لمجرد التسلية.»

سكت للحظة طويلة، ثم قال: «خربشت ببعض الرسمات منذ وصلت إلى هنا.»

فكرت في الرسوم المتحركة على البطاقة التي أعطاني إياها، وفي الأقلام الرصاص التي رأيتها متناثرة في غرفة المعيشة الليلة الماضية.

«كان لديك مزيد من الوقت لنفسك.»

«نعم، هذا هو الأمر. لكنه أيضًا... لا أعرف. أعتقد أنني ذُكِّرتُ بهذا الجانب من نفسي.»

رفعت بصري ناظرة إليه، تعجبت من الثِقَل في تعبير وجهه.

تمتمت: «أنا سعيدة.» ثم مررت يدي على الوشم تحت عظمة الترقوة. كلمتان صغيرتان. *محض أفكار*.

«ماذا يعني هذا؟»

تجمد ويل تمامًا وقال: «إنها للتذكِرة.»

«التذكرة بماذا؟»

جفل مرتين وقال: «لا شيء مهم.»

«في العادة، لا يدق الناس وشومًا لشيء غير مهم.»

قال: «أعتقد أن هذا صحيح.» لكنه لم يوضح قصده.

رفعت بصري إليه، عابسة، فرك خطوط التجاعيد التي ظهرت بين حاجبيّ بإبهامه، محاولًا تخفيفها.

قال: «لنتحدث عن شيء آخر.» مرر يده الأخرى أسفل ظهري وقال: «أو بالأحرى، دعينا لا نتحدث على الإطلاق.»

استيقظت في سرير ويل للمرة الثانية اليوم، لكنه لم يعد في السرير. سمعت قرقرة ماكينة القهوة. كنت على وشك أن آخذ أحد قمصانه البيضاء النظيفة ذا الأزرار، لكنني سحبتُ بدلًا منه قميصًا قطنيًّا ناعمًا من المشجب، لونه أزرق داكن. طُبِعَ على القميص عند الصدر قلب أحمر صغير بعين كاريكاتورية، أعرف أن ذلك يعني أنه ثمين، لكنني أحببت قمصانه القطنية. إنها تذكرني بويل البالغ من العمر اثنتين وعشرين عامًا. طرفه وصل حتى منتصف ركبتي.

مشيت عبر غرفة المعيشة. لا أثر للورق والأقلام الذين رأيتهم الليلة الماضية، وجدت ويل ينظر من نافذة المطبخ، ساندًا إلى طاولة. لم يرتدِ سوى لباسه الداخلي. توقفت قبل أن يسمع خطواتي، مستغرقة لحظة لأُقدِّر تضاريس العظام، والعضلات، والبشرة الناعمة لظهر ويل باكستر.

قلت: «صباح الخير، مرة أخرى.»

استدار ويل، انخفض بصره إلى حيث لامس القميص ساقي.

رفع حاجبيه، وأومأ برأسه تجاهي وقال: «أحببت... هذا.»

«هذا؟» ميلت رأسي.

«نعم. أنت هنا. مرتدية ملابسي.»

هناك ظلال لحية خفيفة نبتت على خديه لم أرها منذ الصباح الأول الذي جاء فيه إلى هنا، أردت أن أمرر يدي عليها. لكنني أنزلت كوبين من الخزانة، وقلبي يدق تحت أضلعي. شرب الكافيين في الصباح التالي لليلة قضيتها مع أحد، ليس شيئًا أفعله في العادة. قلت: «وأنا أحب... القهوة.»

«آمل أنني لم أوقظك عندما نهضت من السرير. لم أرغب في إبعاد جسدك عني.» لمعت عيناه عندما تفوه بهذا. أردف: «لكن لدي مكالمة في العاشرة.»

«لا بأس. كان يجب أن أغادر منذ وقت مبكر.» ملأت الكوبين، مررت واحدًا إلى ويل.

أخرج علبة حليب من الثلاجة وسكب منها في كوبه وأضاف ثلاث ملاعق كبيرة من السكر. أخذت رشفة من قهوتي الداكنة، تنهدت بسعادة من مذاقها الرائع.

توقفت وقلت: «انتظر قليلًا. من أين حصلت على ماكينة القهوة؟»

تجهم ويل: «اشتريتها من المدينة في اليوم الثالث لي هنا. تلك الآلات ذات الكبسولات مروعة.»

«يا إلهي، أعلم.» وجب أن أستبدلها. «هذا ذكرني بشيء. لدي كثير من الأمور عن المنتجع أرغب في مناقشتها معك لاحقًا. ما جدولك؟» آخر ما أريده هو المجازفة بعلاقتنا المهنية. إذا قررت البقاء، فسأحتاج إلى مساعدة ويل أكثر من أي وقت مضى. لكن لن أتحدث عن كل ذلك قبل اجتماعه.

«لدينا عرض اليوم. في الساعة الثانية، وربما سيطول قليلًا.»

شعرت بغصة الذنب لأنني جئت إلى هنا في وقت متأخر. «من العميل؟»

تغضن جبين ويل. وضع كوبه على الطاولة واقترب مني خطوة. قال، مداعبًا خصلة من شعري خلف أذني: «هل حقًّا تريدين التحدث عن عملي الآن؟ لأنني أفضل التحدث عن الليلة الماضية.»

قلت: «آه. الليلة الماضية كانت...»

وضع ويل يديه على خصري وجذبني إليه، قبّل رقبتي، تحت فكي، ثم قال وشفتاه على بشرتي: «الليلة الماضية كانت ماذا، فيرن؟» لثم شحمة أذني.

«الليلة الماضية كانت... لطيفة.» *إجازة من الواقع*. زحف وصف ويل إلى عقلي.

«لم تكن لطيفة.» ضم وجهي بيديه. «كانت رائعة. هذا الصباح كان مذهلًا أيضًا.»

يجب أن أخبر ويل أنه وعلى الرغم من كونها رائعة، لا يمكنني أن أراه هكذا مرة أخرى. أن تنجذب إلى شخص شيء، وأن تبيت عنده

عاريًا شيء آخر لا ينتج عنه إلا الخراب. لا أعتقد أن قلبي سيتحمل أن أكون إجازة لويل من الواقع لبقية فترة وجوده هنا.

لكنه بعدها قبّل عنقي، لحيته الخفيفة دغدغت بشرتي. قال: «أعتقد أننا يجب أن نجرب مرة أخرى، ألا تظنين ذلك؟»

أومأت: «تعال بمجرد أن تنهي ما تفعله.»

telegram @
yasmeenbook

16

14 يونيو، قبل عشر سنوات

قارب الليل على الانتصاف عندما وصلت وويل إلى الكوخ ذي السقف الفيكتوري الذي أعيش فيه. من المفترض أن يكون منزلًا كبيرًا في وقت ما، لكن قُطِّعَت أمعاؤه لتصير جحورًا من الشقق. رائحة البصل المقلي رافقتنا في الممر المظلم والضيق المؤدي إلى الجزء الخلفي من المبنى. رجوتُ ألا ينتبه ويل إلى الدهانات الصفراء المصبغة والسجاد البرتقالي الملطخ.

انحنى أمام الحائط، التصق شعره بخديه، بينما كافحتُ لأفتح القفل.

تمتمت: «يداي زلقتان.»

كنا مبتلين. الأمطار ثقيلة لدرجة أن الجري لم يكن ذا فائدة. بدلًا من ذلك، أسرعنا الخُطى بينما أخذ البرق يومض من الشمال الغربي. تمايلت الأشجار القديمة الممتدة على جانبي الشارع مع الرياح، اصطدمت أغصانها بخطوط الكهرباء.

تبعني ويل إلى الداخل، تفحصنا معًا الغرفة الصغيرة التي تحتوي على حياتي بأكملها في تورنتو. دُفِع سرير كبير إلى أحد الجدران، وكان «المطبخ» في الجانب المقابل.

يمكنك الوقوف بين الاثنين ولمس طاولة المطبخ بذراع وتطال حرف سريري بالذراع الأخرى. هناك مساحة صغيرة تكفي لكرسيين طعام مغطيين بطبقة من الفينيل، وطاولة خشبية صغيرة.

«كلمة «صغيرة» استهانة، كما ترى.» لم أكن شخصية مرتبة بطبيعتي، لكنني تعلمت كيف أحافظ عليها أنيقة. أرتب سريري كل صباح، أغسل الصحون بعد تناول الطعام. لم يكن هناك كثير لأزيّنه، لكنني طليت الجدران باللون الأخضر الفاتح، وعلقت لوحتين وجدتهما في متجر لبيع الأشياء المستعملة، غابة تحت سماء ليلية مظلمة وإعلان عن دونات يبدو عتيقًا لكنه ليس كذلك بالتأكيد.

خلع ويل حقيبة ظهره، راحت عيناه تنظران إلى ملصق حفل موسيقي لفرقة جريزلي بير معلق فوق سريري. «الغرفة تنضح بالهُوّية. تعبر عنك تمامًا. النَّافذة خلّابة.»

كانت كذلك فعلًا. تُطل على الحديقة الخلفيّة، ذات قاعدة عريضة، يعلوها لوح زجاج مُرصص. هو أكثر ما أحببته في الشقة. الممر مُخيف، لكن في الداخل، الأرضيات الخشبية الأصلية المتينة وإزار الحائط السميك لا يزالان بحالة سليمة.

قلت: «هناك حوض الاستحمام ذو الأربعة أرجل في الحمام أيضًا. لكن ضغط الماء سيئ.» لماذا تحدثت عن ضغط الماء؟ لم يكن إحضار ويل إلى شقتي مخططًا له مُسبقًا. الرقص معه هو أبعد شيء تصورته، ربما. كل ما عرفته عندما دعوته إلى هنا هو أنني لم أرغب في تركه يذهب. لكن وماذا الآن؟

حككت معصمي وقلت: «حسنًا، ربما يجب أن أغير ملابسي. وددتُ لو أعرتك شيئًا من ملابسي لكنني أشك أن حتى أكبر قميص لدي يناسبك.»

ابتسم ويل نصف ابتسامة مائلة وقال: «أعتقد أنه سيكون ضيقًا قليلًا. لكن لا بأس. زيّ العمل في حقيبتي.»

أخرجت ملابس جافة من خزانتي، ألقيت منشفة لويل، وعزلت نفسي في الحمام، مستغرقة وقتًا مضاعفًا لتبديل ملابسي. غسلت أسناني، وضعت مزيل عرق، استدرت أتفحص جسدي في المرآة. ارتديت بنطالًا رياضيًّا رماديًّا فضفاضًا وقميصًا قطنيًّا أبيض آخر، وحمالة صدر بيضاء. لن أقوم بأي تصرفات سخيفة هنا. انتظرت حتى لم أعد أسمع ويل يتحرك من الجهة الأخرى للباب.

كان يقف بجوار الطاولة، حاملًا صورة مُؤَطّرة عندما رجمت الأمطار النافذة. شعره مبعثر، وأكمامه مطوية فوق معصميه، وقد أخفت وشمه مرّة أخرى. بدا وكأنَّ الجدران تقلّصت حوله. لم تكن شقتي كبيرة بما يكفي لاستيعاب ويل.

سألني: «هل هذه والدتك؟»

ومض البرق.

انتقلت بجانبه، نظرت إلى الصورة. «نعم، والذي معنا هذا بيتر.»

كان ذلك في ليلة تخرجي في المدرسة الثانوية. كنت محشورة بينهما عند شرفة المبنى الرئيس للمنتجع، والبحيرة ظاهرة في الخلفية بلون أزرق ضبابي. لم يشأ بيتر أن يكون في الصورة. أتذكر أن والدتي همست

بشيء في أذنه، وساورني شعور غريب بأنني أشهد شيئًا خاصًا. ظل وجه بيتر هادئًا، لكنه أومأ ووقف بجواري، لف ذراعه حول كتفي.

«تشبهينها تمامًا.»

«أعلم. أزعجني ذلك في وقت سابق.» صففت أمي شعرها قصيرًا منذ وعيت عليها. بعدما قصصتُ شعري، أصبح التشابه بيننا لا يصدق. لم يعد يزعجني هذا التشابه. لم أكن متأكدة متى تغير هذا.

قال ويل: «إنها جميلة.» انتقلت عيناي إلى جانب وجهه، لكنه استمر في تأمل الصورة.

«كان شعرك طويلًا جدًّا في الماضي.»

فتلت خصلة شعر على جبيني وقلت: «نعم، هذا أمر جديد تمامًا.»

وضع ويل الإطار على الطاولة. «هل كنتِ دائمًا أنتِ ووالدتك فقط؟»

«ليس لدي أب، إذا كان هذا ما تقصده.»

أخذت خطوةً إلى اليمين حتى أتمكن من ملء الكوبين بالماء. المطبخ ليس إلَّا طاولة طولها بضعة أقدام، حوض غسيل، وموقد غاز قديم، وثلاجة صغيرة. ناولت ويل كوبًا حراريًّا وجلست على حافة السرير، أخرجت كرسيًا بقدمي ليجلس عليه.

«عاش جدي وجدتي في المنتجع حتى بلغت الثانية عشر من العمر، لكن بيتر كان دائمًا معنا. إنه رئيس طهاة الحلويات هناك. يبدأ يومه باكرًا، لذا يكون قد انتهى من العمل وقتما أعود من المدرسة. اعتدنا أن نقيم حفلات الشّاي في صغري. يحضّر شطائر الخيار المقشّر، ونستمع إلى فرقتي توكينج هيدز وراومونز.» ابتسمت ثم

واصلت: «واحدة من أقدم ذكرياتي في تورنتو هي تناول الشاي بعد الظهيرة في فندق رويال يورك مع بيتر.» حاول إقناع والدتي بتنظيم حفل شاي فاخر في المنتجع؛ خسر تلك المناقشة.

تفحص ويل الغرفة مرة أخرى، وقعت عيناه على الخزانة. كانت بابًا واحدًا من خلفه مساحة صغيرة ممتلئة عن آخرها لدرجة تعوق الباب عن الانغلاق بشكل مستوٍ. «أعتقد أنه لا يمكنك البدء في تعبئة أشيائك وصديقتك هنا؟»

ارتميت على السرير. أعطتني زيارة وتني عذرًا ممتازًا لعدم التفكير في تعبئة أغراضي. «لا أستطيع أن أصدق أنني سأضطر إلى العيش مع والدتي مرة أخرى.»

سمعت ويل يقول: «لماذا عليك ذلك؟»

رفعت بصري ناظرة إلى الشّق الممتد عبر السقف. يمكنني رسم هذا التشقق بعينين مغمضتين. «حسنًا، إلا إن أردت أن أنام في أكواخ الموظفين، وأنا بالتأكيد لا أرغب في ذلك، ليس هناك خيار آخر. المنتجع بعيد إلى حدّ ما، وأنا لا أملك سيارة.»

قال ويل: «صحيح، لكن ما أعنيه هو، لماذا عليك العودة إلى الوطن من الأساس؟»

أنقذني صوت الرعد من الإجابة. قفزت مستقيمة، فسرى ضغط شديد في جمجمتي.

«نحن بحاجة إلى بعض الموسيقى.» فتحت الحاسوب على الطاولة بجوار ويل، فطل علينا موقع بروكبانكس عبر الشاشة. اتصلت بي

أمي عندما غادرت أنا ووتني من الباب هذا الصباح. طلبت رأينا في تطبيق حجز الغرف الجديد.

انحنى ويل للأمام وقال: «هل هذا هو؟» اقترب ويل. ذهب المصوّر بالقارب لالتقاط صورة للمنتجع وهو قابع على التلّ العشبي، والشاطئ ممتد من تحته. بدا وكأنه مجموعة بيوت سياحية ضخمة للتزلج، قصر من الحجر والخشب مكون من ثلاثة طوابق بأسقف مثلثة.

«هذا هو.» أغلقت الصفحة وانتقلت إلى برنامج آي تيونز، تصفحتُ قوائم الأغاني.

سأل ويل: «ماذا عنهم؟» عندما استدرت لأرى ما يقصده، كان وجهه في منتهى القرب، حتى أنني رأيت بقع النمش الخفيف المنثور على وجنتيه. تبعت نظرته إلى الملصق على جداري.

«فرقة جريزلي بير؟ بالتأكيد.» فتحت قائمة أغانيهم الأحدث. «رأيتهم في قاعة حفلات ماسي هول العام الماضي. اشترى لي بيتر تذاكر. وقتذاك حصلت على الملصق.»

عدت أجلس على سريري عندما بدأت الأغنية الأولى. «في عالمي المثالي، سيصبح لدي المساحة والمال لشراء جهاز تشغيل أسطوانات.»

«وأسطوانة جديدة تمامًا لفرقة هورسيز.»

«بالضبط. لكنني مبتهجة بدبوس الترام لديّ.»

نقر ويل بأصابعه على الطاولة. شعرت للمرة الأولى أن محادثتنا متكلّفة.

سألته لأملأ هذا الصمت الثقيل: «إن كان بإمكانك الحصول على أي شيء الآن، فماذا سيكون؟»

جفل ويل متعجبًا، تسلل احمرارٌ من تحت ياقته إلى وجنتيه. قال: «ربما سأحصل على شيء لآكله.»

«أنت جائع؟ بعد كل هذه الكمية من رقائق الناتشوز؟»

«أنا جائع حتى بعد كل شيء.»

«لاحظت.»

ربما استطعتُ فتح الثلاجة بقدمي لو كنت طويلة مثل ويل، ولكن كوني غير طويلة مثله، احتجتُ إلى الوقوف لأحدق إلى رفوفها الفارغة. لم يكن لديّ فرصة لملئها بعد زيارة وتني.

«لدي مخللات؟» نظرت خلفي ولاحظت الكيس الورقي على الطاولة. «آه، في الواقع. لدي شيء أفضل بكثير، جدًّا.»

أرسل بيتر اثنين من خبز الساوردو مع وتني، وهناك قطعة متبقية من الرغيف الأخير. «ليس طازجًا تمامًا، لكنه رائع عندما يحمّص.» مددته نحو ويل بيد، ولوحت بالأخرى حوله كما لو أقوم بخدعة سحرية. «استعد للاندهاش.»

«لست متأكد أنني رأيت شخصًا متحمسًا لهذه الدرجة من أجل الخبز من قبل.»

توقفت عن الحركة. قلت: «هذا ليس مجرد خبز. إنه خبز بيتر من عجين الساوردو، وسيغير حياتك.»

«هل هذا صحيح؟»

ومض البرق مرة أخرى، نظر كلينا إلى أعلى، ثم عدنا لنتبادل النظر.

«أضمن لك ذلك. بعد الليلة، لن تكون مثلما أنت بعد الآن، ويل باكستر.»

بينما كنت أجهز وجبتنا السريعة، هبت رياح قوية وأسقطت صناديق القمامة في الفناء. تساقطت الأمطار بشدة على الزجاج، خفتت إضاءة الغرفة، ومضت مرَّة، ثم انقطعت.

«اللعنة.»

«هل تعتقدين أن الكهرباء انقطعت في شقتك فقط؟»

تحركت بحذر نحو النافذة للتحقق من أضواء الشوارع، التي أظلمت أيضًا. قلت: «لا.»

قال ويل: «لديك بعض سمات القاتل المتسلسل الآن.» ووجهه يتوهج بالضوء الأزرق لشاشة الحاسوب. ما زلت ممسكة بسكين الخبز.

رفعتها في الهواء وقلت: «آه، لقد اكتشفتَ كل شيء. لقد خدعتك لتعتقد أنني فتاة ريفية بريئة.» عبست وأسقطت السكين إلى جانبي. «المحمصة لا تعمل.» عضضت شفتي، أخذت أفكر. «سأستخدم مقلاة.» الموقد أقدم مني، ومفتاح الإشعال الأيمن الخلفي كان مكسورًا، ولكن لأنه يعمل بالغاز، استطعتُ الطهي في أثناء انقطاع التيار الكهربائي.

سألني ويل بينما أسخن الخبز: «هل لديك قدّاحة؟ يمكنني إشعال شموعك.»

«في درج الطاولة بجوار السرير.» كنت مستغرقة في التفكير في المعادلة التي تجمع بين ضوء الشموع الرومانسي وويل والغرفة الصغيرة، لدرجة أنني لم أنتبه لما يحتويه الدّرج إلا عندما فتحه. «لا، انتظر. لا تفعل ذلك. إنها في حقيبتي. في كيس النقود الذي عليه تصميم زيجي ستاردست.»

الآن، تسارع نبض قلبي، ومع صوت كل نقرة من القداحة، شعرت بأن جلدي يضيق أكثر. أشعل ويل شموعي الخمس كلها، كل واحدة بأمان في إناء زجاجيّ، وضع واحدة في الحمام وأخرى على الطاولة بجانبي. واحدة أخرى ذهبت إلى الطاولة، الرابعة وضعها على طاولة الزّينة، والأخيرة بجانب سريري. عندما انتهى، تلألأت الغرفة بالضوء الذهبي.

سألني ويل، مقاطعًا تركيزي المتزايد في تحميص الخبز: «بطارية الحاسوب لديك اثنا عشر بالمئة فقط. هل يجب أن أوقف تشغيله في حالة انقطاع التيار لفترة طويلة؟»

«أعتقد أنه من الأفضل أن تفعل ذلك.»

وهكذا توقفت الموسيقى.

صرنا نحن الاثنين فقط الآن. وطبق واحد من الخبز المحمص.

وضعته على الطاولة ومعه وعاء صغير به ملح وزبدة، وجلست على الكرسي بجانب ويل.

قلت موضحة له: «ضع فوقه قليلًا من الملح.» انتظرت ويل ليفعل الشيء نفسه قبل أن آخذ قضمة، راقبته بينما تتسع عيناه. الصوت الذي أصدره، وفمه لا يزال ممتلئًا، كان يشبه *فواااه*.

«بيتر أعدَّ هذا؟»

«نعم. هذا ما نقدمه في مطعم بروكبانكس.»

«الآن أصبح لدي سبب آخر لزيارة منتجعك. سأذهب وأصافح يد ذاك الرجل وأتناول سبعة أرغفة من خبز الساوردو.» قضم لقمة وقال بينما يمضغ: «تبدو البحيرة جميلة أيضًا، ربما سأركب زورقًا في أثناء وجودي هناك.»

«آه، حقًّا؟ يصعب عليّ تخيلك في البرية. ويل باكستر في زورق؟»

هززت رأسي مبتسمة.

نظر إليّ متجهمًا وقال: «سأبدو رائعًا في البرية، مذهلًا في الزورق. سيتعين عليك فقط أن تريني كيف أمسك بالمجداف.»

«ما رأيك في هذا: سآخذك لتركب الزورق، وأعلمك كيفية التجديف بطريقة الضربة الجانبية، وأتأكد من أنك لن تعرض نفسك للحرج. ولكن في المقابل، عليك أن تريني رسوماتك.» إذا كنا سنلعب لعبة التخيُّل، فمن الأفضل أن أتخيل بالطريقة التي تعجبني.

«تريدين أن تري رسمي؟»

لعقت الزبدة على أصابعي وقلت: «نعم. لذا اجلب ملفك وأنتَ قادم.»

دفع ويل خده بلسانه ناظرًا إليَّ وقال: «يمكنني أن أريه لك الآن.»

توقفتُ، وإصبعي ما زال في فمي.

قال: «معي دفتر رسم. أحمل واحدًا معي دائمًا. أغلبه أفكار عن شركاء السّكن. وبه قليل من صور الوجوه.» هز كتفيه: «إذا أردتِ.»

«حقًّا؟ لا تمانع؟»

حك قفاه وقال: «لست مولعًا بمشاهدة الناس وهم ينظرون إلى أغراضي، لكنني أثق بأنكِ لن تقولي شيئًا فظيعًا.» نظر إليَّ بجدية: «حتى لو ظننتِ أنه بدائي.»

«لن أفعل ذلك أبدًا.»

لكن ساورني القلق بمجرد أن بحث ويل في حقيبته. كنت مريعة في التظاهر.

«ها هو.» أسلمني دفترًا أخضر متهالكًا، ثم جلس، ساندًا كوعيه إلى ركبتيه، وذقنه إلى إحدى يديه.

بدأت من البداية وتصفحته ببطء، دارسة الشخصيات على الصفحات غير المسطّرة. رُسِم الأربع شخصيات ذاتهم عدة مرات، أحيانًا بحبر أسود دقيق وخطوط حادة وواثقة، وأحيانًا بخربشة قلم رصاص.

قلت رافعة بصري لأنظر إليه: «أنت تجيد ذلك.» لكنه لم يرد، اكتفى بمراقبتي وأنا أقلب الصفحات.

واحد من الشخصيات ذو عينين ناعستين، ظهره محني، ويحمل دائمًا شطيرة في يده. الآخر يعقص شعره. أما الشخص الذي من الواضح أنه ويل، فنحيل للغاية، ذو أنف مبالغ في طوله. امتلأت إحدى الصفحات بالملاحظات. كتبها بأحرف كبيرة منتظمة.

عندما وصلت إلى هذه الصفحة قال ويل: «هل لديك أي أفكار لفقاعات الحوار؟»

انتثر في الدفتر رسومات واقعية للأشجار والكباري والأغراض اليومية، وعاء من ثمر الليمون، حقيبة ويل الملقاة في زاوية. هناك

بعض رسومات الوجوه. المفضلة لدي فتاة تسبح، من يديها يُنثَر رذاذ الماء، وابتسامة تُظهر أسنانها ارتسمت على وجهها.

قلت لويل: «هذه مذهلة.»

تنحنح وقال: «شكرًا. هذه هي أختي. ليس دائمًا من السهل إيجاد أشخاص يوافقون على الجلوس لأرسمهم، لذلك غالبًا ما أستخدم الصور. هذه من رحلتنا العائلية إلى جزيرة الأمير إدوارد ونحن طفلان».

قلت: «يمكنك أن ترسمني إن أردت.» أغمضت عيني واستطردت: «أعني، إن أردت أن ترسمني، يمكنك ذلك.»

لم يقل ويل شيئًا، لذا فتحت عينًا واحدة. «هل ذلك غريب؟ أنا فقط فكرت أنك قد ترغب في التدرب.» أخذت قطعة أخرى من الخبز، متفحصة الثقوب بافتتان جديد.

«في الواقع، أود ذلك.»

رفعت بصري عن الخبز. قلت: «حقًّا؟ إذًا كيف نفعل ذلك؟ هل تريد أن أضع كرسيًا هناك؟» أشرت إلى الجانب الآخر من الغرفة، بالقرب من الباب.

أخذ ويل قطعة الخبز من يدي ووضعها على الصحن. نظر في أنحاء الغرفة، استقرت عيناه على السرير. «لا، اذهبي هناك.»

بدأ الأمر وأنا في مقدمة السرير، وويل على كرسي بالقرب من قدمي. فتح صفحة جديدة وأخذ يحدق إليها دقيقة كاملة ثم نظر إليّ. نظر إلى وجهي أولًا، ثم باقي جسدي. تحركت يده عبر الصفحة بضربات سريعة وقصيرة. ظل يميل للأمام، محدقًا إليَّ في الظلام.

بعدما حدق إليّ ومال للأمام أكثر للمرة الثالثة قلت: «هل تريد أن أقترب أكثر؟»

توقف ورفع بصره عن الورقة وقال: «نعم، سيكون هذا رائعًا.»

تحركت للأمام قليلًا وقلتُ: «هل يُمكننا التحدث، أم سيؤثر ذلك في عملك؟»

«يمكننا التحدث.»

«إلى متى تقيم عادة عندما تعود إلى تورنتو؟» رجوت ألا أكون واضحة تمامًا بهذه الطريقة.

نظر إليّ ويل نظرة سريعة قبل أن يعاود الرسم. قال: «على حسب. استغرقت هذه الرحلة أسبوعًا تقريبًا. عادةً بضعة أيام فقط.»

ليس وقتًا طويلًا على ما يبدو. ليس وقتًا كافيًا لزيارتي في الشمال. «آه. لماذا بقيت لمدة أطول؟»

«سيتزوج والدي مرة أخرى. حفل الخطوبة الأسبوع الماضي، ولم أكن قد قابلت خطيبته من قبل، لذا كثير من الاستعدادات للتعارف.»

«هل سارت الأمور على ما يرام؟» لم أضطر قط إلى الدخول في تفاصيل الحياة العاطفية لوالديّ. لو أنني لم أفهم الأمور بشكل أفضل، لآمنتُ أن أمي ولدتني دون شريك.

«أعتقد ذلك. بدت مهتمة حقًّا بوالدي. لكنني أردت أن أقول لها: *هذا الرجل؟ فعلًا؟ أتعلمين أنه يغسل السلطة التي غُسِلت مسبقًا، أليس كذلك؟*»

ضحكتُ، وفكر قليلًا.

«من الغريب أن أراه مع امرأة أخرى غير أمي. قابلتها أنابيل عدة مرات وأحبتها، وأختي نقدها لاذع. أرجو...» خفض بصره محدقًا إلى الرسمة.

«هل أنت بخير؟»

أومأ مرة واحدة، ثم نظر إليَّ. قال: «يزعجني أنني غادرت، مثلما فعلت والدتنا. والدي قاسٍ جدًّا مع أنابيل، لكن ربما تتحسن الأمور عندما تنتقل ليندا إلى المنزل.» فرك عينيه وقال: «على أية حال، أفرغت كل ما في قلبي تجاهه الليلة الماضية، وهذا لن يُحدِث أي تغيير. من الجيد أن ألتهي بشيء اليوم، ألا أضطر للعودة إلى المنزل والتعامل معه.» عاد ويل للرسم.

«إن كنت ترغب في البقاء هنا الليلة، يمكنك ذلك.» قلتها دون تفكير، فتوقف القلم الرصاص عن الرسم.

«إن أردت.»

رفع بصره ناظرًا إليّ.

«يمكنك ذلك.»

تبادلنا النظرات، ثم عاد ويل للرسم. لم يتحدث أي منا عدة دقائق حتى قال: «إذًا، كيف يبدو.. الحبيب؟»

«جيمي؟» حدقت إلى ويل، حاولت تخمين سبب سؤاله، لكن كل ما شغلني هو طول رموشه.

«نعم. جيمي.»

قلت ببطء: «إنه رائع.» لم أصف جيمي لشخص آخر منذ وقت طويل، ولم أتحمس لمهمة وصفه لويل. «إنه هادئ ومريح. طريف. من النوع الذي يحبه الجميع. إنه حلوى الكراميل بين البشر.»

قال ويل: «لم أفهم.»

نظرت إلى الدبوس *السريالي* على ياقته، وقلت: «شيء داخلي نوعًا ما، أيّ نوع من الحلوى سنكون. هو حلوى الكراميل؛ حلوة المذاق، سلسة، وتُعجِب الجميع.»

نظر ويل إليّ. بإمكاني أن أقسم أنه ابتسم في سخرية. قال: «وأنتِ، فيرن بروكبانكس؟ ما نوع الحلوى التي تكونينها؟»

«أنا؟» ابتلعت ريقي وقلت: «يعتقد جيمي أنني كعك الليمون.»

راقبت صدر ويل يعلو ويهبط. ميَّل رأسه نحو كتابه وقال: «وماذا تعتقدين أني سأكون؟»

استطعت تذوق كعكة الشوكولاتة المملحة التي يعدها بيتر، مع ذاك الأثر الطفيف للفلفل الحار. «لا أعرف... كعكة شوكولاتة؟»

«كعكة شوكولاتة؟»

«نعم. كما تعرف، مع رقائق بسكويت الشوكولاتة والكريمة المخفوقة؟» كان يجب أن أفكر قبل أن أفتح فمي.

قال ويل: «آه، وماذا أيضًا.»

عرفت أنه لا يسأل عن كعكة الشوكولاتة. أخذت نفسًا عميقًا.

«عرفت جيمي فترة طويلة، لكنه كان دائمًا مجرد فتى البحيرة الذي يكبرني في العمر.»

نظر ويل إليّ وقال: «بكم سنة يكبرك؟»

«ثلاث سنوات. لدى عائلته كوخ قرب المنتجع. على أي حال، كنت ضائعة نوعًا ما في نهاية المرحلة الثانوية، وكنا أنا وجيمي نعمل معًا. الشخص الوحيد الذي لم يحكُم عليّ.» رفع ويل بصره عن الرسمة. «هذه البداية.»

«قبل أربع سنوات؟»

«صحيح. نعمل معًا في المنتجع كل صيف. يبقى جيمي في أكواخ الموظفين بدلاً من كوخ عائلته، لأنه مغرم بالمكان هناك.» أخذت أقشر طلاء الأظافر الأزرق على إصبعي السبابة «لم أشعر بالانتماء.»

«ليس هذا ما شعرت به.»

«هل أنت جاد؟» ألم أشرح له كيف أنني لا أريد العودة إلى المنتجع؟

«نعم. في المعرض اليوم... وطريقتك في التحدث عن الأمر. لا أعرف. وصلني انطباع أنك تحبين المكان هناك.»

جفلت ناظرة إليه. أحب المكان هناك من نواحٍ عديدة. أحببت مشاهدة حركة عاصفة تمر عبر البحيرة. أحببت الجلوس في مطبخ الحلويات مع بيتر، واللعب بالورق مع عائلة روز، والذهاب في جولة بالزورق في يوم هادئ. «ربما.»

خفضت بصري وحدقت إلى يديّ. الأمور تحسنت بيني وبين أمي منذ انتقالي إلى هنا قبل بداية العام الدراسي الثاني في الجامعة. لم أُقدِّر من قبل طبيعتها المتفانية في العمل، لكن يوم ساعدتني هي وبيتر في تفريغ حقائبي، هجمَت على الغرفة تنظفها وترتبها كما لو أنها عملية عسكرية.

في ظهيرة واحدة، نُظِّف الجُبن المحترق والملتصق بالموقد، تكشَّف لون أرضية الحمام الأبيض، لم يعد رماديًا. غُسِل كل وعاء ومقلاة وأداة طهي عندي وخُصِّص له مكان في البيت. كنت شاكِرة ومتعبة عندما انتهينا، لكن بدلًا من أن يعودا إلى غرفة الفندق، اقترحت أمي أننا سنحتفل نحن الثلاثة. جلسنا خارجًا في مطعم صغير في نهاية الشارع، وطلبنا بيتزا ونبيذًا أحمر متذكرين أيام الصيف. شعرت وكأننا عائلة عادية تقضي ليلة في الخارج، وأعتقد أننا كذلك.

عندما أوصلتني أمي إلى مسكن الطلبة السنة الماضية، لم أتمكن من طردها من الباب بسرعة كافية. لكنني احتضنتها بتشبث عندما تو ادعنا تلك الليلة، متمنية أن تستطيع البقاء فترة أطول قليلًا.

هززت رأسي: «إن لم أذهب إلى البيت... فهذا ليس خيارًا.»

«وماذا عن جيمي؟ ألم تخبريه؟»

«لا. لا أظن أن هذا سيمر على خير. أعتقد أن بيتر هو الشخص الوحيد الذي يمكنني التحدث إليه.» فكرت في قائمة الأغاني التي جهزها لي.

«قد يكون متوقعًا هذا بالفعل في كل الأحوال. إنه أكثر من يعرفني.»

«هل تحبينه؟»

نظرت إلى ويل متفاجئة.

«بيتر؟ نعم. إنه أقرب شخص لدي مثل الأب.»

«قصدت جيمي.»

لم أنوِ أن أُحدث فجوة من الصمت، لكنه فاجأني.

«بالطبع. لن أبقى معه إن لم أكن أحبه.» أومأ.

«هل أنت مغرم بفرِد؟»

«لا.» أجاب دون تردد. وبعد ثانية، أضاف: «اعتقدت أنني كنت أحبها. لكنني أدركت أنني لست كذلك.»

أردت أن أعرف كيف اكتشف ذلك ومتى، ولماذا ما زالا معًا إذا كان الأمر كذلك. لكن طرح تلك الأسئلة بدا خطيرًا. بدلًا من ذلك، سكتنا، وشاهدت ضوء الشمع يتلألأ على وجنتي ويل، غارقًا في تجاويف عظمتيها.

اشتد هطول المطر، ضاربًا النافذة بزاوية منحرفة.

في النهاية، توقفت يد ويل عن الرسم.

قال: «أشعر بالقلق من أنك ستكرهينها.»

«بأمانة، وأنا أيضًا».

انتقل إلى حافة السرير. سارعت في الاقتراب منه. تركت مسافة بضع بوصات بيننا، لكنني تمكنت من الشعور بحرارة جسده، شممت رائحة المطر في شعره ورائحة طلاء الألوان على ملابسه.

انحنيت فوق الصفحة، وقد رسمني بخطوط القلم الرصاص الدقيقة، التي شكلت ظلًّا ونورًا. الرسم بتأنٍّ وبالتفاصيل، وواضح أن التركيز عليّ، أما السرير والغرفة فظهرا بشكل ضبابي حولي. ذقني مسنود إلى ركبتي، وذراعاي ملتفتان حول ساقي، قدماي حافيتان. شفتاي منحنيتان انحناءً طفيفًا للأعلى، وعيناي متسعتان تنمّان عن نوع من البهجة السرية.

«يصبح لديك هذه النظرة عندما تكونين متحمسة لشيء ما. حاولت إظهار ذلك.» ميَّل رأسه ليتمكن من قراءة التعبير على وجهي. «كان أنفك أيضًا صعبًا.»

لمست أنفي بأصابعي وقلت: «أنفي؟»

«ما رأيك فيما فعلت؟ هل كرهتها؟»

هززت رأسي. قلت: «لا. إنها...» أردت أن أشرح كيف شعوري، وكأن أحدًا لم يرني فعلًا قبل تلك اللحظة، لكن كل ما استطعت قوله هو: «إنها أنا.»

3 أغسطس، 1990

تأخرت دورتي الشهرية. لم تتأخر من قبل قط. من المفترض أن تأتي قبل ستة أيام.

لكن لا يمكن أن أكون حبلى. لقد توخيتُ الحذر. تناولت حبوب منع الحمل.

لدي خطة. إدارة المنتجع عندما أتم الثالثة والعشرين من عمري. الزواج في سن السادسة والعشرين. طفلان قبل سن الثلاثين.

لا يجب أن يصبح لدي أطفال قبل خمس سنوات أخرى على الأقل!

أوروبا. العمل. الزواج. الأطفال. هذا هو الترتيب الذي يفترض أن تسير عليه الأمور.

أنا لست حبلى. لست كذلك. لا يمكن أن أكون كذلك.

رغم أن ثدييّ يؤلماني، جداً.

17

الآن

قفزت من حافة مرفأ العائلة وغطست في المياه حتى اضطررت للطفو على السطح. ارتديت ملابس السباحة بمجرد عودتي من كوخ ويل وأخرجت الزورق. لكنه لم يساعدني في التخلص من وطأة شعوري بقضاء الليلة معه، ومن احتمال قضاء ليلة أخرى معًا.

قبل ولادتي بوقت طويل، اعتاد جدي وجدتي وأمي أن يأتوا إلى هنا لقضاء الوقت بجوار المياه. الشاطئ خاص، وهو جزء من خليج صغير؛ لا يمكنك رؤية الأكواخ أو شاطئ المنتجع. هناك كرسيان معدنيان، طلاؤهما الأحمر متقشر، ومرفأ قصير، أجزاؤه متآكلة بالقدر نفسه. نَمَت شجرة أرز فوق المياه بفروعها المتعرجة. جذعها ممتد بالتوازي مع سطح البحيرة. كنت ووتني نمشي مختالتين على طول الجذع كأنه منصة عرض أزياء. في الحادية عشرة، أقنعتني وتني بارتداء ملابس رسمية من ملابس أمي وأخذ مكبر صوت معنا لكي يصير التأثير كاملًا، لكنها سقطت في البحيرة وهي ترتدي فستانًا حريريًّا من طراز فساتين حفلات الشاي. طلبت منا أمي جمع الكرات الضائعة حول ملاعب التنس لبقية الصيف.

فضلتُ السباحة في مرفأ العائلة، بعيدًا عن الجميع، لكن وتني أحبت الشاطئ لتستكشف النزيل الغامض عندما كنا صغارًا، ولتبحث عن أولاد جذابين عندما كبرنا. هذا مكان أمي المفضل، حيث تأتي للاستمتاع بقهوتها ولحظة العُزلة.

عقلي مثل طائر عقعق هائج، يكافح ويريد أن يتخذ قرارًا، على أي شيء لامع سيهبط؟

المنتجع.

ويل.

المنتجع.

إثارة ويل لي.

أنا لست سباحة ماهرة. أحب أن أكون في المياه، رغم أنني غالبًا ما أصير مثل سمكة في حمام السباحة وأنا مستلقية على العوامة. لكنني اليوم أجدِّف للأمام وللخلف حتى يهدأ عقلي.

لففت نفسي بمنشفة عندما تعبت رئتاي وذراعاي مني، جلست على الكرسي الذي أجلس عليه دائمًا، الكرسي الأيسر. شاهدت الأمواج تندفع نحو الصخور وتمسح الشاطئ، وللحظة، شعرت وكأن أمي بجواري، تحمل كوبًا حراريًّا.

كان هذا مكاننا. المكان الوحيد الذي شعرت حقًّا بأنه ملك لي ولها وحدنا. كنا نأتي في الصباح، وتترك أمي هاتفها البلاك بيري في المنزل. في منتصف الصيف، لا يتوافر لديها وقت للمكوث طويلًا، وبمجرد أن تنتهي، تقوم وتغادر مقعدها. لكن في الخريف، نحضر الكعك الإسفنجيّ الذي خبزه بيتر ونبقى هنا حتى يحين وقت احتياجي

للتجهيز من أجل المدرسة. في الربيع، نمشي بتثاقل على الثلوج الذائبة ونتجمع تحت البطانيات.

تتنهد وتقول *أحب المكان هنا، ألسنا محظوظتين؟*

بإمكاني سماع صوتها بوضوح.

أتمنى من كل قلبي أن أستطيع سماعه مرة أخرى. يومياتها هي أقرب شيء لديّ.

من الصعب قراءة اليومية الأخيرة هذه المرة. لم أعتقد أن ذلك ممكن. كانت أمي صغيرة عندما أصبحت حبلى. لطالما عرفت ذلك، لكن قراءة يومياتها وهي أنثى بالغة شيء مختلف تمامًا؛ لأنها الآن *تبدو* صغيرة.

رفرفت فراشة مَلِكة من هنا، ثم هبطت على زهرة سوسن برية بنفسجية نامية على حافة الماء. حتى في فترة تمردي وأنا مراهقة، كانت أمي تجبرني على القدوم إلى هنا معها. أجلس عاقدة ذراعيّ أمام صدري، لا أتكلم، حتى تنتهي من شرب قهوتها، ثم أعود مُثبطة الهِمَّة إلى المنزل.

لا أستطيع تذكُّر آخر مرة جلسنا هنا. لا أعتقد أننا ذهبنا إلى البحيرة معًا في الأشهر الاثني عشر الأخيرة. كلما زادت المسؤولية التي أحملها على عاتقي في مقهى فِلتر، صَعُبَ إيجاد وقت للعودة إلى الوطن أكثر، رغم أنني بقيت مدة أسبوع كامل في عيد الشكر بعد انفصالي عن فيليب. في صباح اليوم الأخير، أخبرت أمي عن قراري بالابتعاد عن الرجال. قلت إنني سأسعد أكثر بمفردي، مثلها.

انحنت لتمسك بيدي، نظرت بعينيها الرماديتين. *أعرف أنك لست مستعدة الآن، يا عزيزتي، ولكن أعتقد أنك في يوم من الأيام ستجدين أن قلبك أكبر من أن يظل لكِ وحدك.* أومأتُ، على الرغم من أنني لم أصدقها. كان الجو باردًا في الخارج، زرقة السماء ساطعة، أوراق الشجر حمراء وذهبية. رفعت أمي ذقنها إلى الشمس، جالسة هناك بعينين مغمضتين، وابتسامة على شفتيها، حتى أخبرتها بالوقت. احتاجت إلى الذهاب إلى المبنى الرئيس. هزت رأسها. *دعينا نبقَ فترة أطول، يا بيا.*

حدقت إلى الكرسي الفارغ بجانبي، وعرفت. قلبي أكبر من أن أتركه يذهب.

الناس يتغيرون. الأحلام تتغير أيضًا.

عندما عدت إلى المنزل، جلست على طرف سريري بملابس السباحة المبتلة، والمنشفة حول خصري. أخذت دفتر اليوميات عن المنضدة ومررت أصابعي فوق كتابة أمي. وددت إخبارها أنني سأبقى. أردت أن أطلب منها النصيحة. رغبت في أن تخبرني بمدى فخرها بي. أردت أمي.

بعدما مسحت دموعي بطرف المنشفة، وقع بصري على اسم على الصفحة، التقطت هاتفي وضغطت زر الاتصال.

«فيرن؟» سمعتُ صوت بيتر العميق في أذني.

«مرحبًا، بيتر. أردت أن أخبرك أولًا. اتخذت قرارًا بشأن المنتجع.»

قال جيمي وهو ينظر في أرجاء غرفة المعيشة. «لم تتغير على الإطلاق، لم أدخل هنا منذ أن كنا نتواعد.» لم أتفاجأ. بقدر ما عاشت

أمي وتنفست بروكبانكس، أبقت على علاقاتها مع الموظفين رسمية. بيتر كان استثناءً.

لطالما اعتقدت أن تحفُّظ والدتي هدفه الخالص هو وضع حدود بين المدير والموظفين. والآن بينما أقرأ مذكراتها من منظور أنثى بالغة، تأكدت أن هذه ليست القصة كاملة.

لكنني لست أمي.

بعدما أنهيت المكالمة مع بيتر، طلبت من جيمي أن يأتي إلى المنزل.

ارتدى ربطة عنق خضراء اللون، طُبِعَ عليها ورد صغير أبيض. هذا أمر لاحظته قبل بضعة أيام فقط، دائمًا ما يرتدي ربطة عنق بدرجات اللون الأخضر الذي يميز بروكبانكس على الأقل. تساءلت كم يقضي من الوقت باحثًا عبر الإنترنت عن ربطات عنق خضراء. تساءلت متى تحول إلى جيمي الذي أصبح عليه الآن، منظم ومرتب.

قد يكون ذلك عندما عاش في بانف. بقي هناك بضع سنوات، يترقى مهنيًّا في أحد المنتجعات قبل أن ينتقل إلى أوتاوا ليدير فندقًا في وسط المدينة بالقرب من مبنى البرلمان الوطني. والدا جيمي هما من قالا لوالدتي كم هو سعيد بقضاء صيفه في بروكبانكس واقترحا عليها أن تتصل به.

وصلت رسالتها النصية بشكل مفاجئ قبل بضع سنوات.

ما زلنا نحب جيمي برينجل، أليس كذلك؟

لم أسمع اسمه منذ سنوات. نحن في الواقع لم نبقَ على اتصال بعد انفصالنا.

نعم، رددت على رسالتها. لم أقُل كثيرًا لأمي عندما انفصلنا، وعرفتُ أن هذه هي وسيلتها الملتفة لتسأل.

أفكر في إعطائه وظيفة المدير.

كتبت: **سيكون رائعًا.**

بصرف النظر عن والدتي، لم يحب أحد المنتجع بقدر ما أحبه جيمي.

أخبرته ذات مرة، في أثناء جلوسنا إلى طاولة المطبخ: «أنا حقًّا أقدر كل الدعم الذي قدمته لي خلال الأسابيع القليلة الماضية.» بدا صوتي جامدًا. لم أعرف لماذا شعرت بالتوتر.

«ما هذا بحق الجحيم يا فيرني؟ هل تطردينني؟»

«ماذا؟ لا.»

تنهد ثم خفض رأسه نحو الطاولة. قال بنبرة مكتومة: «ظننت حقًّا أنك ستفصلينني.»

«لماذا سأفعل ذلك؟»

نظر إليّ بابتسامة مائلة وقال: «لأنك لا تزالين مغرمة بي، ولا يمكنك تحمل أن نكون في الغرفة نفسها دون أن ترغبي في تمزيق ملابسي؟»

«هل أنا واضحة لهذه الدرجة؟»

«سيل لعابك فضحك. فهو يسيل عندما تستثارين.»

ضحكت وقلت: «لقد جئت بك إلى هنا لأخبرك أنني لن أبيع المنتجع. سأبقى مالِكة.»

صفع جيمي الطاولة بيده. قال: «والآن، هذه أخبار عظيمة.»

«لكن ستحدث تغييرات.»

كان جيمي يفهم بعضًا من عمل ويل الاستشاري، لكنني شرحت له مزيدًا عمّا قمنا به. قلت: «أنت تعرف بروكبانكس والنزلاء. أود أن أسمع رأيك.»

«بالطبع، فيرني. سأتشرف بالمساعدة.» *أتشرف. إنه جاد أيضًا.*

«هل ظننت بالفعل أنني سأطردك لأننا كنا نتواعد؟»

نظر إليّ وقال: «قلقت من أنك قد تفعلي ذلك. نحن لدينا تاريخ، وظننت أنك قد ترغبين في بداية جديدة.»

«لدي تاريخ مع كثير من الناس هنا. ستة موظفين على الأقل غيروا لي الحفاضة. واثنان من النزلاء أيضًا. لا يوجد ما يسمى ببداية جديدة عندي.»

«لكن كم عدد الذين نمتِ معهم؟»

جفلت. صورة من ليلة أمس خطرت على بالي. ويل. شفتاه المنتفختان تقبلان صدري، ناظرًا إليّ بعينين مظلمتين.

«انتظري لحظة، نمتِ مع مَن أيضًا يا فيرني؟»

قلت ووجنتاي تحترقان: «لا أحد. لا يمكننا التحدث عن علاقاتنا الجنسية إذا كنا سنعمل معًا.»

أظهر لي ابتسامة وقال: «حسنًا. لكننا سنضطر لذلك إن نمنا معًا.»

ركلته من تحت الطاولة.

بعد ساعتين، انطويت على الأريكة بينما دندن جيمي أغنية «Ironic» وطريقة أدائه في غاية الدهشة. صمم أن نحتفل، أصر على أننا بحاجة إلى فعل ذلك بينما نشرب مشروبًا جيدًا، كما أصر أنه

سيدفع ثمنه. اتصل بالبهو ليرسلوا إلينا زجاجة من «أجود أرخص أنواع النبيذ الفوار لدينا».

صفقت عندما انتهى وصرخت: «أداؤك لأغنية ألانيس لا يصدق.»

«أعلم ذلك.» ارتمى على الأريكة واضعًا قدميه المحشورتين في جوربين بجواري وارتشف من كأس الجعة. لم تدم الفقاعات الفوارة طويلًا.

تنهدت: «لا أصدق أنهم سيسمحون لنا بإدارة هذا المكان.»

ركل ويل ساقي بقدمه وقال: «سعيد أنك عدت. اشتقت إليكِ.»

«أنا أيضًا اشتقت إليك.» قلتها لأنها حقيقة. لقد فقدت صديقًا مقربًا عندما خسرت جيمي.

«حسنًا، فيرني. الميكروفون معك.»

«ماذا تعني بالميكروفون معي؟»

«المسرح لك.»

«لا، آسفة. أنت تعرف أنني لا أشارك في غناء الكاريوكي.» إظهار صوتي البشع علنًا يحتل مكانًا مهينًا في قائمة الأشياء المحرجة التي لا أشارك فيها. وأيضًا: سترات العطلات المبتذلة، وألعاب حفلات العزباوات، ومظلل العيون اللامع. لكن جيمي ظل يحفزني حتى استسلمت.

كنت قد اقتربت من نهاية أغنية «Insensitive» (أمي معجبة كبيرة بجان آردِن) عندما استدار جيمي نحو الباب، الذي وقف

أمامه ويل. ارتدى زيّ ويل باكستر الكامل: سترة، وربطة عنق، وشعر مصفف للخلف، وتعبير لا يمكن قراءته.

قال: «كنت آمل ألا تلاحظينني. من فضلك، استمري.»

هززت رأسي شاعرة بالخزي وقلت: «كيف كان اجتماعك؟»

«جيد. استمر مدة طويلة.» نظر ويل إلى جيمي وإلى زجاجة نبيذ الكاڤا الفارغة على الطاولة، وأردف: «وصلت هنا بأسرع ما يمكنني.»

قال جيمي وهو ينهض للوقوف: «كنت وفيرني نحتفل بأخبارها الجيدة.»

جفل ويل عندما سمع كلمة فيرني، ومسح على ربطة عنقه وقال: «وما هذه الأخبار؟»

قلت له: «قررت البقاء.»

ألقى ويل نظرة سريعة على جيمي ثم عاد ونظر إليّ. قال بصوت مبحوح: «تهانينا. أعتذر أنني قاطعت أجواء الاحتفال.»

قلت: «لم تقاطعنا.»

قال جيمي: «بالتأكيد قاطعتنا، لكنني على وشك المغادرة. وصليني إلى الخارج، فيرني؟»

ضيَّق ويل عينيه، وغمز جيمي إليه.

همس جيمي بمجرد وصولنا إلى الباب الأمامي: «هذا الشاب؟»

قلت بصوت أشبه بالفحيح: «لا أستطيع تصديق أنك حاولت مضايقته بهذه الطريقة.»

«بالله عليكِ. لديّ مجال لإزعاجه. أربع سنوات قضيناها معًا يعطوني هذا الحق. أليس كذلك؟»

«أنت لم تعُد...» بدأت في الحديث مضيقة عينيّ.

جذب جيمي خصلة من شعري وأكمل: «لديّ مشاعر تجاهك؟ سأظل أحبك دائمًا، فيرني. لكن لا تقلقي. يمكنني أن أتعامل برسمية في العمل.»

أنا أيضًا سأظل أحب جيمي. «لا أريد أن يكون الأمر مريبًا بيننا. أريد أن نصبح صديقين.»

قال: «وأنا مثلك. وبصفتي صديقًا، لم يعجبني هذا الشاب من أجلك. إنه متشدد جدًّا، جاد لأقصى درجة، وهناك شيء مريب فيه. يبدو وكأنه يخفي شيئًا. ماذا ترين فيه؟ هل يعزف آلة موسيقية؟»

«مع السلامة، جيمي.»

قبّل خدي وقال: «وهو أيضًا فارع الطول.»

عندما عدت إلى غرفة المعيشة، وجدت ويل جالسًا على الأريكة، يداه بين ركبتيه، محدقًا إلى الأرضيّة. قلت بينما أجلس بجواره: «تبدو كئيبًا بعض الشيء. ما الذي يحدث؟»

«كنت أفكر في مدى كرهي لذاك الشاب رغم أنني لم أقابله من قبل.»

«حقًّا؟ إذا تكلمنا بأمانة، لم أكن في غاية الإعجاب بحبيبتك أيضًا.»

لوى ويل شفته وقال: «واضح. لستِ الشخص الحاذق الوحيد، فيرن بروكبانكس.» جفلت.

جذبني ويل حتى صرت جالسة على حجره، ساقاي حول ساقيه. مرر يده تحت تنورة فستاني، يملس بها على ساقي. أغمضت عيني وغرست أصابعي في شعره، تنهدت. لفترة طويلة، كان ويل هو رجل الـ «ماذا لو» عندي. ماذا لو أن كلينا أعزب عندما التقينا؟

قبَّل خلف أذني، مزيحًا ملابسي الداخلية جانبًا. «كنت أعتقد أنك ألطف فتاة قابلتها. وفكرتُ في الانفصال عن حبيبتي. أرسل إليها رسالة.»

«ماذا؟» جحظت عيناي، لكنه لم يتوقف عما يفعله.

«لكن بعد ذلك، اكتشفت ما بينك وبين جيمي.» حدجني ويل باهتمام شديد، ثم زاد من استثارتي.

«يا إلهي.»

قال: «ما زلت أكره ذاك الشاب. أكره أنكِ أخبرته بقرارك عن المنتجع قبلي.»

أصابع ويل صعَّبت عليّ الكلام. لكن بعد بضع ثوانٍ، استجمعت نفسي لأسأل: «أنت غيور؟»

ضغط بأسنانه على رقبتي وقال: «غيور باستماتة.»

لا ينبغي أن يسعدني ذلك، لكن هذا ما حدث. وقفت فقط لأخلع سروالي الداخلي، ثم مددت يدي لأفتح زر بنطال ويل. أخرج واقيًا ذكريًّا من جيبه، وعندما جلستُ، توقفنا عن الحركة.

غمغمت وأنا أحس أنني ملتحمة به. أوقفني عن فعل أي شيء، وقرَّب شفتيه من أذني.

لفظ الكلام بصعوبة عندما قال: «تريدين أن تعرفي شيئًا آخر؟»

أومأت موافقة. هجرتني القدرة على الكلام.

همس: «لم أحتج إلى مساعدتك في طلاء الجدارية بالورنيش.»

عاد إبهامه ليزيد استثارتي. «لأنهيتها أسرع لو فعلتها بمفردي. لاستغرقتُ نصف ذاك الوقت لإنهائها، لكني أردت أن أقضي وقتًا معك.»

غمغمت مرة أخرى لأنني فقدت كل الكلمات من قاموسي.

«وفكرت طويلًا وبجدية فيما تحتفظين به في درج المنضدة بجوار سريرك.»

كنت في غاية التركيز على الرغبة المشتعلة بين ساقيّ والجوع في عيني ويل، لدرجة بددت أي شعور بالحرج لديّ.

كان هذا سريعًا، وتقريبًا محمومًا. راقب ويل وجهي طوال الوقت.

لا بد أنه قادر على ملاحظة مدى إعجابي بالأشياء التي يلفظها، لأنني عندما اقتربت من الانتهاء، وضع شفتيه بجوار أذني وأمرني أن أصل إلى الذروة، وهذا ما حدث.

ميَّلت جبيني على جبينه، ملتقطة أنفاسي. رغبت في الاستلقاء على السرير وإعادة تشغيل يومي مع ويل بعد معرفتي بأنه غيور. ثم رغبت في النوم.

ربما يكون إخباري لوتني أنني سأبقى هي التجربة الأكثر مجازاة في حياتي وأنا بالغة. توسلت إليّ أن أُحضِر ويل إلى العشاء في منزلهما في هَنتسفيل. كانت قد وضعت أوين توًّا في كرسي الأطفال النطاط المعلق بين غرفة المعيشة والمطبخ عندما قلت لها الخبر. صرخت وذرفت الدموع وضمتني بقوة.

نظرت إلى ويل من فوق كتفها، حركت شفتي بلا صوت *عجبًا* كان هو وكام يضحكان، والكرسي النطاط يُحدث صريرًا عندما يقفز أوين. قالت وتني: «كل ما في الأمر أنني في غاية السعادة.» كان ذلك صاخبًا وجميلًا وأعتقد أن هذا ما يطلقون عليه *حياة جيدة*.

حضَّر كام معكرونة سباجيتي باللحم المفروم، وعندما انزعج أوين، حمله ويل وتجول به في الطابق الرئيس للمنزل، وغنى في أذنه. ارتدى بنطالًا من الچينز وقميصًا أبيض، أكمامه مطوية فوق ساعديه، وكل من وتني وكام ينظران إليه بحب كأنه هدية من آلهة مُرَبِّي الأطفال. عند نقطة ما، طلبت وتني منه الانتقال للعيش معهم.

في أثناء العشاء، شرعت وتني تحكي كيف صرنا صديقتين. أضاف كام: «ما زال أثر ضربة فيرن لي موجودًا.» قرص ويل فخذي من تحت الطاولة وابتسم لي سرًّا. لقد سمع هذه القصة من قبل.

عندما ذهب الطفل إلى سريره، أخذتني وتني إلى المطبخ بذريعة مساعدتها في تقديم الحلوى.

أرادت أن تعرف ما حدث بيني وبين ويل، أخبرتها بالحقيقة. ليس لدي أي فكرة. كل ما أعرفه هو أنّه قرر البقاء حتّى اليوم الذي يلي الحفل الراقص. طلبنا العشاء من المطعم بعدما انتهينا من الملاطفة السريعة على الأريكة أمس، ثم قضى الليل في سريري. فكرت أن أطلب منه المغادرة قبل أن نغفو، لكنني لم أتمكن من لفظ الكلمات. أردته أن يبقى.

باستثناء استفسار وتني المطول عن نظام ويل في المحافظة على صحة الفم، مضى المساء كله بلا أي مواقف محرجة أو حمقاء.

لكن نغمة الجرس رنَّت على هاتف ويل.

حاولت وتني إقناعنا بتناول مشروب آخر والنوم في غرفة الضيوف لديهما بدلًا من قيادتي مسافة عشرين دقيقة عائدة إلى المنتجع، لكن بمجرد أن سمع ويل رنين الهاتف، اعتذر وتوجه إلى المطبخ.

ابتعد لفترة طويلة لدرجة جعلت كام ووتني ينظر أحدهما إلى الآخر في تساؤل.

قلت: «سأذهب لأطمئن إن كان كل شيء على ما يرام.»

عندما دخلت المطبخ، التفت ويل حاملًا هاتفه. رقبته حمراء وبدا كأنه على وشك إصدار تحذير صارم. «يجب أن أذهب.» قالها للشخص الآخر على الخط.

عندما أنهى المكالمة سألته: «أنت بخير؟»

جفل ويل مرتين. «هل تمانعين إذا ذهبنا من هنا؟»

أخبرته أنني لا أمانع، لكن معدتي تقلصت. ودّعنا وتني وكام. شكرهما ويل على الدعوة والطعام، لكنه كان متوترًا ومشتتًا. ابتسامته لم تصل إلى عينيه.

حركت وتني شفتيها بلا صوت عندما لم يكن ويل يراها؛ *ما الذي يحدث؟* فهززت رأسي.

القيادة للعودة إلى المنتجع هادئة باستثناء صوت موسيقى الكانتري المتقطعة على الراديو. صرت أبعد نظري عن الطريق وألقي نظرات سريعة على ويل، لكنه ينظر خارج نافذته ويلف خاتمه.

عندما أدخلت سيارتي الكاديلاك إلى موقف سيارات بروكبانكس قلت: «هل حدث شيء؟»

ازداد عبوس ويل وقال: «أمور عائلية.»

انكشفت الأحجية. نغمة الجرس كانت لأخته أنابيل. «هذه أختك التي كنت تتحدث معها؟»

لم يجب ويل.

فكرت في تجاهل الموضوع. الحديث عن حياته العائلية لا يمت بصلة للإجازة من الواقع التي يسعى إليها بوضوح. لكنني مددت يدي عبر لوحة القيادة ووضعتها على ركبته. «ماذا يحدث؟»

قال ويل بعد لحظة: «بدأت أنابيل في البحث عن شقة خاصة، لها ولصوفيا. تريد الانتقال من البيت.»

قلت في تردد: «آه، وهذا شيء سيئ؟»

«إنه...» شخَصَ ببصره خارج النافذة ثم عاد ونظر إليّ. قال: «إنه شيء لا أريد أن أزعجك به.»

قلت مُحاولة: «لن يكون إزعاجًا. ليس لدي مانع.»

قال: «أنا لدي مانع. دعينا نبقيها بعيدًا عمّا بيننا، حسنًا؟»

طلبت من ويل البقاء في البيت، لكنه قال إنه لا يستطيع البقاء الليلة. أراد أن يعاود الاتصال بأنابيل.

ألقيت بنفسي على السرير وتقلَّبتُ حتى غفوت. لكني استيقظت لاهثة من حلم لا أتذكره. الساعة 2:08 صباحًا. سحبت كرسي المكتب الصغير إلى نافذة غرفتي وحدقت إلى المربع الذهبي للضوء القادم من كوخ ويل. وجدته إحساسًا مريحًا، أن أعرف أنه هناك.

لكنني أردته هنا، في سريري. أردته أن يتحدث معي. خفت من مدى رغباتي فيما يتعلق بويل.

18

15 يونيو، قبل عشر سنوات

انكببتُ في دفتر رسم ويل، أنفي كاد يلتصق بالصفحة، أحدق إلى الرسم. لا بد أن الوقت تخطى منتصف الليل بكثير. وقف ويل بجانبي، متمددًا.

تهربت من لفت النظر لسنوات. كنت أجلس في الصف الخلفي في قاعات المحاضرات. أذهب إلى الحفلات، لكن ليس بشكل مبالغ فيه. لدي عدد قليل فقط من الأصدقاء المقربين. انتظرت حتى بعد انتهاء العام الدراسي كي أُحدِث تغييرًا جذريًّا في شعري. واعدتُ شخصًا جعجعته تجعلني أتلاشى في الخلفية.

لم أرغب في أن يلاحظني أحد.

كنت أشك في أعماقي أن شيئًا خطأ بداخلي، وأنني اكتشفت في السابعة عشر من عمري أن هناك نواة تالفة فيّ. شعرتُ بالقلق إن نظر إليَّ شخص ما باهتمام بالغ، فيرى هذا الجزء هو أيضًا. غطيت أخطائي بمثابرة بدروس الاقتصاد والدرجات الجيدة وأوقات العمل ومقهى تو شوجارز ومكالمات يوم الأحد الهاتفية مع أمي. لم أتأخر على أي منها قط. بصرف النّظر عن السيجارة التي أدخنها في المناسبات، فقد كنت صورة تجسيدية للمسؤولية. وعندما أشعر بالقلق تجاه مستقبلي

كالعرق البارد المنزلق على عنقي، أضع سماعات الأذن وأخرج للتنزه مشيًا. وأختفي في عروق المدينة.

ولكن لسبب غامض، سمحت لويل بالجلوس أمامي والتدقيق فيّ. سمحت له بأن يرى.

ونعم، أحببت كيف جعلني أبدو؛ الانحناءة الغامضة لشفتي وتقوس عنقي. لكن الأمر أكبر من ذلك. لا شك في أن الشخصية التي رآها ويل جميلة؛ لم يجد النواة التالفة.

سألته: «هل يمكنني الاحتفاظ بها؟»

أجابتني ابتسامة صغيرة منه أولًا: «كلها لك.»

راقبته وهو يمدد جسده بضع لحظات أخرى. قلت: «طريقتك في الحركة» حاولت وصفها. «أنت أنيق نوعًا ما؟ وطريقة جلوسك.. إنها جيدة جدًّا.»

فتح ويل عينيه قائلًا: «طريقة جلوسي ممتازة.»

ابتسم متفاخرًا، ثم جلس على الكرسي، نفش شعره المبلل بذهن شارد، حتى تبعثر في جميع الاتجاهات الفاتنة. ابتسم وقال: «جدتي تهتم بوضعية الجلوس. وكذلك بطريقة تناول الطعام، وغسل اليدين، والمشي على الجانب الخارجي من الرصيف عند مرافقة سيدة شابة.»

ضحكت: «آه. ها هي الأمور تتكشف. هل قضيت وقتًا طويلًا مع جدتك في صغرك؟»

أومأ وفرك ذقنه حيث البقعة التي عليها ندبته. بدا مترددًا قبل أن يتحدث مرة أخرى: «عشت معها أنا وأختي بضعة أشهر بعدما رحلت أمي.»

خمنت: «كان والدك يمر بوقت صعب؟»

«كنا جميعًا كذلك. لكن..» بحثت عيناه في وجهي ثم أردف: «أعتقد أنني أكثر من عانى.»

جفلت وقلت: «أنت؟» بدا ويل متماسكًا للغاية.

«أنا.»

فكرت في التعليق الذي قاله إيلي في المشرب، عن ويل ذي المشاعر الجياشة. ثم استطعت رؤية الأمر بوضوح. قلت: «كنت غاضبًا منها.»

عرفتُ كل شيء عن الإحساس بالغضب تجاه أحد الوالدين.

شَخَصَ ويل ببصره بعيدًا للحظة طويلة، ثم قال: «تميزتُ غيظًا.»

شعرت بدقات قلبي تتسابق، كأنها تحاول اختراق أضلعي والوصول إلى قلبه. كل دقة تقول: *أنا أعرفك. أنت مثلي* أردت أن أقفز من السرير وألقي بذراعي حول عنقه. «ماذا فعلت؟»

«خضت كثيرًا من المشاحنات. كان أمرًا غبيًا، لكنه الشيء الوحيد الذي يمكن أن يهدئ عقلي.»

حدقت إلى الندبة على ذقنه. سألته: «هل هذا سبب الندبة؟»

أومأ وقال: «تعرضت للهجوم من بعض الأطفال الأكبر مني سنًّا في طريقي للعودة من المدرسة، بعدما ضايقت أحدهم بالكلام أكثر من مرة. لم آخذ سوى غرزتين، لكن ذلك كافٍ ليجعل جدتي تتدخّل على الفور. أظن أن والدي لم يعرف كيف يتعامل مع الأمر. عشت وأنابيل مع جدتي حتى نهاية العام الدراسي، وخلال الصيف. تلقيت

كثيرًا من المحاضرات عن المسؤولية واختيار أي نوع من الأشخاص أريد أن أكون.»

«وهل نجح ذلك؟» لم تكن أي من كلمات أمي كافية لوقف أعمالي الطائشة في سن المراهقة.

«لم أعرف بالضبط مَن أردت أن أكون، لكنني عرفتُ مَن لا أريد أن أكونه.»

«ومَن كان ذلك؟»

لف ويل الخاتم في إصبعه. سمعته بصعوبة عندما قال: «أمي.»

رددت مدهوشة: «والدتك؟ من أي ناحية؟»

«من كل النواحي. أنانية. منتقدة...»

قاطعته قبل أن يواصل كلامه: «أنت لست كذلك.»

قال: «يمكنني أن أكون كذلك. نحن متشابهان كثيرًا. غادرت مثلها. أشبهها. أفكر بطريقتها.»

فكرت في مدى هدوء ويل وهو يتحدث مع أخته منذ قليل اليوم. كيف بدا أنه يعرف متى يطرح الأسئلة ومتى يظل ساكتًا. كيف تركني أنهار في المعرض الفني ثم رفع معنوياتي بعدها. «في رأيي الذي ربما لا قيمة له، لا أظن أنك تفعل أي من تلك الأشياء.»

تبادلنا النظرات. شعرت بالهواء ثقيلًا. قال بصوت خفيض: «بل أنت ذو قيمة كبيرة.»

انتقلت إلى حافة السرير واقتربت منه، ثم ضغطت برفق إصبعي السبابة على ندبته.

«الطريقة التي رسمتني بها... كأنك رأيت شيئًا لستُ متأكدة من وجوده. لا أعتقد أن شخصًا أنانيًا يمكنه أن يلتقط صورة كهذه، أو يستطيع أن يرى الآخرين بالطريقة التي تراهم بها أنت.»

خفّض ويل بصره إلى وجهي، ثم مدّ يده ولمس بإصبعه ذقني، تمامًا مثلما فعلتُ وميَّلت رأسه قليلًا.

«ماذا؟»

رفع يده وقال: «لا شيء. هذا ليس مكاني.»

«ماذا تعني بلا شيء؟ ماذا تقصد بأنَّ هذا ليس مكانك؟» شعرت أنني شرسة. أيًّا كان هذا، أردت أن أكون مكان ويل الخاص.

دلَّك راحتي يديه وقال: «أعتقد فقط.. أنتِ لا ترغبين في العودة إلى الوطن والعمل في المنتجع، إذًا لا تفعلي ذلك. أنت تريدين البقاء هنا. يجب أن تبقي.»

مررت أظفاري على باطن معصمي. قلت: «الجميع يتوقعون مني العودة. ستقتلني أمي. في بعض الأحيان تقول حرفيًّا مثل هذا الكلام، يوم تصبحين مديرة المنتجع ستكون هذه اللحظة التي أفتخر بها في حياتي. لا أستطيع أن أفعل ذلك بها.»

ضمت يد ويل يدي، أوقفتني عن خدش نفسي. نظرت إلى أصابعه.

حدقنا إلى الجروح الحمراء على باطن معصمي. قال: «لست حقًّا من النوع الذي يعيش بناء على رغبات الآخرين.»

عضضت فمي من الداخل.

«هل فاتني شيء؟»

أومأت ببطء.

انحنى لينظر في عيني. قال: «هل تريدين أن تخبريني عن ذلك؟»

نظرت إلى ويل وأومأت مرة أخرى. أردت لويل أن يعرفني.

أردت إخباره بكل شيء.

13 أغسطس، 1990

رحل إريك. ترك ملاحظة على سريره. تحتوي على أربع عشرة كلمة فقط. عددتهم. «ماجي، أنا آسف، لكن لا يمكنني أن أكون أبًا. أتمنى لك كل سعادة العالم.» حتى إنه لم يوقعها. عرفتُ أن خبر الحمل صدمه. وأعرف أنه فوجئ لأنني أردت الاحتفاظ بالطفل. لكنني اعتقدت أنه سيكون معي في هذا. ظننت أنه يحبني. كيف يمكنني أن أكون أمًّا إن لم أستطع حتى اختيار حبيب؟ بيتر مُحق بشأنه. لقد مضى أكثر من شهر منذ تحدثنا أنا وبيتر آخر مرة، اشتقت إليه. أحتاج إليه. سيعرف بالضبط ما يجب أن أقوله لأمي وأبي. لم أكن أعتقد أن خلافنا سيستمر إلى هذا الوقت الطويل.

19

الآن

ظهر ويل بحقيبة بقالة في صباح اليوم الذي تلى العشاء في منزل وتني وكام. شعره مبتل، ما زلت مرتدية منامتي التي كُتِب عليها «**مدمن قهوة**».

بمجرد أن سمحت له بالدخول قال: «لم يكن لدي فرصة لأحضّر لكِ الإفطار. أستطيع تحضير بيض أومليت ممتاز.»

«واثقة بأنه كذلك.»

وضع الحقيبة على طاولة المطبخ وسألني إن كان لدي مئزر، بحثت عن مئزر أمي الذي رُسِم عليه تفاح أحمر. متأكدة أنه لن يرتديه. لكن ويل ربطه حول خصره وقبّل خدي، سُحِرتُ، مددت يدي حول ظهره وفككت رباط المئزر.

ابتسم لي ويل مستفهمًا، سحبت قميصي من فوق رأسي فبانَت نواياي بوضوح مثلما ظهر أنني لم أرتدِ سوى ملابسي الداخلية.

دفعني إلى الوراء حتى طاولة المطبخ ورفعني عليها، مُباعدًا بين ركبتيّ، واقفًا بينهما.

قال لي: «استلقي.» ضم عنقي ليُجلسني برفق بينما أستلقي. سحب ملابسي الداخلية لأسفل ساقي، ثم وضع شفتيه على سُرَّتي

ولثمها. رسم مسارًا رطبًا على عظم خصري، وعندما وضعت أصابعي في شعره، ركع. توقف ويل عن تقبيلي ليخبرني أنه اشتاق إليّ الليلة الماضية، ولم أصمد سوى لبضع ثوانٍ بعد ذلك.

وأنا أستحم، أعد ويل بيض الأومليت مع السبانخ والبصل المكرمل، قضينا معظم اليوم في السرير حتى حان وقت الاستعداد لتناول الكوكتيل مع آل روز. بقينا معهما فترة كافية لنظهر مهذبين، ثم سارعنا في العودة. استدرت للتوجه نحو الطريق المؤدي إلى المنزل، لكن ويل سحب ذراعي، وقادني إلى كوخه.

لثم شحمة أذني وقال: «اقتربي أكثر.»

إنه أفضل يوم أحد قضيته في حياتي، غفوت والابتسامة على شفتي. لكن في اليوم التالي، بدأ أسبوع من الجحيم.

بعد انتهاء خدمة الغداء يوم الاثنين، جمعت كل من في غرفة الطعام لأعلن قراري بالبقاء بصفتي مالِكة. أبقيت يديّ مشدودتين خلف ظهري حتى لا يرى أحد كيف تهتزان بشدة. سألني أحد العاملين في خدمة الغرف عن مؤهلاتي لإدارة بروكبانكس بخلاف اسم عائلتي. اتسعت عيناي من جرأته في اختيار كلماته، لكنني تمكنت أن أعرف من طريقة انحناء الناس للأمام وهم جالسون على كراسيهم، أنهم يتساءلون عن الشيء نفسه.

قلت شيئًا عن درجتي العلمية، خبرتي في مجال الضيافة، وكيف ساهمت في الإشراف على توسع مقهى فلتر، لكنني لم أستطع سماع صوتي بسبب الدم الذي اندفع في أذني.

ثم بدأت مكيفات الهواء تتعطل. بإمكان فريق الصيانة إصلاح معظمها، لكن إحدى العائلات قررت المغادرة مبكرًا لأننا لن نستطيع الحصول على وحدة جديدة في كوخهم مبكرًا بما فيه الكفاية. تقييم مؤذٍ بنجمة واحدة ظهر عبر الإنترنت، انتقدنا بسبب مشكلات التكييف، وصف إدارة المنتجع بأنها «غير كفء» ووصف الأكواخ بأنها «قديمة.» قالوا: «حتى لو دفعت لي المال، فلن أبقى هناك ليلة أخرى.»

في المساء التالي، أرسل إليَّ جيمي رابطًا لمقال صحفي بعنوان «تجديد فندقي في تورونتو لنُزُل على جانب الطريق.» حول تجديد واحد من النزل المهمَلة في منطقة موسكوكا. وفقًا للمقال، سيتحول نزل «ذا ديزي» إلى «ساحة ملاعب على الطراز القديم لأهل المدينة الباحثين عن جانب أكثر روعة لبلد الكوخ.» ستتمتع الغرف بجميع وسائل الراحة الحديثة وديكور يعكس روح السبعينيات بفضل مصمم ديكور داخلي صاعد. سيكون هناك مسبح مزود بمياه مالحة، ونُدُل يوصلون لفائف الإستاكوزا بأحذيتهم ذات العجلات، وركزوا على أنه سيوجد «نبيذ غير تقليدي ونادر.» إنها منافسة قوية، مكان جديد ولامع، معتمَد من محبي الموضة، سيجعل معركتنا للتميز أكثر صعوبة.

اعتقدت أن الأمور تتحسن يوم الخميس عندما بدأ ويل في شرح إستراتيجيته الشاملة. اتصل بأربعة من زملائه في باكستر، وشرح لي ولجيمي خطة تستمر ثلاث سنوات وحملة تسويق، حتى معاد إعادة الافتتاح الكبير في مايو المقبل. هناك عرض مبهر ومخططات وهيكل تنظيمي جديد للموظفين، لا يتضمن أن يرسل كل مدير تقريره إليَّ.

خرجت من الاجتماع واثقة ومتحمسة، ولكن سرعان ما حاصرتني مسؤولة الحجز، قدمت لي استقالتها. ستدير نُزُل ذا ديزي.

الأمر لا يتعلق بكون الجو حارًّا، بل الهواء ساكن لدرجة تمكنك من رؤية قاع البحيرة بوضوح. إنه نوع من الحرارة الضبابية في شهر أغسطس التي تدفع الناس للدخول إلى المنازل في وقت مبكر بعد الظهيرة، والرطوبة ستتجمع في كل ثنية منك إذا تجرأت على الخروج من الباب. نوع من الحرارة يجعلك تقول بعد كل ثلاث جمل: «*الجو شديد الحرارة.*»

ذهبت وويل للسباحة عند مرفأ العائلة في المساء لنبرد عن أنفسنا. البحيرة تشبه الحساء والحشرات الميتة تناثرت على سطحها المستوي، لكن الحرارة شديدة لدرجة لا يهمنا معها إن كنا نستلقي في قبر مائي. طفونا، فاردين أذرعنا وأرجلنا، نجمتان طفتا عبر سماء سائلة. أما على اليابسة، فكان ويل يطبخ العشاء، وأنا أتظاهر بأنني لا أحب لعبة العائلة التي نلعبها. تظاهرت بأنه لا يزعجني أنه يعتذر عندما ترن نغمة الجرس في هاتفه.

كنت أفكر فيما قاله جيمي -عن أن ويل يخفي شيئًا- وأتظاهر بأنني لا أعتقد أنه محق.

«هل تناولت الطعام اليوم؟»

رفعت رأسي من بين كومة صغيرة من نماذج تقديم للعمل على مكتبي لأرى بيتر واقفًا عند باب المكتب.

قلت له: «الإفطار.»

عندما هبطت الدرج هذا الصباح، أنهى ويل إعداد القهوة. عصير الجريب فروت على الطاولة. الخبز في المحمصة. رأيت لمحات صغيرة مما أتصوره عن حياته في البيت. فهو لا يتحدث عن حياته المنزلية.

قال آمرًا: «اجلسي خمس دقائق.» وضع أمامي صحنًا من البيض المخفوق، والطماطم، والأفوكادو، والخبز. هذا قبل سبع ساعات.

قال بيتر: «أحتاج إلى ذَوّاقة.» وأشار إليَّ بحركة من رأسه أن أتزحزح من مقعدي. كل ما يفعله بيتر قليل. نادرًا ما يتحدث. يتحرك في صمت. لا يغضب. شفتاه نادرًا ما تنحرفا عن خطهما المستقيم. كل ما يملكه من تبذير يصبه في عمله. كعك الليمون واللافندر، وكعك زيت الزيتون بالفستق والبرتقال مع رشة هيل هندي، وفطيرة البقان بالكراميل المملح.

حدقت إلى نماذج التقديم على وظيفة مدير الحجز، التي نادرًا ما تصل إلينا، ومعظم المرشحين غير المؤهلين بتاتًا. سائق شاحنة يتطلع لتغيير مهنته. مدرب بيلاتس وقارئ بطاقات تاروت.

قال: «هيا، كل شيء سيكون هناك عندما تنتهي.» وأضاف بصوت خافت: «تمامًا مثل ماجي».

قلت: «سمعت ذلك.» نهضت عن الكرسي دافعة إياه وألقيت على بيتر أفضل نظرة قاتلة لدي، رغم أنني سعيدة بيني وبين نفسي.

وعندما تبعته إلى أسفل عند البهو المفروش، ومن خلال الأبواب الهزازة، وحتى ممرات الموظفين في المبنى الرئيس، انتابني شعورٌ مفاجئٌ بالإحباط. مسكت بذراع بيتر ليتوقف عن المشي.

«أنت لن تستقيل، أليس كذلك؟»

قال: «بالطبع لا.»

وضعت يدي على صدري وزفرت بعينين مغمضتين.

عندما فتحتهما، اعتقدت أن زوايتي فم بيتر قد تقوستا قليلًا، لكن من الصعب التأكد من ذلك بسبب لحيته.

«قلت لوالدتك ذات مرة إنها ستضطر أن تجرّني من هنا لو أرادت أن تتخلص مني. وها أنا أقول لك الكلام نفسه الآن.» انتظر حتى تأكد أنني استوعبت ما قاله، ثم استمر في السير نحو مطبخ الحلويات.

وصلت إلينا رائحة خبز الساوردو قبل أن ندخل مكان بيتر الفولاذي المقدس. إنها ليست رائحة الخميرة. أعرف تلك الرائحة جيدًا، حتى أنه بإمكاني الشعور بتفاصيلها الفيزيائية. في الداخل، أرغفة الخبز المكورة والمستطيلة والخبز المحلى، والخبز المعقود المغموس بالزيت مفروشين على سطح طاولة المطبخ. رأيت المطبخ هكذا من قبل، عندما كان بيتر يطوّر قائمة حلويات جديدة، أو خلال إحدى فتراته التجريبية. الكاسترد المجمد كان المفضل لديّ. ولكنه دائمًا ما يجري تجاربه على الحلويات.

قال: «حان وقت التغيير، أعتقد.» أخذ قطعة صغيرة من رغيف ملفوف مقسم إلى أربعة أجزاء وناولني إياه.

«لماذا؟»

أخذ قطعة لنفسه ووضعها في فمه، مضغها قبل أن يجيب.

«اختارت ماجي خبز الساوردو. ظننت أنك سترغبين في شيء مميز لك. شيء يتناسب مع رؤيتك.» لم ينطق كلمة *رؤيتك* وكأنها بين علامتي تنصيص. يعرف بيتر أنني أرغب في جعل غرفة الطعام والطعام أقل رسمية. التخلص من المفروشات البيضاء. تقليص قائمة الطعام.

شعرت بضيق في حنجرتي وأنا أقول: «أحب خبز الساوردو.»

قال في هدوء: «أنا أيضًا أحبه.»

أشار بيتر إلى قطعة الخبز التي أحملها، فقذفت بها داخل فمي. دافئة وناعمة ومُزبَّدة بطريقة مدهشة لشيء يبدو عاديًا جدًّا.

قلت: «عجبًا.» لكن بيتر لم يُبدِ رد فعل. ناولني شريحة من رغيف خبز الزيتون. مضغنا معًا في صمت، دون موسيقى تحسن المزاج، قطعة خبز تلو الأخرى، متجنبين التواصل البصري. شعرت مع كل لقمة وكأنني أقول وداعًا. مسحت دمعة بظهر يدي، وتظاهر بيتر أنه لم يلحظ.

قلت عندما انتهينا: «إنها قطعة الخبز.»

قال بيتر: «كنت أظن ذلك أيضًا. مع زبدة مخفوقة.»

قلت عندما انتهيت: «إنها العجينة.»

قال بيتر: «كنت أظن ذلك أيضًا. مع زبدة مخفوقة.»

تنهدت: «لا أصدق أننا سنفقد خبز الساوردو.»

«سأعدّه لك في أي وقت تريدين. الساوردو هي طفلي الوحيد. لن أتخلى عنها.» تجمدت يده بعدما قطعت نصف الطريق إلى فمه. قال: «آسف. لم أقصد...»

استغرقتُ لحظة حتى أدركت لماذا يعتذر. قلت: «لا بأس، بيتر. لقد تعايشت مع كل هذا منذ فترة طويلة.» ثم أضفت بعد دقيقة: «كنت أقرأ يوميات أمي. أعرف أنك عرفته. أقصد إريك.»

توجه إلى الثلاجة وأخذ قطعة من جبن الشيدر وبعضًا من بقايا لحم الخنزير المطبوخ. قطّعهم إلى شرائح، دهن قطعة من الزبدة على عجينة الخبز، ووضع كل هذا على طبق ودفعه أمامي.

قال بيتر: «لم أعرفه جيدًا، ولم يعجبني ما عرفته عنه. كان رجلًا ذا مظهر جيد. ساحر وجذاب. يعتدّ كثيرًا بنفسه. اعتقدت أنني ربما كنت أشعر بالغيرة.»

توقفت عن المضغ.

سألني: «هل تفكرين في البحث عنه مرة أخرى؟» هززت رأسي نافية. قلت: «هذا الأمر قد انتهى».

أومأ، ثم قال بعد برهة: «قالت أمك إنها أحبتك حبًّا يعوِّضك عن عشرة آباء».

«هذا الكلام يشبهها.» فكرت في مدى الوقت الذي قضيته مع بيتر هنا، أراقبه وهو يعمل. قلت: «لكن أنت موجود من أجلي أيضًا.»

«لن أكون مثل والدك الحقيقي بالضبط.»

قلت: «أفضل. أفضل بكثير.»

لم يتكلم أحد منا لمدة دقيقة، وهدوء المطبخ أكثر صخبًا من أي موسيقى لبيتر. «هل أنت بخير؟ أعرف أنك لا بد افتقدتها.»

راقبني بجنب عينه وقال: «ماجي كانت صديقتي المقربة. اشتقت إليها بجنون.»

«هل سبق أن...» سكتت، ثم تابعت: «كنت أتساءل إذا كنتما...» اختلستُ نظرة سرية إليه، فاستدار ليواجهني. «إذا كنتما أكثر من أصدقاء من قبل؟» إنه السؤال الذي فكرت فيه منذ أعدتُ قراءة اليوميات.

لم يقل بيتر أي شيء. لم أتنفس. قال وهو ينظر إلى السقف: «كان يجب أن تكون ماجي هنا لتجيب عن هذا.» هز رأسه ثم نظر في عيني. قال: «كان هناك أوقات كنا قريبين فيها بهذه الطريقة.»

حدقت إلى بيتر، ممسكة بقطعة من الجبن.

«وقعتُ في غرام ماجي يوم قابلتها أول مرة.» لمعت عيناه. «أعطتني جولة في المنتجع، وكانت تتحدث بسرعة، ظننت أنني لن أشعر بالوحدة طالما هي حولي. ولم أشعر بالوحدة فعلًا.»

همست: «لم تخبرني أمي قط.»

ابتسم ويل قليلًا وقال: «كانت ماجي تقول إنه شيء خاص، وأنا أقول إنه سِريّ. لم تكن هكذا دائمًا. انتظرت فرصتي معها طويلًا. أخبرتها بمشاعري بعد ولادتك. لكنها لم تسمح لي بأن أواعدها حتى كبرتِ قليلًا».

قلت لاهثة: «متى؟» شعرت بدوار في رأسي.

«بمجرد أن أصبحت أنت ووتني صديقتين، تذهبان للمبيت معًا وتتجولان هنا معًا. أعتقد أنها شعرت أن بإمكانها الاسترخاء قليلًا.»

كان ذلك منذ وقت طويل. في سن العاشرة من عمري.

«أردت أن نتزوج. كانت تعرف ذلك. اعتقدت أنها استعدت، ولكن بعد ذلك أنتِ..» توقف لحظة، اختار كلماته ثم أكمل: «مررت

بفترة صعبة وأنتِ مراهقة، وهي ألقت باللوم على نفسها. قالت إنها ليست قادرة على أن تكون زوجة جيدة طالما أنها لم تستطع أن تكون أمًّا جيدة. أعلم أنك تعتقدين أنها اختارت هذا المكان مرارًا وتكرارًا على حسابك، وربما كان بإمكانها أن تعمل أقل، لكن إدارة المنتجع الشيء الوحيد الذي شعرت أنها تجيد فعله.»

خفضت بصري محدقة إلى طبق الطعام. حوَّل الذنب الخبز في حلقي رصاصًا. بيتر وأمي زوجان؟ الجزء الأسوأ هو أنني استطعت تخيل ذلك. كم سيبدوان مثاليين لو كانا معًا.

هممتُ بالاعتذار، لكن بيتر يهز رأسه وقال: «لم يكن الأمر متعلقًا بك، فيرن، ليس كذلك. إنه أكثر تعقيدًا من ذلك. اختلفنا كثيرًا على مر السنين، لكننا كنا نعثر دائمًا في طريقنا للعودة.»

ذكرى. عشاء مع أمي وبيتر في تورونتو. الشعور بالتعب من حمل الصناديق وتجميع أثاث أيكيا. أعناق أمي قبل النوم. من الصعب أن أقول وداعًا هذه المرة. أمشي على الرصيف ثم أستدير لألوح لها لآخر مرة. ذراع بيتر حول أمي. نظرة أمي إليه، مبتسمة.

«هل تتذكر عندما ساعدتني أنت وأمي في الانتقال إلى شقتي الأولى؟»

انبثقت ابتسامة من شفتي بيتر. قال: «تلك الشقة كانت تسعنا نحن الثلاثة في آن واحد بصعوبة. جعلتني ماجي أعلق مرآتك ثلاث مرات قبل أن تتوسط طاولة الزّينة بالضبط.»

«أنت وأمي نزلتما في فندق ليلتها.»

«أقمنا بضعة أيام أخرى بعدما صرتِ مستقرة. لم نخبرك بهذا.»

لا يمكنني أن أصدق أنني لم أشتبه في شيء. «عندما توفيت، كنتما معًا في ذلك الوقت؟»

«كنا معًا مثلما نكون دائمًا.» رأى بيتر الصدمة على وجهي فربت على كتفي. «علاقتنا لم تكن تقليدية. كنا صديقين مقربين، وأحيانًا كنا... شريكين. لطالما أردت أكثر مما استطاعت ماجي أن تقدمه لي، لكنني أدركت أنني محظوظ لأنني حصلت على هذا القدر منها.»

ربما هذا الشيء الأكثر حزنًا، وجمالًا قد سمعته في حياتي.

قبل أن أغادر، عبَّأ لي بيتر ما تبقى من الخبز في كيسين ورقيين.

سألته وأنا أستعد للمغادرة: «متى تظن أنك ستعيد تشغيل الموسيقى؟»

نظر إلى مشغل الشرائط القديم المكسور بجوار مكتبه.

«بمجرد أن أستعد ليوم لا تدخل فيه والدتك من ذلك الباب وتطلب مني أن أخفض الصوت.»

قلت له: «سأعد قائمة تشغيل لذلك الوقت. شيء تكرهه أمي فعلًا.»

عندما عدت إلى المنزل في وقت متأخر من تلك الليلة، شعرت بقلبي ثقيلًا. لكن بعد ذلك، رأيت ويل أمام الموقد، مرتديًا قميصًا أبيض ومئزر أمي. أحب ويل وهو في مطبخي، مرتديًا ذاك المئزر. أحب كيف أنه لم ينطق بحرف عن مقدار العمل الذي أقوم به، وأنه عندما قدم لي الخبز هذا الصباح، قبّل أنفي وقال: «*ليس بالجودة نفسها عندما تحضرينه أنتِ.*» أخبرته أنه أفضل عندما يكون جافًّا ويُطهى في مقلاة خلال انقطاع التيار الكهربائي.

نظر ويل خلفه وابتسم لي عندما أدرك أنني أراقبه. «لقد حُرِق قليلًا. آمل أن يكون هذا مقبولًا.»

قلت وأنا أقترب لأقف بجواره: «ممتاز.» التقط حبة بازلاء من المقلاة وأطعمني إياها.

قلت بينما أمضغها: «أعدك أنني سأطبخ لك يومًا ما.»

«فعلًا؟ بصراحة، باستثناء ذاك العشاء مع وتني وكام، قد مر وقت طويل منذ أن أعد لي أحد وجبة. تعرف أنابيل كيف تغلي الماء، وتضع بيتزا مجمدة في الفرن، وتستخدم المايكرويف. هذا كل ما تجيده.»

هذه إحدى المرات القليلة التي يتطوع فيها ويل بتقديم معلومات عن أخته. عرفت أنها خبيرة تجميل، وتعمل في بعض شركات الإنتاج الكبيرة التي تصوّر في تورونتو. عرفت أنها لا تجيد الطبخ. لكن ويل حفظنا في فقاعة، أبقى عطلته منفصلة عن حياته المنزلية.

«وماذا عن جِسيكا؟ ألا تدعوك لتناول الطعام والنبيذ معها؟» لم نتحدث عن حبيبة ويل السابقة، ولست متأكدة إن كان من المسموح لها الدخول في فقاعتنا.

«كانت تعرف ما تريده من قائمة الطعام.»

بقيت صامتة، وبعد دقيقة واصل ويل كلامه.

قال، ناظرًا إلى المقلاة: «لم نترك الأمور على أفضل حال بالضبط. قالت إنني أضعت وقتها، وأنني غير قادر على تحمل المسؤولية. شَعَرَت أنني متورط للغاية مع صوفيا.»

«وأنت تعتقد...؟»

«لم تكن مخطئة. عرفت من البداية أن علاقتنا لن تصمد طويلًا.»

حثثته عندما لم يوضح: «لأن...؟»

زفر ويل وقال: «هذا أشعرها بعدم الارتياح، كانت تستغرب أنهما يعيشان معي. لكن في الحقيقة، ابنة أختي وأختي يُعتبَران عائقًا كبيرًا بيني وبين أي العلاقة.»

«لمن؟ لك أم لحبيباتك؟»

«كلانا، على ما أظن. وقتي بين البيت والعمل، ولا متسع من الوقت لأشخاص آخرين.»

شعرت وكأن ويل يلوِّح بعلَم أحمر تحذيري ضخم أمام وجهي. «هل هذه هي طريقتك لإخباري بأنك لا تقيم علاقات؟» حاولت قول هذا الكلام بطريقة عفوية.

«إنها طريقتي لإخبارك أنني غير جيد فيها. لم تكن چِسيكا المرأة الأولى التي خيّبت أملها. لست أفضل حبيب. كانت چِسيكا ترغب في مزيد مني، مزيد عمّا كنت على استعداد لتقديمه.»

قلت ساخرة، بينما دق قلبي بعنف: «مزيد منك؟ من الذي سيرغب في ذلك؟»

ثبت ويل عينيه المظلمتين عليّ وقال: «ليس أنتِ، أليس كذلك؟ إجازة وأشياء من هذا القبيل.»

فكرت في إخباره بالحقيقة -أنني سآخذ بقدر ما يمكنه إعطائي- لكنني تذكرت أن بيتر قال الشيء نفسه تقريبًا عن أمي. قضى عقودًا من الزمن مع امرأة لم تستطع أن تهب له نفسها بالكامل. لطالما أحببت كلام أمي عندما قالت إنني مثل بيتر، لكن في هذه الحال، لا أستطيع أن أكون مثله.

قلت بدلًا من ذلك: «آسفة لأنك اضطررت للانتظار طويلًا لتتناول الطعام.» اقتربت الساعة على التاسعة.

«لا أمانع. عادةً ما أتناول الطعام مبكرًا مع الفتيات.» ابتسم لي ابتسامة خاطفة وهو يضع الطعام في الأطباق وأكمل: «أشعر بكامل الأناقة والرُقيّ الآن.»

«تبدو في قمة الأناقة.»

ألقى نظرة سريعة على المئزر وقال: «أنتِ تحبينه.»

قلت: «أمر مريب أنني أحبه بهذا القدر.»

لكن الكلمات في رأسي قالت شيئًا مختلفًا. الكلمات في رأسي قالت: «*أمر مريب أنني أحبك بهذا القدر.*» بالتأكيد هذه الكلمات مخطئة.

20

15 يونيو، قبل عشر سنوات

جلستُ وويل على طرف السرير في شقتي، يواجه أحدنا الآخر. الساعة حوالي الثالثة صباحًا. قلت: «لقد ذكرت أنني مررت بفترة تمرد في المدرسة الثانوية.» أومأ ويل. أردفت: «فترة سيئة. بدأت بعدما عثرت على يوميات أمي القديمة. إحداها كُتِبَت في الصيف الذي أصبحت فيه حبلى بي.»

ميَّلت رأسي نحو السقف، شاعرة بتنميل في أنفي. من الغباء أن هذا الأمر ما زال يزعجني كثيرًا.

«ظننتُ في السابق أن بيتر هو والدي.» أغمضت عيني للحظة. «أقصد، أعرف أنه ليس أبي، لكنني اعتقدت أنه كذلك في أعماقي. كنت أتظاهر، حتى قرأت اليوميات. تمنيتُ ذلك بشدة.» شعرت بعيني ويل تحدقان إليَّ، مسحت دمعة عن خدي. «لم تكن أمي تتحدث عنه؛ والدي البيولوجي. عرفت أنه يعمل في المنتجع في فصل صيف، لكن هذا كان كل شيء.» ألقيت نظرة على ويل، مُحرَجة. « مدركة أنهما مشتتان عندما يخفيان شيئًا كهذا عني، لكن هذا لم يكن منطقيًا، تفهم قصدي؟ كنت أنا ووتني مهووستين حقًّا بمسلسل CSI لفترة، لدي ذاك الخيال التام بأنني لو أجريت تحليل الحمض النووي سيظهر أنه والدي الحقيقي. يمكننا أن نكون متشابهين جدًا، بيتر وأنا.»

قضيت معه وقتًا قريبًا مما قضيته مع أمي وجدتي وجدي. بيتر هو الذي حضر مبارياتي في كرة القدم عندما لم تستطع أمي الحضور. بيتر هو الذي ذهب في اليوم التالي إلى المدرسة، عندما جاءتني الدورة الشهرية للمرة الأولى. بيتر هو الذي علّمني قيادة السيارة، علّمني فن وضع قائمة أغاني مثالية في قرص مدمج. وكلما صرت ساخرة وتهكمية، اشتكت أمي من قضائي وقتًا طويلًا مع بيتر. «حتى عندما كبرت، تمسكتُ بأمل أن يجلسني بيتر وأمي ويخبراني بالحقيقة.»

شعرت بيد ويل تقترب من يدي. كنت أخمش جلدي مرة أخرى.

«على أي حال، بيتر ليس أبي. بل رجلًا يدعى إريك، حارس إنقاذ على الشاطئ في المنتجع. كُتِبَ كل شيء في اليوميات. كيف تقابلا، كيف تحابا، وكيف تركها عندما عرف أنها حبلى. كنت أستشيط غضبًا.» زفرت نفسًا مرتعشًا، وضغط ويل على يدي.

«باختصار، أجبرت أمي على التواصل مع إريك. لديه زوجة وأطفال، ولم يرِدهم أن يعرفوا بوجودي. لم يرغب حتى في لقائي. رفض حتى التحدث إليّ عبر الهاتف. لم أستقبل ذلك بطريقة جيدة. أفرطت في الشرب. فقدت الوعي عدة مرات. اتخذت بعض القرارات السيئة فيما يتعلق بالرجال.» قلتها بسرعة: «تغيبت عن بعض الحصص الدراسية، طُردت من فريق كرة القدم، و.. آه، سرقت جرارًا.»

سألني ويل: «سرقت ماذا؟»

«سرقت جرارًا.» أخبرته القصة بأكملها؛ عن الحفل والتحدي الذي جعلني أتعرى تمامًا و«أقود» جرارًا في مزرعة تريفور كاري. قال تريفور إن والديه لن يعودا إلى المنزل قبل ساعات. لا بد أنه هو الذي شغَّل الجرار. مستحيل أن أقدر على فعل ذلك بمفردي. لا أتذكر كثيرًا سوى أنني استفقت في سيارة الشرطة وفوقي سترة من الصوف. استمع ويل إليّ، مثبتًا نظراته على جانب وجهي. لم يجفل ولو مرة.

«تلك هي نقطة الانهيار لوتني. نشب بيننا شجار كبير. قالت لي إنها لا تستطيع أن تكون صديقتي إن استمررت في تعريض نفسي للخطر، وقلت لها إن هذا جيد؛ لأنها أصبحت صديقة سيئة منذ بدأت في مواعدة كام. كفت عن التحدث معي، لكنني استمررت في حضور الحفلات. في إحدى الليالي، دعوت بشكل عشوائي قِلَّة من الأشخاص بينما كانت أمي تعمل. هناك غرفة زجاجية مطلة على الحديقة في الجزء الخلفي من المنزل. كنا نشرب هناك. في النهاية، فقدت الوعي في الحمام. اعتقدوا أن رأسي اصطدم في الحوض لأن الدخان لم يوقظني.» عندما استفقت في المستشفى كنت قد أُصِبتُ بارتجاج وكدمة تشبه بيضة الإوزة على جبيني.

«الدخان؟»

نظرت إلى يد ويل فوق يدي، ثم نظرت إليه. كانت عيناه متسعتين.

«نشب حريق صغير. لا أعلم ما إذا كانت أعقاب إحدى سجائري هي التي أشعلته أم سجائر شخص آخر. اتصل أحد الأشخاص بالمبنى الرئيس عندما رأى الدخان. توجهت أمي إلى المنزل مباشرة

باحثة عني، ومن خلفها جاء بيتر. كسرا باب الحمام.» أغمضت عيني مرة أخرى. «دمر الحريق الغرفة الزجاجية، لكن جميعنا حالفنا الحظ للخروج منها أحياء.»

تذكرت أنني استيقظت في المستشفى أعاني أشد صداع على الإطلاق وحرقة في حلقي. أمي جالسة بجوار السرير، غطّت ضمادة حرق على ذراعها اليمنى، وكان وجهها منتفخًا وقانيًا، كأنها سبحت في الكلور بعينين مفتوحتين لساعات. لم أرها منكوبة بهذا الشكل من قبل.

تنهدت بعمق، ولف ويل ذراعه حول كتفي، جذبني إلى جانبه. بقينا هكذا لعدة دقائق، دون كلام.

قلت: «أمي أنقذت حياتي. أدين لها بكل شيء. لهذا السبب لم أعترض عندما اقترحت عليّ أن أتقدم بطلب للدراسة في كلية إدارة الأعمال وأتبع المسار الوظيفي في بروكبانكس.» مال ويل للخلف لينظر إليّ. «لقد دمرت حياتي في الأساس، وأمي ساعدتني في جمع الشتات. لم يكن لدي فكرة أفضل. أنت فنان، لكنني لا أعرف ماذا كنت سأفعل إن لم أعمل في المنتجع. ليس لدي خطة لعشر سنوات قادمة.»

ضم ويل وجهي بيديه وقال ببطء شديد: «الخطط لعشر سنوات قادمة محض هراء».

ضحكت. بعد كل ذلك، لم يكن هذا رد الفعل الذي توقعته.

سحب يديه وقال: «أنا أعني ما أقول. وكأن باستطاعة أي شخص أن يعرف أين سيكون أو مَن سيكون خلال عشر سنوات».

«أظن ذلك، لكنني أريد أيضًا نوعًا من الخطة. أنا أحسدك. لقد حددت ما ستفعله في حياتك بالضبط. أما أنا، فليس لدي فكرة».

فكر ويل في ذلك للحظة ثم قال: «لكنك تعلمين أنك لا تريدين العودة إلى الوطن؟»

وافقت مترددة: «نعم. أعرف ذلك.»

«وتعلمين أنك لا تريدين أن تديري المنتجع؟»

راقبت عينيه تتلألآن بانعكاس ضوء الشموع وقلت: «نعم.»

«قد تكون والدتك أنقذتك، لكنها لا تزال *حياتك*، فيرن».

أطال كلانا النظر إلى الآخر.

قال ويل أخيرًا: «إذًا تعرفين أين لا تريدين أن تكوني.» التقط دفتر الرسم والقلم الرصاص، فتح صفحة فارغة قرب نهاية الدفتر. راقبته وهو يكتب أعلاها «**خطة فيرن مدة عام**». وبعد ذلك:

لن أعمل في منتجع بروكبانكس.

لن أعيش في موسكوكا.

سألته: «خطة مدة عام واحد؟»

«عام واحد يبدو أكثر واقعية من عشر سنوات، ألا تعتقدين ذلك؟ وقد قلتِ إنك تريدين خطة.» أشار إلى الصفحة. «لنضع واحدة».

نظرت إلى الورقة مرة أخرى. كتب بأحرف كبيرة، وبطريقة كتابة مميزة، وكأنها نوع من خطوطه الخاصة. ثمة شيء في رؤية الكلمات بالأبيض والأسود جعلني أشعر بالتمرد، كما لو أن بكتابتها، أصبح هناك مستقبل بديل ممكن.

قلت: «آه. في الواقع هذا تصرف ذكي. لكن يجب أن تضع خطة لك أنت أيضًا.» مددت يدي نحو الدفتر، كتبت «*خطة ويل مدة عام*» في الصفحة المقابلة، وسألته: «ماذا ستكتب في خطتك؟»

رجع للوراء ساندًا إلى يديه وقال: «هذا سهل. سأكون مُفلسًا.»

قلت ساخرة: «خطتك هي أن تكون مفلسًا؟»

«نوعًا ما. أنا جاد بشأن فني. لن أتقاضى من وظيفة مكتبية مملة وأرتدي ربطة عنق لكي أشتري شقة جميلة. الفن ليس هواية في رأيي. إما هو وإما لا شيء. بفضل الرسومات الجدارية وربما وظيفة بدوام جزئي، أعتقد أنني سأتمكن من دفع الإيجار وقضاء بقية وقتي في العمل على رسومات *شركاء السكن*.»

«إذًا...» كتبتُ:

لن أعمل في مكتب. (غير مسموح بارتداء ربطات العنق.)

مفلس نوعًا ما.

لن أعتبر الفن مجرد هواية.

عرضت الصفحة ليراها ويل.

قال: «هذا جيد. والأفضل من هذا إذا عُرِضَت رسومات شركاء السكن في صحيفة.»

«فهمتُ.» أضفت شركاء السكن إلى القائمة.

قال ويل: «ممتاز. ما الذي سنضيفه أيضًا إلى قائمتك؟»

خفضت بصري محدقة إلى الصفحة. قلت: «الشيء الوحيد المتأكدة منه هو أنني أريد أن أكون في تورونتو.» أخذ ويل القلم وأضافها إلى القائمة. قلت: «غير ذلك، لا أعرف فعلًا.»

«لا بأس من ذلك.» ثبت ويل القلم بين أسنانه، مصدرًا طنينًا وهو يقول: «ماذا لو كتبنا: مدة عام، **عدِّل الخطة حسب الضرورة**.»

قلت: «بالطبع.» ارتميت للخلف على السرير، حدقت إلى الشقّ الذي في السقف، بينما انتهى ويل من الكتابة. وضع الدفتر على الطاولة.

قال: «لا أستطيع أن أتخيل لماذا تشعرين بالتعب.» ثم أطفأ كل الشموع باستثناء الشمعة الموجودة في إناء بجانب سريري، واستلقى بجواري على ظهره.

همس: «هل هذا ممكن؟»

قلت بتثاؤب مرة ثانية: «نعم. لا مانع.»

جف حلقي من الكلام، لكن كان هناك شيء واحد أريد معرفته.

«اليوم، قبل قليل، عندما أخبرتك أنني التحقت بكلية إدارة أعمال، قلت إنك لم تكن لتتوقع ذلك. ماذا توقعت؟»

«لا أعرف. تخصص لغة إنجليزية، ربما. اعتقدت أنك تكتبين شعرًا في دفتر اليوميات ذاك.»

«لست مثيرة للاهتمام هكذا.»

«أنت مثيرة للاهتمام أكثر من هذا.»

رقدت الكلمات بيننا، حلوة وناضجة.

خفضت بصري حيث تجاورت أيدينا على السرير، ثم عدت ونظرت إليه. قرَّبت أصابعي حتى لامست يده.

قلت بعد لحظة: «تمنيت لو كنت مهتمة بشيء مثلما تهتم أنت بالفن.»

شبك خنصرينا معًا وقال: «سيحدث ذلك. أنت فقط بحاجة إلى الوقت لتجديه.»

كل النهايات العصبية في جسدي سارعت نحو إصبعي الصغير. كنت متأكدة أن ويل يمكنه سماع دقات قلبي.

همست: «لا أريد أن تكرهني أمي.»

ضغط على إصبعي الصغير قائلًا: «لن تكرهك. ثقي بي، حسنًا؟»

«حسنًا.» نظرت إلى السقف، محاولة إبقاء عينيّ مفتوحتين: «أثق بك.»

ظللنا هكذا حتى ثقل جفناي وانطفأت الشمعة من تلقاء نفسها.

18 أغسطس، 1990

جاء بيتر إلى البيت أمس. قلتُ لأمي إنني أعاني إعياء في معدتي وبقيت في السرير. قال بيتر إنني لا أبدو مريضة. عرف أن إريك رحل؛ الجميع عرفوا بذلك. سأل إن كان قد آذاني، وقلت له أنه لم يؤذِني بالطريقة التي يقصدها، ثم أجهشتُ في البكاء. اضطجع بيتر بجواري وضمني إلى حضنه. قال إنه اشتاق إليّ وإلى ثرثرتي التي لا تنتهي، وإلى أسطوانة أغاني آن موراي التي تجمع أفضل أغانيه، والتي أدخلتها سرًّا في مشغل الشرائط لديه. قال إنه اعتقد أنه ربما شعر بالغيرة. ثم قرَّب يدي من شفاهه وقبَّل أصابعي، برقة شديدة، وقال لي إن عليه إخباري بشيء. كنت واثقة بأن قلبي توقف؛ لأنني عرفت ما سيقوله، ولم أستطع أن أسمح له بذلك. ليس الآن. قبل أن يتحدث، قاطعته وأخبرته بأنني حبلى. أخبرته بكل ما كنت أفكر فيه: كيف سأقوم بتربية الطفل بمفردي وإلغاء الرحلة وتأجيل إدارة المنتجع، رغم رغبتي في القيام بهذا. بقي صامتاً طوال الوقت. بعدما انتهيت، قال: «حسناً، ماجي.» ثم قبل جبيني ودلك ظهري حتى غفوت.

21

الآن

كنتُ وجيمي مُنكبّين أمام الحاسوب في المكتب عندما طرق ويل إطار الباب.

نظرت إليه ثم انتبهت للساعة. قلت: «اللعنة. أنا آسفة جدًّا.»

من المفترض أن تصل وتني وكام قبل ساعة لتناول العشاء.

إنه الأسبوع الأخير لـويل هنا، وكنت أعمل اثنتي عشرة ساعة في اليوم. ليس لدي خيار. قلت لنفسي إنها مجرد مرحلة مؤقتة، وإنه لو فتحت مكاني الخاص، فسيكون هناك فترات مروعة مماثلة، وإن الانشغال أفضل من البطء. ولكن زوي -خبيرة النبيذ لدينا- قدمت استقالتها هذا الصباح؛ ستدير برنامج النبيذ في «ذا ديزي»، وأصبح من الأصعب لهذه الدرجة عدم الشعور بالإحباط.

قال ويل: «لا بأس. وتني وكام يشربان كأس الكوكتيل الثاني، ووالدة وتني اتصلت لتخبرنا بأن أوين نام بسرعة. إنهما ينعمان بجنة الآباء الجدد.»

نجح ويل فيما عجزت عنه، تمكن من إقناعهما بالبقاء في المنتجع لليلة، وهي أول ليلة يبتعدان فيها عن الطفل.

«أردت فقط التأكد من أن كل شيء على ما يرام. لم تردي على رسائلنا.»

نظرت حولي في أرجاء المكتب. لا أعرف أين وضعت هاتفي.

قال جيمي ساخرًا: «منشغلة جدًّا في التقبيل.» فضربته على صدره.

عبست في وجه جيمي وقلت: «إنه يمزح. كما هو واضح.»

لم يبدُ أن ويل وجد ذلك مضحكًا.

«اذهبي.» قالها جيمي بينما أبحث في درج المكتب عن هاتفي. «أعتقد أننا فعلنا كل ما يمكننا القيام به الآن على أي حال.» كنت أحاول أن أبقى على اطلاع بحجز الغرف، بينما أنهى هو جميع التفاصيل من أجل حفل الرقص.

«أنت متأكد؟»

قال: «نعم.» وسحب هاتفي من تحت كومة من الأوراق. «اخرجي من هنا.»

حكيت لويل عن يومي في أثناء سيرنا، لوّحنا لآل روز عندما تخطينا الكوخ رقم 15. حظي ويل بدعوة دائمة لتناول المارتيني. عندما ظهرنا يوم الأحد، وضع ويل يده أسفل ظهري ليوجهني إلى الأريكة الصغيرة، بينما صفقت السيدة روز بيديها وصاحت: «أليس هذا تطورًا سعيدًا في الأحداث؟» كنت سعيدة؛ قضينا أنا وويل كل لحظة ممكنة معًا، أحسست باليُسر وبصواب ما نفعله. لكن الصيف لا يستمر إلى الأبد.

قبل أن ننعطف إلى الكوخ رقم 20، رأيت أعلامًا ملونة وبالونات ظهرت خلف الأشجار. ثمة لافتة مرسومة ومعلقة على الباب، كتب عليها: «**مرحبًا بك في الوطن حبيبتي!**» وقفت وتني وكام عند المدخل الخشبي، يبتسمان كطفلين نهبا دُرج الحلوى.

«أيها الأشرار.»

قالت وتني وهي تجذبني لتعانقني: «حُذِّرَ ويل من استخدام اسم التدليل على مسؤوليته الشخصية. أعلم أنني قلت ذلك من قبل، ولكن عودتك إلى هنا ربما تكون أفضل شيء حدث لي، ولادة طفلي من ضمن هذه الأشياء.»

ضحكت، شاعرة بأن ضغط هذا الأسبوع أخذ ينحسر. «تحتاجين إلى مزيد من الأصدقاء.»

قالت: «لدي كثيرون. ولم يضعوني في مواقف مثل التي وضعتني فيها، لكن كل ما في الأمر أنهم ليسوا رائعين مثلك.»

قادنا ويل إلى الشرفة الأمامية، حيث وضع الطاولة الخشبية وفرش عليها غطاء ونصب الشمعدانات التي جلبها من المنزل، مع مزهرية ضخمة بها حزمة من الزهور البرية، مجموعة من الأقحوانات البنفسجية والعنبر وزهور السوسن ذات العيون السوداء. هي المفضلة لدي.

دلف إلى الكوخ وعاد بكأس من الجِن والتونِيك من أجلي بيد، وصينية جُبن بيده الأخرى.

قال ويل وهو يناولني المشروب: «أكثر ليمون طازج في موسكوكا.»

قالت وتني ونحن على العشاء: «لن تصدقي كمية الأسئلة التي كان عليّ الإجابة عنها خلال الأسبوع الماضي.» أعد ويل أرزًا بالفطر. «باستا أم أرز؟ فطر أم طماطم؟ أنواع الجبن المفضلة؟»

خطفت نظرة إلى ويل.

قال وقد بدا عليه الإعجاب الشديد: «لن تقرري تغيير حياتك بأكملها كل يوم.» لست متأكدة أنني شعرت بكل هذه المحبة من قبل. لم أدرك أنني كنت أنظر إليه، وأن الأحاديث الدائرة توقفت حتى تنحنح كام.

استمتعنا بتناول كعكة الشوكولاتة الداكنة التي حضرها بيتر في صمت. قال ويل إنه طلب الوصفة، لكن بيتر عرض عليه أن يحضّرها بنفسه. نادرًا ما رأيت بيتر يرتاح لشخص بهذه السرعة. بالأمس، أعطاني خبز الليمون ببذور الخشخاش لأشاركها مع «صديقي». لقد دعونا بيتر للانضمام إلينا الليلة، لكنه قال إنه لا يزال يحضّر لفائف الخبز لتصير مثالية في حفل الرقص.

وفجأة، قاطعت وتني الهدوء بقولها: «إذًا يا ويل، متى ستغادر؟»

نظر في عيني ثم قال: «يوم الأحد.» حاولت قدر الإمكان ألا أُظهِر أن سماع هذا يجعلني أرغب في تمزيق جلدي.

لم نتحدث أنا وويل عن رحيله أو عما يعنيه ذلك لنا. لم أعتقد أن كلمة «نحن» ممكنة. لكن رؤيته مع أصدقائي الليلة، ومدى الاهتمام الذي بذله في تحضير أمسية العشاء، ربما ذلك ممكن. ربما هذه ليست مجرد فترة إجازة من الواقع لديه. ربما هذه العلاقة نوع من العلاقات التي تستحق أن يُبذَل فيها جهد. ربما هذه بداية لـ «نحن».

قالت وتني: «بعد حفل الرقص بيوم.» ضيقت عيني، متسائلة عما تخطط له. سبق أن قلت لها ذلك بالفعل.

قال ويل: «صحيح. منتظر ذلك.»

«وبعد ذلك؟»

نظر ويل نحوي مرة أخرى.

قلت محذرة: «وِت.» لم أُرِد أن يتعرض ويل لاستجواب على يد صديقتي المقربة. لم يكن هذا ما أراده.

«ماذا؟»

هززت رأسي باستجداء لأدحض أي مؤامرة تعتقد أنها تُعِدَّها. لكنها لم تتوقف.

سألَت: «ما الخطة؟ لأنني لم أكن معجبة فعلًا بما آلت إليه الأمور في المرة السابقة.»

ألقيت نظرة سريعة على كام، لكنه هز كتفيه هزَّة طفيفة.

وجَّهت وتني شوكتها تجاه ويل وقالت: «هل ستختفي عن وجه الأرض مرة أخرى؟ لأنني لا أريد أن أضطر إلى لملمة صديقتي من الأرض مرة أخرى كما فعلت في المرة السابقة.»

شعرت بسخونة في وجهي. قلت: «وتني.» لم أستطع حتى أن ألقي نظرة تجاه ويل. «توقفي.»

نظرت نحوي، ثم قال ويل: «أعتقد أن هذه المحادثة يجب أن تكون بيني وبين فيرن، وحدنا.»

قلت: «أتفق معك.»

أخذت وتني قضمة من الكعك. مضغتها وهي تحدق إلى ويل حتى أنهتها.

لعقت آخر ما علق من الشوكولاتة على الشوكة وقالت: «أنا معجبة بك. أنت وسيم وفارع الطول، لكنك جيد في التعامل مع الأطفال وتبدو ذكيًّا. وبصراحة، كان ذلك أفضل طبق أرز بالفطر تناولته على الإطلاق. لكن إن دمرت صديقتي مرة أخرى، فسأقود السيارة إلى تورونتو وأقتلك.»

حدق ويل إليها لثانية، ثم أومأ برأسه وقال: «يبدو أن لدينا خطة.»

سألتني وتني عندما أجبت عن الهاتف يوم الجمعة: «أنت تتجنبينني، أليس كذلك؟»

كنت أتجنبها. نيتها حسنة، لكنني ما زلت مستاءة من تلك الليلة.

«أعرف أنني كنت فظة على العشاء. أنا آسفة. لم أشرب بهذا القدر منذ لم أكن حبلى.»

قلت: «لا بأس، وت.» عرفت أنها تجاوزت الحدود. اعتذرت لويل بعدما غادرت هي وكام، وقال إنه لم يكن يهتم كثيرًا بتحقيق وتني، بل أكثر قلقًا مما إذا أزعجتني أسئلتها.

مرت ثانيتان من الصمت، ثم سألتني: «إذاً لماذا لا تردّين على رسائلك؟»

«لأنني أعيش جحيمًا صنعته بنفسي؟»

«سيئ لهذه الدرجة، أليس كذلك؟»

«حفل الرقص غدًا، لذا جيمي مشغول بتسوية أمور اللحظات الأخيرة، بينما أقابل مرشحين للوظائف ينادونني «فران» ويعتقدون أن خدمة العملاء هي إحدى المشكلات الأساسية للرأسمالية.» أخذت قضمة من فطيرة الجبن التي أوصلها إليَّ بيتر قبل قليل، ثم مسحت الفتات عن صدري. إنه لا يتوقف عن توصيل الطعام لي. أعتقد أنه يريد التأكُّد من أنني بخير، بعدما باح لي عن علاقته بأمي. أكثر ما أحزنني هو أنهما لم يحظيا بنهاية أسعد من هذه. حزنت لأنها لم تخبرني عن بيتر بنفسها. تمنيت لو قضينا وقتًا أطول معًا، نحن الثلاثة. عائلتي.

«ماذا يحدث؟» يمكنني أن ألهي نفسي.

قالت: «يوجد مشكلات أكبر هنا، اسمحي لي أن أخبرك. ليس لدي أدنى فكرة عما يجب أن أرتديه غدًا. جسدي أصبح فوضويًّا بعد الولادة. لا شيء في المكان نفسه الذي اعتاد أن يكون فيه. هل يمكنك أن تلقي نظرة على الصور التي أرسلتها؟»

قلَّبت الصور وقلت مقترحة: «تعرفين أنني لست جيدة في هذه الأمور. قد تكون البدلة الزهرية القصيرة؟»

«نعم، ربما. ربما مع حذاء ذي كعب عالٍ. ماذا عنك؟ هل وجدت شيئًا في المدينة؟»

«لا. نويت ذلك، لكنني لم أجد وقتًا لهذا. سأستولي على خزانة أمي الليلة.» أنا متأكدة أنها احتفظت بكل زي احتفالي ارتدته على مر السنين. «أعتقد أنني سأجد فيها فساتين من التسعينيات.»

صرخت وِتني: «هل تتذكرين الفستان الأرجواني الذي به ربطة معقودة كبيرة من الأمام؟»

ذو كشكشة من عند الرقبة وحزام مبالغ فيه. القماش متصلب لدرجة تُبقيه مفرودًا وحده. كنا على الأرجح في سن الرابعة عشرة عندما ارتدته أمي في حفل الرقص.

قلت: «لقد أسميناها الغامضة طوال الليلة. ربّاه، كنا أوغادًا.»

قالَت موافقة: «نعم، لكنها أحبتنا على أي حال.»

كانت تحبنا حقًا.

قالت وتني بعد لحظات قليلة من الصمت: «إذًا... ليلتان أخريان مع ويل هنا.»

«آه.»

«وبعد ذلك؟»

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

«بعد ذلك، يعود إلى تورونتو.»

«ولكن من الواضح أنكما ستظلان تتقابلان.»

لا أعرف إذا كان ذلك واضحًا. لا أريد أن يكون يوم الأحد هو نهاية العلاقة، لكنني لم أعلن ذلك بوضوح.

«سنظل على اتصال.» أعتقد.

قالت وتني ساخرة: «ستظلان على اتصال؟ هذا الرجل مهتم بكِ. ليس مهتمًا بك بطريقة «*هيا نقضِ وقتًا ممتعًا عندما تأتين إلى المدينة*». إنه مهتم بك بطريقة «*أنا أتخيل كيف سيكون شكل أطفالنا*». صدقيني، إنه متعلق بكِ بشكل عميق.»

قضمت ظفري، قلت: «أتساءل إذا كان الأمر يتعلق فقط بكونه هنا، مع تذوقه طعم الحرية لأول مرة منذ مدة طويلة. إنه في وضع

الإجازة. بمجرد أن يعود إلى حياته الفعلية، قد يدرك أن ليس لي مكان فيها.»

قالت وتني: «لا أعتقد حقًّا أن هذا ما يحدث هنا. لقد حضَّر الأرز.»

ضحكت وقلت: «وصينية الجبن. أنا فقط لا أعرف ما إذا كنت قادرة على خوض التجربة مرة أخرى، خصوصًا في الوقت الحالي.»

ظلت وتني صامتة للحظةٍ ثم قالت: «حتّى قبل فترة مقاطعة الرجال، أغلقتِ على نفسك. ربما يكون ذلك له علاقة بوالدتك. وربما له علاقة بعض الشيء بذلك الشخص الذي لا يجب ذكر اسمه» هذه طريقة وتني في الإشارة إلى إريك. «وربما لم يساعدك ما حدث مع ويل آنذاك.»

تنهدت.

حاولت ألا أفكر فيما حدث قبل تسع سنوات، كم كانت مشاعري جياشة، وكيف سُحِقَت فجأة. حاولت عدم التفكير في مدى ازدياد تلك المشاعر.

قالت وتني: «هيّا، يمكنك أن تخبري شابًّا بأنك تحبينه.»

تمتمت: «نعم، لو كان الأمر بهذه البساطة.»

22

15 يونيو، قبل عشر سنوات

كان ويل قد استيقظ بالفعل عندما فتحت عينيّ. جلس إلى طاولتي يكتب في دفتره، تدلى شعره الغامق على عين واحدة. رؤيته في شقتي غريبة تمامًا. لكنه بدا وكأنه ينتمي إلى هذا المكان، يخربش في الصفحات بجانب نافذتي.

أحدث السرير صريرًا عندما وضعت ذراعًا تحت رأسي. انتقل نظر ويل إليّ. حدق أحدنا إلى الآخر في صمت، والشمس الصباحية تسللت من خلال الزجاج، كاشفة بأشعتها عن حبات من الغبار، راسمة مربعات من الضوء على الأرضية الخشبية.

خرج صوتي أجش مع أول كلمة نطقت بها في اليوم: «مرحبًا.» الثلاجة تُصدِر أزيزًا مُستمرًا. لا بد أن الكهرباء عادت ونحن نائمان.

«ماذا تفعل هناك؟»

«أفكر فقط.»

تزحزحت عن السرير وقلت: «لا أستطيع أن أتهجى اسمي دون شرب قهوة. سأحضّرها. ليست بجودة المقهى، لكنها قوية.» سحبت صندوق المصافي الورقية من الخزانة.

وقف ويل وقال: «في الواقع، يجب أن أغادر الآن. الساعة قاربت على العاشرة. سأتأخر على موعد الإفطار مع أختي، وبعدها يجب أن أجمع أغراضي قبل الذهاب إلى المطار.»

«آه.» تنحنحتُ، محاولة عدم إظهار خيبة أملي كمن يرتدي تاج ألماس. «بالطبع.»

«كانت ليلة طويلة جدًّا. لم أرغب في إيقاظك.»

قلت شاعرة بضيق في صدري: «نعم، لا، أقدر ذلك. إذًا؟»

«إذًا...» أشار إلى ورقة على الطاولة. كان قد قطع الورقة التي رسمني فيها من دفتر الرسم. «هذه لكِ.»

ابتلعت ريقي وقلت: «شكرًا.»

أدار خاتمه وقال: «ولدي فكرة. سأعود في يونيو المقبل لحضور زفاف والدي. اعتقدت أنه بإمكان أحدنا أن يطمئن على الآخر؛ لنرى ما أنجزناه في خططنا.»

التقط دفتره، فتحه على صفحتيْ القوائم ثم كتب أسفل كل صفحة «*14 يونيو، منتجع بروكبانكس، الساعة 3 مساءً*».

«هل أنت جاد؟ تريد أن تأتي لزيارتي في بروكبانكس؟ فعلًا؟»

«إذا كان الأمر يتعلق فقط بتناول مزيد من خبز الساوردو.» ابتسم في تردد وأردف: «أريد أن أرى أين نشأتِ، فيرن بروكبانكس. يمكنك أن تعلّميني كيف أمسك المجداف. وتتأكدين من أنني لن أحرج نفسي وأنا في المياه.»

«كلانا يعرف أنك ستفعل ذلك.»

اتسعت ابتسامته وقال: «إذًا هذه موافقة؟ ستقابلينني هناك بعد سنة؟»

«نعم، يمكنني فعل ذلك.» دق قلبي بسرعة مضاعفة. «ربما بعد سنة...» سرحت بخيالي. لم أستطع تكملة هذه الجملة. لست متأكدة من أنني أعرف كيف أنهيها.

صوت ارتطام باب صدح في الممر. جفل ويل، قطع الصفحة التي تحوي على خطتي من دفتره وناولها لي.

نظرت إلى الصفحة وقلت: «إنه مكان كبير جدًا. يجب أن نختار موقعًا هناك.»

«ماذا تقترحين؟»

«ماذا لو التقينا عند المرفأ بالقرب من الشاطئ؟ أحتاج إلى معرفة كيف يبدو ويل باكستر حقًّا في الزورق في أسرع وقت ممكن.»

ابتسم وقال: «سأكون باهرًا، أقولها لك. سنلتقي عند المرفأ.»

وضع ويل دفتر الرسم في حقيبته. لفت نظري الدبوس الأحمر الصغير للترام المثبت على الطية، ثم أمسكت هاتفي.

قلت وهو يربط حذاءه: «ما رقمك حتى نبقى على تواصل؟ وإذا أعطيتني عنوانك، فسأحضّر لك أسطوانة لها تيمة غرب الساحل، أم الأشجار؟ قد لا يكون هناك ما يكفي من المقاطع لذلك، لكن يمكنني أن أجد ما يكفي في الطبيعة بشكل عام.»

اعتدل ويل واقفًا، وعلى وجهه تعابير الألم. قال: «أعتقد أنه من الأفضل ألا نفعل ذلك.»

قطبت حاجبي: «ماذا تعني؟»

حك قفاه وقال: «لا أعتقد أنه علينا المراسلة أو أن نصبح صديقين على الفيس بوك. ربما لا يجب أن ترسلي إليَّ مجموعة أغاني في أسطوانة. أعتقد أنه نظرًا إلى...» نظر إلى السرير وإلى التعرجات التي تركها جسم كلينا عليه، ثم عاد ونظر إليّ. قال: «لماذا لم تخبريني عن جيمي؟»

ارتعشت ساقاي

كان بإمكاني أن أكذب وأقول إن سيرة جيمي ببساطة لم تطرأ لنتحدث عنه. كان ذلك أقل تعقيدًا من الحقيقة. لكنني لم أرغب في الكذب على ويل.

«في البداية، لم يهم أنني لدي حبيب. ولكن في وقت لاحق، أردت أن أتظاهر بأن بقية العالم لا وجود له ليوم واحد، وهذا يشمل جيمي. هذا لا يعني أنني كنت سأفعل أي شيء.» أضفت بسرعة: «لن أخون أبدًا.»

أومأ ويل، لكن لم يكن لدي فكرة عما يدور في ذهنه.

سألته في هدوء: «هل تعتقد أنني مُريعة؟»

«لا. أعتقد أنك رائعة لدرجة جنونية، فيرن بروكبانكس.» ضغط على يدي مرة واحدة ثم تركها. «لكن أعتقد أنها فكرة سيئة إن استمررنا أنا وأنتِ في هذا، أيًّا كان اسمه.»

«بسبب جيمي؟»

أومأ.

قلت، محدقة إلى رباط حذائه الوردي: «سنة مدة طويلة جدًّا.»

انحنى ويل ليصبح على مستوى بصري: «إنها لا شيء. لن تشعري حتى أنك افتقدتني.»

زممت شفتي، متمنية أن يكون ذلك صحيحًا. مددت يدي بجوار ويل لأفتح الباب، سندته بخصري. لم أكن لأستطيع البقاء هادئة لفترة أطول. اعتقدت أن مشاعري تجاه ويل مجرد جاذبية جسدية، لكنها أكثر من ذلك، أكثر سوءًا.

وضع ويل حقيبته على كتفيه وخرج إلى الممر.

قلت: «ويل؟» وانتظرته ليواجهني. «سأشتاق إليك، أكثر من القليل.»

على مدار الاثني عشر شهرًا القادمين، سأتذكر ابتسامة ويل التي ملأت وجهه. سأغمض عينيّ وأتخيل تلك اللحظة بالذات. انحناءة شفتيه، والدهشة في عينيه، والخطوط الخفيفة عند زواياها. كانت مكهربة.

قال: «أنت وأنا بعد عام واحد، فيرن بروكبانكس. لا تخذليني.»

بعدها استدار ويل باكستر وخرج من حياتي.

21 أغسطس 1990

ذهبت إلى مطبخ الحلويات أمس لأبحث عن بيتر، لكن أحد الشباب أخبرني أنه أخذ إجازة في ذلك اليوم. قلقت من أن يكون غاضبًا بسبب ما قلته له، لكنه ظهر بعد ذلك في مكتب الاستقبال، أخذني إلى المكتبة، وأغلق الباب. أخرَج مجموعة من كتيبات طبية عن الحمل من حقيبة ظهره، ذهب لرؤية طبيبه للحصول على معلومات حول السفر في أثناء الحمل. ظل يتحدث بسرعة عن الثلاثة أشهر الأولى من الحمل والأشعة فوق الصوتية، بسرعة أكبر مما سمعته يتحدث بها من قبل. استخدم كلمة «رحم» مرتين على الأقل.

لا بد أنه أدرك أنني أواجه صعوبة في مواكبته، لأنه أخذ نفسًا عميقًا وقال: «لست بحاجة إلى إلغاء رحلتك.» قلت له إن العطلة آخر شيء يجب أن أقلق بشأنه، فهز رأسه. قال إن حياتي كلها على وشك التغيّر، لكنني لا يجب أن أتخلى عن السفر لأوروبا. أجبرني على أخذ الكتيبات، ثم قال إنه فكر فيما قلته عن كوني مضطرة لتربية طفل وحدي. قال إنني لست وحدي، وأنه هنا، وأن والديّ هنا، وأن هناك منتجعًا بأكمله مليء بالناس الذين يرغبون في المساعدة.

لم أعرف سابقًا كم احتجت إلى سماع ذلك. جلست هناك أحمل كومة من الكتيبات، وأبكي، سألني إن كنت بخير. ألقيت ذراعيّ حوله وقلت له إنه أفضل صديق يمكن لأي شخص أن يحظى به.

23

الآن

أعادني جيمي إلى المنزل في وقت متأخر بعد الظهر. تلفظت بـ «أنتَ حقًّا لست وليّ أمري!» لكن تأثير العبارة كان ضعيفًا.

الرياح الباردة هي أول ما لاحظته عندما خطوت إلى الخارج، تلتها رائحة المطر الخفيفة على الصخور في مكان ما بعيد. أخيرًا، استراحة لحظية من الحرارة.

فكرت فيما قالته وتني عندما تحدثنا عبر الهاتف في وقت سابق اليوم بينما أسير عائدة إلى المنزل، ضامة ذراعيّ لمواجهة البرد.

فكرت في أمي وبيتر وفي الكلمات التي لم تُقَل. لكن يمكنني أن أتحلّى بالشجاعة. يمكنني أن أخبر ويل عن شعوري.

لا يزال يعمل، لذا أرسلت إليه رسالة نصية تقول إنني وصلت إلى المنزل باكرًا، وأن يأتي عندما يكون جاهزًا، ثم صعدت إلى غرفة النزلاء. هناك سرير ذو حجم كبير، وحامل حقيبة سفر، وإبريق للماء على صينية، لكن الوظيفة الرئيسة للغرفة بقيت مخفية وراء أبواب الخزانة القابلة للطي.

فتحت أبواب الخزانة ومررت أصابعي على تنانير ملونة وبلوزات ذات أكمام وذكريات. جميع فساتين أمي لحفلات الكوكتيل والملابس الاحتفالية، وكثير من ملابسي أيضًا. هناك الفستان الأرجواني الحرير

المضلع، وفستان السهرة الأسود ذو الأكمام الطويلة. هناك فستان أزرق فاتح مفتوح من عند الصدر على شكل حرف A معلق بجوار فستان أبيض قصير بشريطة من الساتان الأزرق الفاتح. جزء كبير من حياتنا مَجْدول في هذه الخيوط.

فستان أمي الشيفون الأخضر وسترة البوليرو الوردية المطرزة: أنا وبيتر نُعِد حفل شاي فاخر، وأمي تعود إلى المنزل لتجد أننا نتناول الشطائر بعدما أزلنا القطع المقرمشة ونستمع إلى فرقة سماشينج بمبكينز.

الفساتين المنقوشة بالمربعات الصغيرة: عشاء الكريسماس عندما أعلن جدي وجدتي أنهما سينتقلان إلى الغرب.

فستان فضي بلا حمالات: أخبرت أمي أن سنّها أكبر من أن ترتدي شيئًا يظهر مساحة كبيرة من جلدها، حتى لو سترتديه في ليلة رأس السنة.

أخذت الفستان الفضي. يصل طوله إلى الأرض، مع شق بطول الساق. مثير جدًّا لحفل صيفي راقص، ويا إلهي، هو ضيق. جربت دزّينة من الفساتين الأخرى، وشعرت بالحرارة والحكة بينما أجرب، ولكن معظمها إما صغير جدًّا وإما مزخرف زيادة عن اللازم. أنا لا أحب الكشكشة، ولا الزهور الوردية، ولا الأكمام المرصعة بحجر الألماس الزائف. فتحت النافذة فهلَّت نفحة من الهواء البارد داخل الغرفة، تسببت في صفق الباب بقوة.

تعرقت، سحبت حفنة من الملابس حتى أتمكن من الوصول إلى الجزء الخلفي من الخزانة. حُشِر بين فستان شفاف لحفلات الشاي

وفستان مخطط بالأزرق الداكن والأبيض، فستان قصير أحمر مائل للبرتقالي ذو ياقة مفتوحة وحمالات رفيعة. لم أره من قبل. اللون الأحمر ليس حقًّا لوني المفضل، ولا لون والدتي أيضًا، لكن عندما ارتديته، وجدت القماش خفيفًا وانسيابيًّا. إنه يناسبني، لكن ليس بضيّق.

توجهت إلى المرآة الطويلة في غرفة النوم. بدا الفستان رائعًا. على طراز الثمانينيات، لكن ليس بشكل مبالغ فيه. اللون لائق بطريقة ما. بينما أبتسم لصورتي في المرآة، عرفت أن هذا ما أريد ارتداءه وأنا أخبر ويل بمشاعري، وأنا أخبره أنني أريد أن أكون جزءًا من حياته -حياته الحقيقية- حتى لو لم أعرف كيف سينجح ذلك. إن كان يشعر بالشيء نفسه، فسنجد حلًّا. سنضع خطة.

لذا، هذا يحسم الأمر. سأخبر ويل غدًا. سأخبره في أثناء رقصنا.

علقت كل شيء مرة أخرى ومررت يدي على القماش لآخر مرة.

همست: «شكرًا، أمي.» ثم أغلقت أبواب الخزانة.

تبقت يومية واحدة في دفتر اليوميات. كنت أحتفظ بها حتى أحصل على بعض الوقت وحدي. أخرجت الدفتر من درج المنضدة بجوار السرير، وأخذتها إلى الشرفة الخلفية. المكان هنا محميٌّ من الرياح، لكنني لففت نفسي بكنزة ثقيلة وبنطال مريح.

طل ويل برأسه من الباب عندما وجدت مكاني. قال: «مرحبًا.»

«مرحبًا.» قلتها بينما طل ببقية جسده. قميص أبيض. دون ربطة عنق. يوم الاجتماع غير الرسمي. «لم أعتقد أنني سأراك بهذه السرعة».

«انصرفت مبكرًا.» لاحظ الدفتر في يدي. «هل أقاطعك؟ يمكنني العودة في وقت لاحق».

«لا تفعل ذلك.» وضعت دفتر اليوميات جانبًا ووقفت، لففت ذراعيّ حول وسطه. قلتُ وفمي عند قميصه: «رائحتك زكيّة دائمًا. رائحتك أحلى من الرجال الآخرين.»

«سأتظاهر بأنك لا تعرفين رائحة الرجال الآخرين.» قالها مبتسمًا، دافعًا وجهي للوراء ورافعًا ذقني بأصابعه. قبلني، قبلة متمهلة لذيذة وحلوة كحلوى الليمون. «سأتظاهر بأنه لم يكن هناك أحد سوى أنا وأنت».

ضحكت وقلت: «كلانا يعلم أن هذا غير صحيح نهائيًّا».

قال متتبعًا خط فكي بأنفه: «لكن ألن يكون جميلًا لو كان صحيحًا؟»

«لا أعرف... ربما لم نصر بارعين بهذا القدر دون كل تلك الخبرة».

قال: «أو ربما لصار الأمر أفضل. لو لدي عشر سنوات لمعرفة ما تحبينه بالضبط.»

«أعتقد أنك تبلي بلاء حسنًا. ولكن إن كنت ترغب في مزيد من التدريب...» أخذت يديه وقدته إلى داخل الأريكة، خلعت عنّي بنطالي الرياضي وجذبته فوقي. أردت أن أشعر بوزنه الكامل يضغطني إلى الوسائد.

بعد ذلك، نظرنا إلى الوسائد المتناثرة، والقميص المُلقى فوق المصباح.

قال ويل بعد أن استلقى وأقعدني على حجره: «قد نحتاج إلى أن نحاول فعل ذلك مرة أخرى، للتأكد من أنني فهمتها بشكل صحيح».

«فكرة جيدة. سأطلب العشاء من المطعم حتى تتمكن من تركيز طاقتك في الدراسة الليلة. امتحانك النهائي بعد...» كلمة «أسبوع» على وشك الانفلات من بين شفتي. تلاشت ابتسامة ويل، واستقر ثقل بيننا.

سألته: «هل يمكننا أن نتظاهر الليلة وكأنك لن تغادر يوم الأحد؟ كأنها أي ليلة أخرى؟»

تلألأ شيء في عيني ويل، لكنه سرعان ما انطفأ. حرك يديه إلى أسفل ظهري، وجذبني إلى صدره بقوة وقال: «إذا كان هذا ما تريدينه.»

«الليلة فقط.»

طلبنا من المطعم سمكًا ورقائق بطاطس وسلطة كرنب، وأكلنا بملابسنا الداخلية على أريكة غرفة المعيشة ونحن نشاهد حلقات مسلسل Frasier المعادة. عندما انتهينا من العشاء، هز صوت الرعد النوافذ. اندفعت إلى الشرفة لأنقذ يوميات أمي، أعدتها إلى المنضدة بجوار سريري. ارتدينا ملابسنا وجلسنا عند المدخل الخشبي الأمامي، نحتمي من العاصفة، ونشاهد البرق يتشعب عبر السماء السوداء.

توجهت وويل إلى السرير. وأنا أشعر أن البقاء معه مستحيل ولكن حتمي، تمامًا مثل مغادرته. لكنني لم أُرِد التفكير في ذلك الجزء الآن. جلست بجواره بعد انتهاء العاصفة، بشكل ممتع ومريح، متتبعة خطوط وشم الشجرة على ذراعه بإصبعي، كتبت اسم «فيرن» فوق قلبه بعدما غفا.

تلك أول ليلة لا أستطيع النوم فيها منذ بدأنا ننام على سرير واحد. أشعلت الضوء، وعندما لم يتحرك ويل، مددت يدي وأخذت دفتر اليوميات وفتحته على اليومية الأخيرة.

8سبتمبر 1990

بقي ليلتان حتى أسافر إلى أوروبا!

أنا ذاهبة. بعد يومين منذ إخباري لأمي وأبي بالخبر، جاء بيتر ومعه مزيد من الكتيبات عن الحمل لمساعدتي في إقناعهما بأن السفر أمر مقبول. أعتقد أنهما لم يعودا مذعورين أخيرًا، أو أنهما نجحا في إخفاء ذلك. أنا في نهاية الشهر الثالث تقريبًا، وآمل أن يتوقف القيء في أي لحظة الآن.

متحمسة للرحلة. أتطلع إلى أن أكون في الثانية والعشرين من عمري دون أي مسؤوليات لفترة أطول قليلًا. سأسافر ستة أسابيع. إيطاليا وفرنسا وإنجلترا.

عرض عليّ بيتر أن يوصلني إلى المطار. لم يذكر ما أراد أن يخبرني به في اليوم الذي أخبرته فيه بأنني حبلى. لست متأكدة أنه سيفعل ذلك أبدًا. لكنني بدأت أتمنى أن يفعل. لا أستطيع تخيل الحياة دون بيتر. أعتقد أن هذا يعني شيئًا ما. شيئًا كنا نتجه نحوه منذ أخذته في جولة في المنتجع قبل خمس سنوات.

صُدِمَت ليز عندما أخبرتها بالخبر، انزعجت قليلًا من تغيير الخطط، لكنها قررت السفر بمفردها طوال سنة كاملة.

أعترف أنني أشعر بالغيرة بعض الشيء، ولكن عندما أشعر بالإحباط هذه الأيام، أملّس على بطني وأتحدث إلى طفلتي، أنا متأكدة أنها فتاة. أدعوها «بازلتي بيا الصغيرة الحلوة» أخبرها كم أحبها. أقول لها إنني سأحبها بما يعوِّض عن عشرة آباء. وأحكي لها قصصًا عن كل الناس الذين سيكونون جزءًا من عائلتها الكبيرة والرائعة هنا، جدتها وجدها، وآل روز. وبيتر. أخبرها كيف لن تشعر بالوحدة أبدًا عندما تكون في الوطن. أقول لها إنني لا أستطيع الانتظار لمقابلتها، لكنني لا أحتاج إلى أن أقابلها لأعرف أنني لن أحب أي شخص آخر بقدر ما أحب ابنتي.

وضعت الدفتر على السرير بجانبي. بذلت قصارى جهدي لأبكي بهدوء، لكن عندما التقطت نفسًا مرتجفًا، تحرك ويل.

همس قائلًا: «مرحبًا. ما الذي حدث؟»

لكن الكلام أصبح مستحيلًا في أثناء بكائي بهذه القوة.

غمغم وهو لا يزال نصف نائم: «اهدأي. كل شيء على ما يرام.»

هززت رأسي.

«كان مجرد حلم.»

صحتُ: «لا. كان حقيقيًّا. أمي.»

هذا كل ما احتجت إلى قوله. قبَّل خديَّ ومسح دموعي، ثم أدراني حتى التصق ظهري بصدره. وضع ساقه فوق ساقي، قرّبني من حضنه أكثر. أمسكتُ الذراع الملتفة حول صدري. قلت: «لقد أحبتني. كثيرًا.»

همس وشفتاه قُرب رقبتي «بالطبع كانت تحبك.» قبل رقبتي وأردف: « كانت أمك.»

ارتجفت وذرفت كثيرًا من الدموع وقلت: «لكنها لم تعلم.»

ضمني حتى توقفت عن البكاء. قال: «لم تعلم بماذا، فيرن؟»

أخذت نفسًا عميقًا وقلت: «لم تعلم أني أحبها أنا أيضًا.» احتضنني ويل بقوة. قال: «كانت تعلم.» قبل كتفي.

أومأت، لكنني لم أستطع التخلص من الشعور بأنني، لو كنت ابنةً أفضل، لأخبرتني عن بيتر. لو عرفت مقدار حبي لها، لوثقت بي وكشفت لي عن مشكلات المنتجع.

قال ويل وشفتاه قريبتان من جلدي: «فيرن، هل يمكنني إخبارك بشيء؟»

استدرت لأواجهه.

قال: «لقد أخبرت والدتك أنني قابلتك.»

«ماذا؟»

«أخبرتها كيف التقينا. أخبرتها بمدى حبك للمكان هنا، وأنني يجب أن أراه بنفسي».

«أنت فعلت ذلك؟»

«فعلت ذلك. تحدثنا عبر الهاتف قبل وقت قصير من الحادث.» أزاح شعري عن جبيني وأردف: «قالت إنني لا أعرف مدى سعادتها بذلك».

التفت كلماته حولي مثل لحاف محشو بريش ناعم. *أحبك*، كدت أقولها. لكنني تذكرت الفستان الأحمر والرقص مع ويل، موعده غدًا.

يمكن أن يكون لدينا أكثر من هذا الصيف. هذا هو آخر ما فكرت فيه قبل أن أغفو.

عندما استيقظت، كان ويل قد رحل.

24

14 يونيو، قبل تسع سنوات

وصلتُ إلى المرفأ مبكرًا. أخبرت أمي أنني سألتقي صديقة، لكنني تعمدت أن أبقى غامضة في كل التفاصيل الأخرى. كانت رحلتي الأولى إلى الوطن منذ الكريسماس، وقد راودتها الشكوك. تخرجت في الجامعة قبل عام، ودائرة أصدقائي صغيرة؛ هي أشبه بمثلث في الواقع. وتني وكام في الشمال، وآيلا صديقتي الجيدة في المدينة. بصرف النظر عن زملائي في العمل في مقهى تو شوجارز، لم أكن مقربة من أي شخص آخر.

مر اثنا عشر شهرًا منذ رأيت ويل آخر مرة. بعد أن غادر شقتي، قضيت الصباح في السرير، محدقة إلى المكان الذي اضطجع فيه الليلة الماضية، وكلماته تتكرر في رأسي.

لا تزال حياتك.

لم تكن هذه معلومة جديدة تمامًا، لكنني شعرت وكأنني أرى نفسي في إضاءة مختلفة. إضاءة ويل. قناعته بأنني بحاجة إلى أن أبقى أمينة مع أمي، وشغفه بالفن، ألقيا ضوءًا بقوة ألف واط على مقدار سلبيتي تجاه مستقبلي. كنت أدع الحياة تحدث لي.

كررت كلماته لنفسي في مرآة الحمام في وقت لاحق في ذلك اليوم. كان يوم أحد، وعندما حان وقت الاتصال بأمي، أمسكت بالقائمة

التي كتبها ويل، محدقة إلى العناصر الأربعة للخطة. شرحت لأمي أن لدي شيئًا أريد إخبارها به، وأنني لست متأكدة كيف أقوله، لكنني لا أريد أن أعمل في المنتجع هذا الصيف. أو أي صيف آخر. أو أبدًا.

قالت: « لا أفهم. ستعودين إلى الوطن خلال أسبوع. عائلة روز تُحضر لحفل. حجزت لك في مكتب الاستقبال خلال شهر يوليو. كنت سأعلمك كيفية الجدولة. طلبت لك زيّ عمل جديد.» تحدثت بسرعة دون التوقف لتتنفس. «اشتريت حبوب قهوة جيدة، اشتريت مطحنة فاخرة لا أستطيع فهمها حتى الآن. كنت سأفاجئك في صباح عودتك الأول. لطالما قلتِ إن قهوتي خفيفة جدًّا.» سمعتها تتنفس بصعوبة. عندما شرعت في الحديث مرّة أخرى، أخذ صوتها يرتجف. «كنت أتطلع لأصباحنا على البحيرة. اعتقدت أننا سنقضي الوقت معًا بهذه الطريقة أنا وأنتِ يا بيا.»

أغمضت عيني. اعتذرت وقلت لها إنني أقدّر كل ما قدمته لي. قلت لها إنني لا أريد حياتها. أريد حياة تخصني، مهما كانت.

بقيت هادئة لبضع دقائق، ثم قالت بنبرة لا تنم على شيء: «حسنًا، فيرن. اذهبي واكتشفي حياتك، لكنني لن أدفع ثمن ذلك.» كدتُ أقول إنني لا أدخر أي مال، لكن الخط كان قد انقطع.

مُرتعشة، تركت هاتفي. كرهت أن أجرح أمي. لكنني أيضًا كنت مشتعلة بالأدرينالين. لقد فعلتها. لن أعود إلى البيت بعد أسبوع. لن أعمل في بروكبانكس. بصعوبة استطعت أن أصدق ذلك. وجب أن أتصل بمديري وأتوسل إليه للحصول على مزيد من مناوبات العمل. وجب أن أخبر جيمي ووتني. لكن أكثر شخص أردت التحدث معه كان ويل. لكنني لم أستطع.

لم أتواصل مع ويل مرة واحدة، رغم أنني -في المرة الأولى التي ثملت فيها بعد رحيله ووجدت نفسي وحيدة في شقتي- كتبت اسم «ويل باكستر» في شريط البحث في جوجل. وجدت مقالة في صحيفة *فانكوفر صَن* عن معرض فني للطلاب، يتضمن صورة لويل وهو يبدو مثلما أتذكره. بحثت على صفحته على فيس بوك، كانت الصورة الشخصية رسمًا كاريكاتوريًّا لنفسه، لكنني لم أطلب صداقته. بحثت عن «*شركاء السكن*» متمنية أن يكون لرسمه الهزلي أثرًا على الإنترنت، لكنني لم أجد أي شيء.

قضيت اثني عشر شهرًا متحرقة إلى رفقته، ابتسامته الواسعة، ضحكته المتفجرة. ثقته. تخيلت كيف سيكون يومنا إن كنا عازبين. تخيلت أن الليلة لصارت مختلفة تمامًا. تخيلت أنني أقبّل ندبته.

قضيت اثني عشر شهرًا أفكر كيف سيكون الأمر عندما أراه مرة أخرى. سوف آخذه في جولة بالزورق. سنجدف شمال البحيرة حتى نصل إلى شاطئ رملي هادئ ونجلس وندلّي أصابع قدمينا في المياه، وسنتحدث. نتحدث لساعات طويلة.

كان هناك كثير مِمّا أريد قوله لويل؛ كيف بقيت في شقتي في تورونتو وكيف أفلست، لكن أكثر سعادة مما كنت عندما قابلته. أردت أن أخبره أنني أعمل بدوام كامل في مقهى تو شوجارز، وأن الناس أحبوا لوحته الجدارية. ابتسمت كلما رأيت سعفة السرخس الصغيرة المرسومة على ذيل الطائرة. أردت أن أخبره عن الفكرة التي خطرت على بالي لفتح مقهى لي يومًا ما. أردت أن أخبره أنني ذهبت إلى حديقة هاي بارك لأرى زهور الكرز في الربيع. أردت إخباره أنني عزباء.

قررت ألا أذهب إلى بانف مع جيمي. أقنعت نفسي بأن السبب في ذلك هو عدم قدرتي على تحمل تكلفة تذكرة الطيران، وعدم رغبتي في التخلي عن شقتي.

يوم ثلاثاء في أوائل يوليو هو يوم انفصاله عني. كنت قد عدت توًّا إلى المنزل بعد مناوبة عمل مضاعفة، عندما رنّ جرس الباب. عرفت سبب مجيئه بمجرد أن رأيته. جلسنا على الدرج الأمامي للمبنى، وقال لي جيمي إنه يشعر أن حبه لي وكأنه يمسك الماء. قال: «أحاول أن أتمسك بك بشدة، فيرني. أعتقد أن كلينا بحاجة إلى مواجهة المغامرة التالية بمفرده.» عرفتُ أنه يفعل ما عليَّ فعله بالفعل، لكنني تألمت عدة أسابيع.

قالت وتني إنها تفهمت سبب عدم رغبتي في العودة إلى الوطن، لكنها بعد ذلك سألتني، لماذا لم أذكر شيئًا في أثناء زيارتها، ويمكنني أن أقول إنني جرحتها هي أيضًا.

لدى آيلا -أقرب صديقة لي في تورونتو- تدريب في كالجاري حتى سبتمبر، ولم تكن علاقتي بزملائي في مقهى تو شوجارز قوية كفاية لتتعدى الشُرب في المناسبات بعد العمل. كنت وحيدة.

نظرت مرات لا تحصى إلى الشق في سقف غرفتي وتساءلت إذا كنت قد ارتكبت خطأ فادحًا بعدم العودة إلى الوطن. ولمرات أكثر، كدت أن أرسل طلب صداقة لـويل على فيس بوك. رغبت باستماتة في التحدث إليه. لدي مشاعر تجاهه، تمكنت من الاعتراف بذلك. ولكن فوق كل شيء، احتجتُ إلى صداقته.

الرابع عشر من يونيو أحد تلك الأيام التي قضيناها معًا في الظهيرة، عندما تشكّل البحيرة والسماء قوسين زرقاوين حول التلة خضراء في الضفة المقابلة. ازدحم الشاطئ بالعائلات، الزوارق والقوارب وألواح التزلج منثورون في المياه. لم يكن الجو حارًّا مثل اليوم الذي قضيته مع ويل، لكنه الشعور نفسه في الهواء، بدأت إثارة الصيف والحماس توًّا.

شابان مراهقان كانا يعملان في كوخ التجهيزات، من الواضح أنهما لم يجربا غضب مارجريت بروكبانكس بعد، لأن المرفأ مغطى بأوراق الصنوبر. انحنيتُ ودلفت للداخل وألقيت التحية سريعًا، وسحبت مِقَشة لأبقي نفسي مشغولة.

فوجئت عندما تأخر ويل. بدا لي أن لديه نوعًا من المسؤولية؛ طريقته في الاطمئنان على شقيقته، فكرته عن خطة العام الواحد، حتى إصراره على ألا نبقى على اتصال. كنت واثقة بأنه سيكون هناك. حدقت إلى المبنى الرئيس، وعندما لم أرَ أي أثر له، جلست على حافة المرفأ. ارتديت ملابس مناسبة لآخذه في جولة بالزورق: سروالًا قصيرًا قطنيًّا، ولباس سباحة أخضر اللون، اشتريته لأنه يذكرني بالأشجار في لوحات إميلي كار.

وضعت كل المستلزمات في حقيبة مصنوعة من القش: شطيرتين، وزجاجتين من الليمون من شركة سان بيلليجرينو أحضرتهما معي من تورونتو، وواقي الشمس، وقبعة لويل.

انتظرت حتى ساورني القلق أن أنفي قد يتسلَّخ؛ فارتديت القبعة.

انتظرت حتى غرقت الشمس لأسفل في السماء.

انتظرت ويل باكستر ساعات.

بعد ذلك، أخيرًا، شعرت بوخز أنني مُراقَبة. نظرت خلفي ووجدت عينين رماديتين متطابقين مع عينيّ. ضربني الإحباط بخبطة واحدة سريعة.

جاءت أمي إلى المرفأ.

سألتني وهي تخلع نعلها الذهبي وتجلس بجانبي، ليداعب عطرها أنفي: «تريدين أن تحكي لي عنه؟» كانت مرتدية للظهيرة فستانًا فيروزيًّا وجواهر ذهبية سميكة.

لم أرد.

لا يمكن إنكار الاضطراب الذي حدث بيننا بعدما أخبرتها أنني لن أعود إلى الوطن.

جاءت وبيتر لحضور حفل التخرج وأخذاني لتناول العشاء بعد الاحتفال، لكن الليلة انتهت بشجار بيني وبين أمي. لم أزرها في المنتجع إلا في نهاية الصيف. عندما استيقظت في صباح أول يوم عدت فيه إلى الوطن، كنت حائرة. لم توقظني أمي للذهاب إلى البحيرة لنشرب قهوتنا. كانت قد ذهبت بالفعل إلى المبنى الرئيس. لم توقظني في اليوم الذي تلاه أيضًا.

أما الكريسماس فكارثة بسيطة. تحدثت كثيرًا عن أشياء لا أهمية لها، لكنها نادرًا ما استطاعت النظر في عيني. أحيانًا ألمحها وهي تتفحصني كما لو أنني غريبة، كما لو تعيد تشكيل فكرتها الكاملة عمن أكون.

كانت متشددة مع بيتر وعملت في يوم الكريسماس، وهو دائمًا عطلة مقدسة. طهوت وبيتر عشاء الكريسماس معًا. شغلنا أغاني *هايم* الجديدة بصوت مرتفع، وكنت أقشر البطاطس بغضب، أستشيط لأن أمي لم تسأل مرة واحدة عن المقهى. قال لي بيتر إنني يجب أن أتحلى بالصبر، وأنها بحاجة إلى مزيد من الوقت للتكيف مع قراري.

قلت شاكية: «كل اهتمامها هو هذا المكان.» شعرت وكأن ما افترضته على مدار حياتي قد ثبت. الآن -ولأنني لن أكون جزءًا من بروكبانكس- لم يعد لدى أمي وقتًا لي، ولم يكن لديها كثير من الأصل.

أعطاني بيتر حبة بطاطا أخرى. قال: «عندما كانت والدتك في سنك، حلمت أن تتولى إدارة المنتجع من جدك وجدتك. لقد بذلت كل ما لديها لتنجح، لتثبت أنها تستطيع فعل ذلك بمفردها. لكن خلال الأربع سنوات الماضية يا فيرن، كل ما حلمت به أن تعمل بجانبك».

نظرت إلى البطاطا في يدي مدهوشة. لقد وعدت بيتر أن أكون أكثر تساهلًا معها، لكن عندما تأخرت عن عشاء الديك الرومي، قررت أن أقصِّر رحلتي ولم أعد حتى الآن.

جلست وأمي جنبًا إلى جنب على المرفأ، نشاهد مراهقين يحاولان قيادة لوح التزلج على المياه. أخذت القبعة عن رأسي.

قالت: «يمكنك البدء باسمه.»

فكرت في إنكار أنني كنت سألتقي شابًا، وإخبارها بأن اسم صديقتي هو بيث أو جين، لكن دمعة سقطت على خدي. مسحتها بباطن كفي.

«اسمه ويل.»

استغرقت لحظة لتستوعب ما قلته، ثم قالت: «وكان سيقابلك هنا، في الوطن؟» شاب صوتها الريبة.

«كان من المفترض أن يقابلني هنا.»

«هل علاقتكما جديّة؟»

«اعتقدت أنها يمكن أن تكون كذلك.» مسحت خدي مرة أخرى وقلت: «حضرت له قائمة أغانٍ منوعة على قرص مضغوط.»

قضيت ساعات في تجهيزه. أردت أن يكون ذا روح صيفية وله معنى، لكن ليس بطريقة *«أنا مغرمة بك تمامًا»*. لم أكن أعرف إن ما زال على علاقة بفرِد أو بفتاة أخرى، أو إن شعر بما شعرت به. وضعت بعض الأغاني التي استمعنا إليها في المقهى، وبعض الأغاني التي تذكرني باليوم الذي قضيناه معًا، وبعض الأغاني التي تذكرني به. التيمة الوحيدة، حقًّا، كانت ويل.

قد تكون الموسيقى هي اللغة التي نتشاركها أنا وبيتر، لكن أمي تعرف ماذا يعني عندي تحضير قائمة أغاني لشخص ما. وضعت يدها ذات طلاء الأظافر الوردي على فخذي وهزت ساقي بخفة. قالت في ثبات: «هو الخاسر، فيرن.»

قلت: «ربما.» رفعت ذقني للسماء لأمنع دفقة جديدة من الدموع.

ضغطت أمي براحتيْ يديها على وجنتيّ، وأدارت وجهي حتى تتمكن من النظر في عينيّ.

قالت دون أن تجفل: «لا، يا بيا. هو الخاسر. ليس لديه فكرة عما أضاعه.»

أخذت نفسًا متداعٍ وسألت: «تعتقدين ذلك؟»

لفت ذراعيها حولي وجذبتني إلى صدرها، بالطريقة التي كانت تفعلها في صغري.

قالت وشفتاها بالقرب من شعري: «آه يا عزيزتي. أنا أعرف».

25

الآن

لا إخطار، ولا رسالة نصية، ولا بريد صوتي. لا شيء يفسر غياب ويل.

في البداية اعتقدت أنه ربما لديه اجتماع مبكر ولم يرغب في إيقاظي، لكن عندما ارتديت بنطالًا رياضيًّا وتوجهت إلى الكوخ رقم 20 تحت رذاذ المطر، لم أجد ضوءًا مشتعلًا في الداخل. لم أرغب في طرق الباب في حال كان معه مكالمة، لذا تسللت حول الشرفة الأمامية لأختلس نظرة داخل المطبخ، لكن الستائر منسدلة.

في طريقي للعودة إلى المنزل، قلت لنفسي إنه ربما ذهب للجري أو للتنزه ليشم هواءً نقيًّا. تحممت بمياه ساخنة، لكنني لم أجده في الطابق السفلي كما توقعت عندما خرجت. أعددت القهوة، فكرت أنه سيدخل من الباب في أي لحظة. لكن بعد شرب فنجانين، تسلل الذعر إلى أطرافي كالضباب البارد.

أرسلت إليه رسالة نصية.

أين ذهبت؟

انتظرت ظهور الثلاث نقاط الصغيرة التي تدل على أنه يكتب ليرد، لكنها لم تظهر. ارتديت ملابسي، بيد أنه لا رد.

مشيتُ نحو المبنى الرئيس، تصاعد الدخان من مداخن الكوخ، رائحته ملأت الضباب. حرارة نهاية الصيف تحولت إلى برودة الخريف المبكر. دارت الأفكار في عقلي، لكن ساقيّ كانتا ثقيلتين. لا بد أن هناك شيئًا خطأ. ربما أزمة في العمل. ويل لن يغادر فجأة. لن يختفي عني. ليس مرة أخرى.

جلست على كرسي مكتبي، غير متذكرة أنني مررت بالبهو لأصل إلى هنا. تحققت من بريدي الإلكتروني، لكن لم يصل إليَّ شيء منه. حدقت إلى الحاسوب. ما زلت جالسة هناك، عيناي غير مركزتين على شيء، حتى فتح جيمي الباب بعد ساعة. كان غاضبًا من شيء يتعلق ببائع الزهور وتأخير في الشحنة، لكنه توقف في منتصف الجملة.

انحنى أمامي وقال: «هل أنتِ مريضة؟» وضع يده على جبيني. «أنتِ متعرقة، لكن لا يبدو أنك مصابة بالحمّى.»

جفلت: «صداع بسبب الشرب.»

«اللعنة، فيرني. هذا يوم كبير. هل تريدين أن أحضر لك مشروب الجاتوريد[1]؟»

«يوم كبير؟»

قال: «حفل الرقص. كم شربتِ البارحة؟» حفل الرقص.

قلت: «سأذهب لأبحث عن زجاجة الجاتوريد.» نهضت عن الكرسي، متجاهلة عرضه. احتجت إلى بضع دقائق وحدي لأستعيد توازني. «بعدها يمكنك أن تقحمني في العمل.»

(1) مشروب يحتوي على مكونات تعويض السوائل والأملاح التي يفقدها الجسم بعد ممارسة الرياضة، أو في حالات الجفاف. (المترجمة)

خرجت لأستنشق بعض الهواء. زاغ بصري نحو المرفأ، وأخذت أرتجف.

أنت وأنا بعد عام واحد، فيرن بروكبانكس. لا تخذليني.

مر اليوم ببطء دون أي أثر لويل. لم يسمح لي جيمي بالدخول إلى غرفة الطعام للمساعدة في التجهيزات. تركت لويل أربع رسائل صوتية وكثيرًا من الرسائل النصية، أسأله أين هو وإن كان كل شيء على ما يرام. وفي الوقت نفسه، لم أستطع الشعور بالدفء. لسعة البرد تخللت عظامي. صرت أرتعش بشدة، في وقت متأخر بعد الظهر، عندما ذهبت إلى المنزل لأبدل ملابسي، جزعة وقلقة. لا بد أن هناك شيئًا خطأ.

تحممت، جففت شعري، ووضعت مساحيق تجميل. عندما ارتديت الفستان الأحمر، نظرت في المرآة، متمنية أن يكون هناك. أردت أن يكون بخير. أردت أن نكون بخير. أردت أكثر من أن نكون بخير. حقيقة ما أرغب فيه مع ويل عصفت بي بقوة لدرجة تحتم عليّ الجلوس.

اتجه جَمع غفير من النزلاء نحو المنتجع، تبعتهم وأنا أمرر يدي على جلد ذراعي المنتفخة. لم أنتبه عندما دخلت البهو وكدت أصطدم بظهر السيدة روز اللمَّاع.

«فيرن، عزيزتي، ما الأمر؟ وجهك متغضن تمامًا مثلما كان في سن المراهقة.»

اعتذرت وأخبرتها كم تبدو رائعة، ثم أعدت ترتيب وجهي لأبدو مُعجَبة بشكل مناسب عندما أدخل غرفة الطعام.

لكنني لست بحاجة إلى التصنع، لأن التحول كان دراميًّا، انبهرت. كل شيء وردي اللون. المفروشات وردية، زهور الداليا وردية، البالونات وردية. رُتِّبَت الطاولات لتحيط بمسرح الرقص بشكل دائري، ويوجد حوالي مائة سلك من الأضواء اللامعة معلقة على العوارض. الشموع تلألأت في كؤوس زجاجية في جميع أنحاء الغرفة. الفرقة بالفعل على المسرح، يعزفون أغنية «Be My Baby».

في العادة لا يبدأ الرقص إلا بعدما يحل وقت تناول الحلوى، لكن بمجرد أن وضعت السيدة روز حقيبتها، بدأت هي والسيد روز بالرقص على الفور.

«أعجبك؟» باغتني جيمي بسؤاله. استدرت لأجد أنه وجد ربطة عنق خضراء مطبوعة بزهور وردية لتتناسب مع بدلته السكّرية.

«مذهل يا جيمي. أعتقد أنك ربما تفوقت على أمي.»

قال: «لا.» لكنه سعيد.

«أنا جادة. شكرًا جزيلًا على كل...» توقفت عن الكلام. تغيرت الموسيقى وبدأت الفرقة في عزف أغنية «Love Man» ضيقت عينيّ. «أي نوع من الفِرَق حجزت يا جيمي؟»

قال: «عادةً ما يقدمون أغاني الموتاون. لكنني ربما طلبت أو لم أطلب قائمة أغانٍ ممتلئة بأغانٍ من فيلم Dirty Dancing.

هززت رأسي وقلت: «أنت الأسوأ.»

«أنا سعيد فقط أنك هنا» ثم هز حاجبيه وقال: «يا صغيرتي.»

ضحكت، نسيت ويل للحظة قصيرة رائعة. حلَّ وقت فيه كل شيء في تلك الليلة -حفل نهاية الصيف، الفرقة المستأجرة خصيصًا

لمضايقتي، الغرفة الممتلئة بالنزلاء- لصار كابوسي الأعظم. رأيت وتني وكام وهما يُقادان إلى طاولتهما، وقطيع من الأطفال يرقصون مع آل روز. بيتر يراقب في أحد الأركان النُدُل وهم يقدمون سلالًا من أرغفة الخبز الملفوفة. أشعر الآن فقط... أنني في الوطن.

أخذت الفرقة استراحة لفقرة المواهب في المساء. أداء السيد والسيدة روز لأغنية «The Surrey with the Fringe on Top» حصل على تصفيق حاد. إنها واحدة من أكثر حفلات نهاية الصيف حيوية التي رأيتها. تجولت من طاولة لأخرى، وعيناي تتحولان باستمرار إلى باب المدخل. لكن ويل لم يدلف من خلاله. بحلول وقت تقديم الحلوى وبدء الفرقة في مجموعتها الثالثة، تلاشى الوهج الذي شعرت به قبل قليل هذا المساء وتحول إلى عدم، وتعين عليّ كبت الدموع. لماذا لا يدخل ويل من ذلك الباب؟

تمنيت لو أمي هنا. لا أريد أي شيء سوى أن أدس نفسي في أحضانها، مستنشقة عبير عطرها الحلو وملح بشرتها، تمامًا مثلما كنت أفعل وأنا صغيرة.

بحثت عن جيمي لأخبره أنني سأغادر، سأعود إلى المنزل لأتصل بـويل. مرة أخرى.

سمعت بيتر يقول من خلفي: «هل يمكنني أن أرقص معك؟»

ارتدى بدلة فحمية اللون، هي نفسها التي ارتداها في الجنازة، ربما هي الوحيدة التي يمتلكها.

«أنت لا ترقص.»

قال: «أنتِ أيضًا لا ترقصين. لكن دعينا نُحدِث استثناءً.» مد كفه الكبيرة لي، تبعته إلى مسرح الرقص.

تحركنا ببطء بين الأزواج الآخرين، وبعد دقيقة تنحنح بيتر وقال: «أنت تشبهينها كثيرًا، تعرفين ذلك؟»

عبستُ وقلت: «أنا؟»

«ليس في مظهرك فقط، رغم أنني اعتقدت أنني رأيت شبحًا قبل قليل هذا المساء، وأنت ترتدين ذاك الفستان».

«عرفته؟»

أومأ بيتر مؤكدًا: «يوم كندا الوطني، أعتقد. ربما كان ذلك في عام 1992».

أسندت رأسي إلى صدر بيتر وأخذت نفسًا عميقًا، تنفست عبير الكولونيا الحارة القديمة التي يضعها، ومعها لحظات حياتي معه ومع أمي. العشاء في العطلات وألعاب الورق ووجبات الإفطار المتأخرة في عيد الميلاد التي أعدها بيتر من أجلها.

«لقد جعلتِها تعود إلى هنا، وأخذتِ مكانها، هذا أمر ليس هيّنًا».

فكرت في ذلك للحظة ثم قلت: «لطالما اعتقدت أنني أشبهك أكثر».

قال بيتر: «قالت ماجي ذات مرة إنك تملكين قلبًا رقيقًا مثلي وعقلًا قويًا مثلها. اعتقدت أنها حاولت أن تُشعرني بأنني جزء من العائلة. لكن ربما لديكِ قليل من كلينا. على أي حال، كانت ستفتخر بك جدًّا.»

همستُ: «نعم.» ضاق حلقي.

تمايلنا في دائرة صغيرة، دون أن نتحدث.

بعد دقيقة، رجعت للوراء لأنظر إليه. سألته: «هل تعتقد أن كل هذا لأصبح أسهل لو تزوجتها؟ لو حصلت على ما تريده قبل وفاتها؟» لقد تساءلت عن ذلك.

توقفت قدماه: «لم يكن الزواج هو رغبتي، فيرن، بل ماجي. لم يكن الأمر سهلًا طوال الوقت، لكننا كنا دائمًا صديقين. دائمًا كان أحدنا موجودًا من أجل الآخر.»

احتضنت بيتر بقوة أشد، وبينما كانت كلماته تحدث تأثيرها في ذهني، هزتني الحقيقة بوضوح مفجع ومفاجئ.

قلت: «يجب أن أذهب.» ثم هرولت إلى البهو. سألت موظف الاستقبال إذا كان بإمكاني البحث عن شيء ما على الحاسوب، ورغم أنني كنت أعرف ما سأجده، فإن صدمة رؤية الأمر مكتوبًا أمامي سببت لي دوارًا.

خرجت مسرعة من المبنى الرئيس، متخيلة جميع الكلمات البذيئة التي سأستخدمها عندما أصل إلى ويل أخيرًا على الهاتف. لكنني بعد ذلك سمعت صوت وتني.

«فيرن، انتظري!»

هرولت لتلحق بي، حاملة حذاءها ذا الكعب العالي بيد، وثدييها باليد الأخرى.

لهثت: «الحمد لله أنني ارتديت البدلة المريحة. أفضل بكثير لملاحقة الأصدقاء المقربين الهاربين.»

«أنا لست هاربة.»

«لقد هربت حرفيًّا من الحفل كمن يهرب من مسرح جريمة. ما الذي يحدث؟»

شرحت لوتني الموقف، جحظت عيناها العسليتان، خشيت أن تنفجر بعض أوعيتها الدموية.

«سجل ويل خروجه هذا الصباح.» أنهيت كلامي. الملاحظة المكتوبة في ملفه تفيد بأنه سيُرسِل أحدًا لاستلام أمتعته. لا بد أنه خرج في عجلة من أمره. صرخَت: «أنه ماذا؟ اختفى هكذا؟ مرة أخرى؟ لا، سأقتل هذا الرجل. هل هذا هو مكانك؟»

لفت نظري فرعًا من أوراق القيقب الحمراء يتمايل مع الريح، أول حُمرة للخريف. إذًا هذا هو الأمر، انتهى الصيف ورحل ويل.

هززت رأسي وقلت: «سأذهب إلى البيت. أحتاج إلى التحدث معه. عودي إلى الحفل ومتعي نفسك.»

نظرت وتني خلفها وهي في المبنى الرئيس. كان كام منتظرًا على الدرج الأمامي. «هل أنت متأكدة؟ يمكن لكام أن يأتي ليأخذني غدًا. في جعبتي كثير من الكلام المسيء عن ويل. يمكنني الاستمرار طوال الليل.»

«لا، حقًّا، وِت. أريد أن أكون وحدي، حسنًا؟»

قالت في تردد واضح: «حسنًا. لكن إن قررت أنك بحاجة إلى صُحبة، فأخبريني.»

اتصلت بويل بمجرد وصولي إلى البيت، متجولة في أرضية المطبخ. تحولت المكالمة إلى البريد الصوتي للمرَّة التاسعة عشرة. لكنني لن أسمح له بتجاهلي. اتصلت مرة أخرى. ومرة أخرى. ازداد غضبي

مع كل رنة. وصل إلى أمي ورقة بها أربع عشرة كلمة عندما تخلى عنها إريك. أريد أكثر منهم.

وأخيرًا، أجاب ويل.

«فيرن.» تنهد في إحباط وهو ينطق باسمي، شعرت وكأنني غرقت في ماء بارد.

«لقد غادرت.» كان هذا كل ما استطعت قوله.

ثمة صوت مكتوم على الطرف الآخر من الخط، سمعت ويل يعتذر لشخص ما. ثم تشوَّش الخط بصوت الرياح التي خفقت في مكبر الصوت.

«هذا ليس وقتًا مناسبًا.» قالها ويل بصوت خالٍ من العاطفة مثل ضمادة لم تُفتَح.

صرخت: «ماذا تعني؟»

قال ويل: «أنا فعلًا لا أستطيع التحدث عن هذا الآن. يجب أن أعود».

قلت: «لا. لقد قلقت طوال اليوم، متسائلة أين ذهبت، وما إذا كنت بخير. أنت بحاجة إلى إخباري عما يحدث بحق الجحيم. سجلت خروجك من المنتجع؟ ما الذي يحدث؟ أين أنت؟»

انفلتت من ويل تنهيدة أخرى وقال: «أنا في المستشفى، فيرن.» بدا أنه يؤنبني. «صوفيا مريضة.»

انقبضت معدتي بمزيج من الخوف والارتياح. كنت أعرف أن هناك شيئًا خطأ. فورًا تحولت إلى وضع حل المشكلات. «أي مستشفى؟ كيف حالها؟ سأقود جنوبًا وألتقيك.» إن حزمت أغراضي

الآن، فسأتمكن من الوصول إلى المدينة قبل منتصف الليل. سأتصل بـجيمي بمجرد أن أخرج إلى الطريق. هل تحتاج السيارة إلى وقود؟ سألته بينما أفتح الثلاجة: «هل يمكنني أن أجلب لك أي شيء؟» لم يكن ويل قد أكل. يمكنني أن آخذ الفطيرة المتبقية التي أعدها للعشاء قبل يومين.

«فيرن، لا.»

توقفت عن الحركة.

«لا تأتي إلى هنا.»

قلت في حيرة: «ماذا؟ لماذا؟ يمكنني المساعدة.»

«لا أريد مساعدتك. أنا آسف، لكن أنت وأنا... كان خطأ. كنا خطأ. إنه خطأي. كان يجب أن أعرف ذلك من البداية.» بدا خاويًا. كأن هناك شخصًا غريبًا يحدثني من الطرف الآخر من الخط، وليس الشخص الذي ضمني بين ذراعيه وهمس بكلمات مطمئنة في أذني.

قلت له بصوت مكسور: «لا أصدقك.»

فكرت في أغاني باتي سميث والبطاقة التي أعطاها لي. *أنت تعرفين من أكون. وأنا أيضًا أعرفك*. نظرت إلى الموقد من خلفي، متذكرة كيف أعد الفطيرة وارتدى مئزر والدتي.

«ويل، أنا أحبك.»

لا شيء سوى الصمت في الطرف الآخر من الخط. فكرت في السباحة معًا في إحدى الليالي الماضية. كان الجو قائظ، لم نعبأ بتجفيف أنفسنا بعدها. جلسنا على حافة مرفأ العائلة، والمياه تتقاطر منّا،

أقدامنا في المياه. ضغط ويل شفتيه على كتفي وقال: «لا أعتقد أنني كنت أسعد مما أنا عليه الآن.»

قلت، وقلبي يضرب كالسوط في صدري: «أعتقد أنك تحبني أيضًا.»

قال: «فيرن، لا يمكنني ذلك.» وللحظة، بدا كأنه ويل مرة أخرى. لكن بعد ذلك أصبح صوته قاسيًا. «حان الوقت لكي نتوقف كلينا عن العيش في الخيال ونتقدم في حياتنا.»

كنت سأبدأ بالمجادلة، لكنه قطع الاتصال.

أبقيت باب الثلاجة مفتوحًا، محدقة إلى صحن الفطيرة المتبقية، غير قادرة على استيعاب ما حدث توًّا. قلت لويل إنني أحبه، لكنه لم يرد بمثلها. قلت له إنني أحبه، وهو أنهى كل شيء. صفقت باب الثلاجة لأغلقها. لم أبكِ.

ارتعشت يداي وأنا أملأ كوب ماء. أخذت رشفة، لكن حلقي كان مشدودًا للغاية، استطعت بصعوبة ابتلاع السائل. وقفت عند الحوض، تطلعت من خلال النافذة إلى كوخ ويل، حوّل الغضب دمي إلى حرارة. فكرت في البدلات المفصّلة لويل والقمصان البيضاء النظيفة المعلقة بترتيب في الخزانة.

أحضرت أعواد الثقاب معي.

أرجوك لا تكُن مُغلقًا. تمنيتها بينما تسلقت إلى الكوخ رقم 20. كنت مرتدية الفستان الأحمر وبلا حذاء، إن رآني أحد، فسيعتقد أنني مجنونة.

لست مجنونة.

أنا حانقة.

عندما أدرت مقبض الباب، انقاد، فاقتحمت الداخل وتوجهت مباشرةً إلى غرفة النوم. فتحت الخزانة بعنف، حدّقت ملابس ويل إليَّ. أمسكت بأكبر عدد من السترات والقمصان والبناطيل ما استطعت، جمحت رغبتي في دس أنفي في القماش واستنشاق رائحة ويل. حملت الأمتعة إلى غرفة المعيشة، وتعثرت قدمي في شيء ما. عندما استدرت لأرى ما الذي أعاق طريقي، تجمدت في مكاني.

أوراق مبعثرة على الأرض، ودفتر رسم كبير موضوع على طاولة القهوة، وقلم رصاص بين حلقات سلك الدفتر الدائرية. لم أنتبه لسقوط الملابس من بين ذراعيّ، التقطت فقط إحدى الأوراق من الأرض، حدقت إلى رسم لي وأنا طافية على المياه، بذراعين ممدودتين، وعينين مغمضتين. كان هناك لطخة فوق أنفي، كما لو أنه محاه مرة على الأقل. ثمة ثلاث رسومات أخرى على الأرض، نسخ غير مكتملة من الصورة نفسها.

التقطت الدفتر من على الطاولة وفتحت غلافه.

ذكر ويل أنه سيعود ليرسم من جديد، لكن لم يكن لدي فكرة أنه رسم بهذا القدر. شعرت بأنني أفعل شيئًا خطأً وكأنني أقرأ مذكراته الشخصية. لكنني كنت على وشك حرق بدلات بآلاف الدولارات؛ فما الضير من فعل عمل سيئ آخر؟

قلبت الصفحات مرورًا برسومات الأشجار العريضة على الشواطئ الصخرية، والزورق المسحوب إلى الشاطئ، وآل روز يلعبون لعبة الورق، وأنا. في إحدى الرسومات، شعري كان قصيرًا،

مثلما كان عندما التقينا أول مرة. استندت إلى جدار مغطى بالرسم الجرافيتي، ووجهي مائل نحو السماء. ضغطت يدي على الألم الحاد في صدري. عندما قلبت الصفحة، سرت في جسدي رعشة.

لا، لا، لا. فكرتُ بينما أدرس الرسمة.

الحقيبة بجانبي على المرفأ. القبعة على رأسي.

«لا.» قلتها بصوت عالٍ، كما لو أن قولها سيغير الحقيقة. لكن كلما أطلت النظر إلى الصفحة، زادت معرفتي.

تراخيت على كومة الملابس، والدفتر في يدي، لم أمنع الدموع عندما سقطت على خدي. بقيت هناك حتى تسللت نسمة هواء من الباب الخلفي، حاملة معها الصوت البعيد للفرقة التي تعزف أغنية:

(I’ve Had) the Time of My Life.

26

الآن

أصبحت شقتي فارغة تقريبًا. خلال الأيام القليلة الماضية، لففت كل شيء بالورق ذي الفقاعات وورق الجرائد، مستعيدة ذكرياتي في تورونتو. سنواتي الجامعيّة، مناوبتي الأول في مقهى تو شوجارز، وجميع النزهات الطويلة، المواعيد الغرامية السيئة، والليالي غير البريئة التي قضيتها خارج المنزل. لم يعد سواي، أنا وعمال النقل، وصينية من قهوة الإسبريسو الغامقة، وما يقرب من اثني عشر صندوقًا متبقٍ الآن. من الغريب أن أرى مسكني الصغير بهذه الطريقة، خالٍ من كل الأشياء التي جعلته بيتي.

عشت هنا خمس سنوات، أطول من أي مكان آخر باستثناء المنتجع. أتذكر مدى حماسي عندما وجدته، وكيف بدت الغرفة الواحدة فسيحة، وكم أشعرتني أجهزة المطبخ الفولاذية بأنني نضجت. إنه الطابق الرئيس من منزل ضيق شبه منفصل، وعندما أنظر إليه الآن، أشعر أنه ضيق رغم عدم وجود الأثاث. إطلالة نافذة المطبخ هي جدار من الطوب الصلب. لا مساحة خارجية. ورغم أنني كنت أشم رائحة طعام جاري وأسمع نشاطه الليلي وصوت مخالب كلبه تخمش السقف من فوقي، شعرت أن هذا المكان ملكي. شعرت وكأنه يشبهني.

اهتز هاتفي برسالة. أسقطت القماش الذي استخدمته لمسح الثلاجة وخلعت القفازات المطاطة. اعتقدت -لجزء من الثانية عندما أخذت الهاتف من جيب بنطالي الچينز الخلفي- أنه قد يكون ويل، وكتمت أنفاسي حتى رأيت أنه بريد إلكتروني مرسل إلى حساب بروكبانكس لحجز الفعاليات.

مضى أسبوع على حفل الرقص، ولم أسمع شيئًا واحدًا منه. أعرف أن اليوم لن يكون مختلفًا في أي شيء. بعدما استجمعت نفسي من أرضية كوخه، عدت إلى المنزل، وأخذت رسمه معي. صِغتُ رسائل نصية عنيفة في ذهني. كتبت بعضها، لكن إرسالها لم يبدُ صحيحًا. في النهاية أعطاني قليلًا جدًّا. كذب عليَّ طوال الصيف. رغم كل الأسئلة في رأسي، قررت أن ويل لا يستحق أيًّا من مشاعري، حتى المشاعر الغاضبة والثائرة. كتبت رسالة قصيرة قلت فيها أرجو أن تكون صوفيا بخير وأن يتعامل مع جيمي في بقية الأعمال الاستشارية. طلبت منه ألا يتصل بي مرة أخرى أبدًا.

لكن في كل مرة اهتز فيها هاتفي، تمنّى جزء خائن من عقلي أن يكون هو، وتمنى لو لم أغلق الباب بيننا بهذا الحزم. هذا لا يعني أن لدي تصورًا جاهزًا لما سأقوله إن تحدثنا. أساس الألم والارتباك لا يتزعزع أبدًا. ألم نخر في بطني. اعتقدت أنني أعرف كيف يكون افتقاد ويل باكستر، ولكن الفراغ الذي شعرت به قبل سنوات كان صدعًا مقارنة بهذه الهاوية.

الرسالة هي استفسار عام حول حفل العطلة في الشركة، لذا حفظت الرسالة لأرد عليها بعد أن أنتهي من تنظيف هذا المكان، وأسلم المفاتيح، وأعود إلى منتجع بروكبانكس في سيارة كاديلاك صدئة. حلمتُ طوال الأسبوع بأنني سأتناول البرجر من مطعم ويبرز في طريق عودتي إلى الوطن.

وعدت جيمي أن أستمر في متابعة الحجز في أثناء غيابي، مبررة التوقيت غير المثالي لرحلتي بأنني سألتقي بعض خبراء النبيذ في المدينة. أعتقد أنه عرف أنني بحاجة إلى مساحة شخصية لتصفية أفكاري. سآخذ إجازة لأيام قليلة بمجرد أن نعيّن فريق عمل جديد، لأشتري سيارة، وأعبئ بعض أغراض أمي في صناديق، وأبدأ في تجديد ديكور المنزل حتى أشعر أنه يشبهني.

صاح أحد العمال: «نسيتِ تعبئة هذا الشيء، أليس كذلك؟» تبعت صوته حتى غرفة النوم، حيث عُلِّقت صورتي وأنا في العاشرة من عمري، التي رسمها ويل، على الجدار الفارغ الوحيد في الغرفة. خطة العام الواحد ملتصقة على ظهر اللوحة. عندما أضعت دبوس الترام قبل سنوات، بحثت في شقتي كلها، أفرغت جميع حقائبي، ألقيت كل ما في أدراج مكتبي على السرير، لكنني لم أعثر عليه قط. ذاك اليوم، وضعت القائمة داخل إطار اللوحة.

قال الشاب الصغير ذو العينين الناعستين والشعر الأحمر، فاحت منه رائحة سجائر الماريجوانا التي دخنها قبل أن يبدأ العمل: «أعتقد أن لدي صندوقًا فارغًا للوحات في مكان ما.» أعتقد أن اسمه لاندون أو ربما لاندري. «هل تريدين أن ألفّها؟»

قلت له: «لا، لا بأس. لا أعرف ما إذا كنت سآخذها أم لا.» ربما سأجلبها معي. أو ربما سألقيها في سلة المهملات بعد خروجي من الباب. احتمال خمسين في المئة لكل منهما.

هز لاندون -أو ربما لاندري- كتفيه.

أخذتها من الخُطَّاف وتركتها على طاولة المطبخ في الوقت الحالي.

اشتغل العمال بسرعة لا تصدق رغم كونهم في العشرينيات من العمر وتحت تأثير الماريجوانا. وظفت فريقًا من هَنتسفيل، وهم لا يعتادون شوارع وسط مدينة تورونتو الجانبية الضيقة. سحبوا نصف الشاحنة إلى الرصيف وما زالوا يعترضون جزءًا من الطريق، وبين صوت أبواق السيارات الغاضبة، وأصوات الدراجات الهوائية السلبية العدوانية وتجاهل المشاة الذين يحاولون الالتفاف حول الشاحنة الضخمة، بدا أنهم مرتبكون وحريصون على الابتعاد من هنا بأسرع وقت ممكن. سيلتقيهم بيتر في المنزل لأنهم سيكونون قد بدأوا بالعمل عندي مسبقًا. وجهتهم للخروج من مكان وقوفهم المؤقت ثم شرعتُ في تنظيف الموقد.

كنت أنظف الفرن عندما رن الجرس. نظرت حولي. لم أر أي شيء نساه العمال. مددت رأسي لأنظر من النافذة الأمامية، لكنه لم يكن لاندون، لاندري، أو زملاؤه على الدرج؛ بل امرأة ترتدي فستانًا أبيض فضفاضًا وقصيرًا، شعرها البني الداكن تدلى على كتفيها بشكل مستقيم. الرجل الذي يعيش في الطابق العلوي لشقتي هو أستاذ دكتوراه في اللغويات ومدرس لغة فرنسية وجذاب بشكل لا يصدق. افترضت أنها رنت جرس الشقة الخطأ.

ناديتُ: «هل يمكنني مساعدتك؟» قفزت قبل أن تتجه نحوي. إنها مذهلة. الحقيبة الجلدية البنفسجية الضخمة التي تحملها تكلفتها ربما أجرة شهر كامل. تمكنت من رؤية الكحل الذي رسمت به عينيها بدقة من على بُعد خمسة أقدام.

تفحصتني وسألتني بطريقة ليست لبقة تمامًا: «أنتِ فيرن؟»

قلت في حذر: «نعم أنا.» الغرباء لا يظهرون فجأة على عتبة منزلك في هذه المدينة.

نظرت خلفها كأنها لا يفترض أن تكون هنا، ثم عاودت النظر إليّ. قالت: «أنا أنابيل. هل يمكنني التحدث إليك بضع دقائق؟»

وقفت وأنابيل متقابلتين أمام الطاولة التي تتوسط المطبخ. بدا وكأن جميع سمات ويل المتطرفة قد امتلكتها أخته الصغرى بشكل أكثر لينًا. شعرها وعيناها أفتح قليلًا، لونهما يشبه العملة المعدنية بدلًا من الكولا. وجهها أكثر استدارة، أنفها أقل بروزًا. ليس لديها وضعية ويل باكستر، لكنها مهندمة مثله تمامًا.

«لا تبدين حقًّا نوعه المفضل.» قالتها بلا اكتراث بالمحيط الفارغ.

خفضت بصري ناظرة إلى قميصي المتسخ، وبنطالي الممزق، وحذائي الرياضي. شعري مربوط للخلف بعُصابة الرأس. دون مساحيق تجميل. بلمعة من العرق. رائحة أنفاسي قهوة. لست نوع أي أحد المفضل في الوقت الحالي.

«حسنًا، أعتقد أنني لم أكن كذلك.»

«لم أقصد بذلك الإهانة.» وقع نظرها على لوحة ويل على الطاولة.

«أنا مندهشة فقط، هذا كل شيء.»

هذا لا يبدو أفضل بكثير. «لا أريد أن أكون وقحة، لكن لماذا أنت هنا؟ كيف وجدتني؟»

رفعت سيور الحقيبة لأعلى قليلًا على كتفها وقالت: «بحثت عنك على جوجل. عرفت أين تعملين وأخبرت مديرك السابق أنني صديقة جامعية.»

اللعنة على فيليب.

سألتها: «ولماذا فعلت ذلك؟ هل صوفيا بخير؟»

«تتحسن. ما مقدار ما قاله لك شقيقي؟»

«لم يقل إلا أنها كانت في المستشفى.»

أومأت، كأنها ليست متفاجئة. «كانت تعاني التهابًا سحائيًّا. حجزوها هناك حتى تخطت مرحلة الخطر. اتصلت بويل مبكرًا صباح السبت وأنا مذعورة. كانت صوفيا ترتجف وتتقيأ. لم أتمكن من الوصول إلى طبيب عائلتنا. أمرني ويل بالذهاب فورًا إلى الطوارئ، وفعلت ذلك، الحمد لله. كان أمرًا مروعًا.» امتلأت عينا أنابيل بالدموع، فمدت يدها أمام وجهها. «لن أدخل في التفاصيل، لكنها ستكون بخير. لا أريد أن أتخيل مقدار السرعة التي قاد بها ويل للعودة إلى المدينة في أسرع وقت، لكنه التقاني في مستشفى الأطفال وبقي معنا. اتصلت صديقتك أمس.»

«صديقتي؟»

«الغاضبة. لم أتمكن حقًّا من تذكر اسمها. سمعتها تحتد على ويل عبر الهاتف. كانت تتحدث وتتحدث، وجلس هو هناك يقول «أعرف» مرارًا وتكرارًا. لا أعتقد حتى أنه لاحظ أنني أخذت الهاتف منه حتى بدأت أنهرها.»

«وتني.» لم تخبرني أنها اتصلت بويل، رغم ذلك لست مصدومة.

قالت أنابيل: «هذا هو اسمها. اعتذري لها نيابة عني. ربما نعتتها بأشياء غير لائقة قبل أن تشرح لي أن أخي تخلى عن حبيبته وأنك في المدينة إن أراد تصليح الأمور.»

قلت: «لم أكن حبيبته.» شعرت أنه من المهم توضيح ذلك.

«لا؟ بدا الأمر جديًّا بناء على ما قالته لي، ومِن قليل ما قاله ويل.»

أردت معرفة ما قاله ويل بالضبط، كلمة كلمة. أردت معرفة نبرة صوته، ماذا كان يرتدي، وأين أجريا الحوار. قلت بدلًا من ذلك: «لم تشرحي لي بعد سبب وجودك هنا.»

«أخي لا يتصرف بشكل غير منضبط في الحقيقة. لا تخبريه أنني قلت ذلك. لكن وفقًا لما قالته وتني ومما استطعت معرفته منكِ، فقد أخطأ معكِ.» فردت أنابيل ظهرها مثلما يفعل ويل. قالت: «أنا هنا للدفاع عن شرفه أو أيًّا كان.»

سألتها: «هل يعلم ويل أنك هنا؟» وكرهت كيف بدا أن لدي أملًا. «لا، سيغضب. قال لي إنك لا ترغبين في التواصل، وأنني أحتاج إلى أن..» وضعت علامتي تنصيص بأصابعها وأردفت «أحترم ذلك. ولكن رجاء اسمعيني. لم أقطع كل هذا الطريق غربًا للتسلية.»

أطلقت تنهيدة ثقيلة. قلت: «حسنًا.»

«لقد مررت بأسبوع طويل سيئ، ولم يكن ويل مفيدًا كما يعتقد. إنه مجرد كارثة تعاني اليأس. على أي حال، بغض النظر عن خطئه الأخير، أخي مخلص لأقصى حد للأشخاص الذين يحبهم. أعتقد أنه عندما قدم عرضًا للعمل مع والدتك، كان...»

لوحت بيدي لأقاطعها، ظنًّا مني أنها أخطأت التعبير. «عفوًا؟»

ميلت أنابيل رأسها وقالت: «في وقت سابق من هذا العام؟ بعد أن أقام في المنتجع لحضور حفل الزفاف ذاك؟ عرض أن يعمل مع والدتك؟» لا بد أنها رأت الصدمة على وجهي. «لم يخبرك بهذا.»

«قال إنها فكرة والدتي.» وضعت يدي على طاولة المطبخ، شعرت بدوار في رأسي.

«حسنًا، سأترك هذه الفوضى ليشرحها لي. لكن أعتقد أنها كانت طريقته لتصحيح الأمور معك، على الأقل في البداية. استغرقت بعض الوقت لأستوعب الأمر. لأستوعب أنك أنت الفتاة، الفتاة التي ظهرت ذاك اليوم قبل عشر سنوات.»

أومأت.

«لم يتوقف ويل عن الحديث عنك صباح اليوم الذي تلى مقابلتك. كيف أخذك في جولة حول المدينة، كيف أنّك مختلفة عن الآخرين. لم أسمعه يتحدث عن أحد بهذه الطريقة من قبل.»

استغرقت ثانية حتى تنتعش ذاكرتي. قلت: «التقاك ذاك الصباح لتناول وجبة الإفطار، قبل رحلته للعودة إلى فانكوفر.»

زمّت أنابيل شفتيها وقالت: «لن أنسى ذلك أبدًا. لقد تقيأت ما أكلته بينما نتناول بسكويت الوَفل. كان ذلك عندما أخبرت ويل أنني حبلى.»

همست: «لم يخبرني بذلك.» لم يخبرني بأشياء كثيرة.

«وجد أبي اختبار الحمل في سلة المهملات قبلها ببضعة أيام. افترض أنني لن أحتفظ بالطفل، وبصراحة، اعتقدت ذلك أيضًا. لكن بعد ذلك أخبرني كيف أنني لا أستطيع الاعتناء بنفسي، ناهيك بطفل، فانفجرت. عندما أخبرت ويل، عرض عليَّ البقاء في المدينة والذهاب معي إلى العيادة، لكنني اتخذت قرارًا بالفعل لأثبت لأبي أنه مخطئ. سأبقي الطفل وسأكون أفضل أم على الإطلاق.» هزت أنابيل رأسها. «العناد والكبرياء يسريان في عائلة باكستر، لمعلوماتك.» ألقت نظرة على الرسم على طاولة المطبخ.

«تخلى ويل عن كثير من أجلي. لم أدرك حجم ما ضحى به آنذاك؛ لم ندرك كلانا ذلك. لكنني تعلمت كثيرًا منذ التاسعة عشرة من عمري.» تحركت عينا أنابيل إلى حيث تتمسك أصابعي بحافة الطاولة، ثم نظرت في أرجاء المكان. «هل هناك مكان يمكننا الجلوس فيه؟ هناك مزيد.»

خرجتُ وأنابيل إلى الدرج الأمامي. الرطوبة سادت المدينة، والشمس توارت خلف سحب كثيفة. قط أبيض أرقط تمدد عند المرر. الكولونيل مُستارد هو قط الجيران.

وضعت أنابيل حقيبتها بين قدميها اللتين ارتدت فيهما نعلين مفتوحين، وأخذت تحرك سيور الحقيبة على كتفها في توتر. سألتني: «هل تحدث كثيرًا عن والدتنا؟»

هززت رأسي. أعلم أنها لا تزال تعيش في إيطاليا وأن ويل لم يزرها منذ عامين. لم يقُل أكثر مما قاله لي قبل عشر سنوات.

قالت أنابيل: «لست متفاجئة. إنه لا يحب الحديث عنها. إنها فنانة موهوبة جدًّا، جميلة وذكية، ومذهلة لأقصى درجة عندما تريد أن تكون كذلك. لكنها نوعًا ما غائبة كأم. حتى قبل أن ترحل، لم تكن موجودة بشكل كامل. لم يكن كل شيء خطأها، أعرف ذلك الآن. يمكن لاكتئابها أن يُضنيها. في فترة سيئة، بقيت في السرير لأيام. وعندما تكون بخير، تركز بجنون على عملها، كأنها بحاجة إلى استخدام كل قطرة من إبداعها قبل أن ينفد.» ألقت أنابيل نظرة عليّ للتأكد أنني أفهم، وشيء من الثبات في نظرتها ذكرني بويل، انقبض صدري. لكنها بعد ذلك انتبهت للكولونيل مُستارد.

«عفوًا. هل لهذا القط شارب؟»

«نعم.» طقطقت بلساني وأدار الكولونيل رأسه، مُظهرًا بقعة الفراء السوداء تحت أنفه.

صرخت أنابيل، وعندما رصد القط علامة، تمدد، ثم مشى مترنحًا، لف نفسه حول كاحليها.

مررت يدها على فرائه وقالت: «لم نملك حيوانات أليفة قط. ويل يعاني حساسية تجاه كل شيء له أربعة أرجل. حكة في العين، ربو، كل شيء.»

وخزني ذلك مثل حصوة في حذاء. لم أكن أعرف أن ويل يعاني الربو. ازدادت قائمة الأشياء التي لم أعرفها عن ويل تقريبًا مع كل كلمة خرجت من شفتيْ أنابيل.

حينما استقر الكولونيل بجوار قدميها قالت: «على أي حال، عندما كانت والدتنا تعمل، بإمكانها تجاهل كل شيء. مرسمها فوق المرآب، أتذكر كيف دهست الدرج لأرتقيه مثل الفيل. أقف أمامها مباشرةً ويتطلب الأمر محاولات كثيرة لجذب انتباهها قبل أن تلاحظ وجودي. بعد أن أصبحت أمًّا، تساءلت إذا كانت قد ابتعدت كثيرًا لأنها تشعر بالذنب لعدم قضاء ما يكفي من الوقت معنا. كأنها لو وضعت محيطًا بيننا، لن تضطر إلى محاولة إيجاد نوع من التوازن. لن تستطيع الفشل.»

ذكرني ذلك بما قاله بيتر عن أمي؛ أن السبب وراء إفراطها في العمل هو أنها لم تشعر بأنها ناجحة إلا فيه.

واصلت أنابيل حديثها: «كان ويل يقدس والدتنا في صغرنا. تحدث الجميع عن الشبه الذي يجمعهما. افتخر بهذا كثيرًا. الفنانان الاثنان. إنه يشبه والدتنا أيضًا. وبدا أنه كان يفهمها. عندما كانت تعاني، يجلس بجانبها في السرير ويرسم. خفتُ عندما تدخل في هذه الحالة، لكن ويل ظل ساكنًا بجوارها.»

استطعت تصور ذلك بوضوح، ويل الصغير وهو يحاول أن يواسي والدته بلا شيء سوى وجوده الثابت. فكرت كيف كان عندما قابلته أوّل مرّة، طريقته عندما تركني أتحدث وقتما صرت جاهزة. وكيف استلقى أمامي في الظلام، مؤكدًا لي أن كل شيء سيكون على ما يرام.

سألتني أنابيل وهي تنظر إلى ذراعي: «هل أنتِ بخير؟» كنت أخمشه.

كذبتُ: «نعم.» وضعت يدي حول ساقي لأبقيهما ثابتتين. كلما أخبرتني أنابيل بمزيد عن ويل، اتسعت الهاوية في داخلي. إنه نهر، يدفع وينحت، وضفافي رملية وليست صخرية.

همهمت أنابيل في شك، لكنها استمرّت في الحديث: «عندما تركتنا والدتنا، كان ويل الأكثر تأثرًا. عشنا مع جدتنا في ذلك الصيف، وأتذكر أنه في أحد الأيام، كان يرسم في الحديقة الخلفية. أردت مساعدته في تثبيت سلة على دراجتي، واضطررت لأناديه أكثر من مرة ليسمعني. قلت شيئًا عنه يعني أنه أصبح مثل والدتنا، فاشتد غضبه. قال لي إنه لن يصبح مثلها أبدًا. أحيانًا أعتقد أنه جعل مهمته في الحياة أن يثبت ذلك.»

بقيت ساكنة أتأمل وجه أنابيل.

قالت أنابيل: «الأمر هو أن ويل يشبه والدتنا إلى حد كبير. ليس في الأمور التي تهم حقًا، إنه أقل شخص أناني عرفته، وقلبه كبير جدًّا على صدره. لكنه مبدع وعاطفي، وعندما يقرر أن يفعل شيئًا، فإن التزامه لا ينكسر.» أخذت نفسًا عميقًا. «عندما ولدت صوفيا، كان يمر بوقت صعب. مختلفًا عن الاكتئاب على والدتنا، وليس من حقي إخبارك بما مر به، لكنني أعتقد أن ذلك أكَّد له اعتقاده بأنه وفي أعماقه مثلها. توقف عن الرسم تمامًا. حصل على درجة الماجستير في إدارة الأعمال وهو يعمل بدوام كامل. في رأيه، أن يكون شخصًا بالغًا مسؤولًا يعني أن يُصبح مثل والدنا. لديه وظيفة ثابتة، راتب كبير، يمتلك منزلًا، وهذا ما فعله. لكنه تخلى عن جزء هائل من نفسه، ولا أعتقد أنه كان سعيدًا حقًا.»

نظرت إليّ في ترقب: «هنا يأتي دورك.»

غمغمتُ: «لا أفهم كيف.»

نظرت إليّ أنابيل في شفقة تامة وقالت: «لا؟ لقد قال إنك ذكية.»

جفلت مدهوشة، وهي ابتسمت وقالت: «يا إلهي، كلاكما جدٍ للغاية.» استدارت لتستطيع مواجهتي وقالت: «لم أجد أخي أكثر حيوية مما كان عليه هذا الصيف. عندما قال لي إنه عاد للرسم مرة أخرى، شعرت بارتياح كبير. اعتقدت أنه بدأ أخيرًا في استعادة حياته.»

فكرت في الرسومات التي وجدتها في كوخه، وتساءلت إذا كانت أنابيل تعرف ما أعرفه.

«استشاط غضبًا على نفسه لأنه لم يكن في المنزل عندما مرضت صوفيا، وأنا متأكدة أنه اعتبر ذلك دليلًا على أنه ليس لديه الحق في الحصول على كل شيء.» حدقت أنابيل إلى السُّحب. «وأنني لست جاهزة للعيش بمفردي مع صوفيا. لكنه مخطئ بشأن كليهما. تمامًا مثلما كان مخطئًا في انفصاله عنك.» عاودت النظر إليَّ، اخترقتني عيناها النحاسيتان. «ربما كان عليك ألا تفرغي كل مشاعرك عليه وابنة أخته في المستشفى.»

فغرت فاهي بينما استمرت أنابيل في الحديث.

«وهو لن يأتي ليعتذر، إن كان هذا ما تأملينه. طلبتِ منه ألا يحدثك، ولن يفعل.» مدت يدها إلى جيب فستانها وأخرجت قطعة ممزقة من ورقة وأسلمتها إليَّ. كُتِبَ على الورقة عنوان. «هذا هو المكان الذي نعيش فيه. صحة صوفيا جيدة بما يكفي لتبقى في منزل والدها هذه الليلة، وأنا سأخرج مع صديقاتي، لذا سيكون هناك بمفرده.»

هززت رأسي وقلت: «لا أعرف.» لم أستوعب بعد كل ما قالته لي أنابيل، وشعرت بالإرهاق بالفعل. «لستُ متأكدة أن بإمكاني فعل ذلك.»

نظرت إليّ أنابيل بحدة وقالت: «أنا أخاطر هنا. ليس لدي فكرة ما إذا كنتِ جيدة بما فيه الكفاية لأخي، لكنه لم يبدُ أسعد مما كان وهو معك. أنا أعرفه أكثر من أي شخص آخر، أكثر منك. أعرف أنه ارتكب خطأً، وهو يعرف ذلك. لقد حُطِّمَ تمامًا. لذا أتمنى أن تكوني جيدة بما يكفي. أتمنى أن تذهبي.» تأملتني للحظة قبل أن تقوم وتلقي بحقيبتها على كتفها. «حتى لو ذلك فقط لإنهاء الأمور بشكل صحيح.»

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

27

الآن

حدقت إلى منزل ويل في سَمرهيل من داخل سيارتي الكاديلاك. المنزل رقم 11 هو منزل شبه منفصل من الطوب البرتقالي العريض، يتألف من ثلاثة طوابق، بطلاء أسود أنيق وزهور الهايدرنجيا البيضاء مصفوفة على الشرفة. تجاوز الوقت الثامنة، وقت متأخر لدرجة تكفي لأتأكد أن أنابيل خارج البيت.

بعدما غادرَت صباح اليوم، قلت لنفسي إنني لن آتي إلى هنا. لدي مشكلاتي الشخصية التي يجب أن أتعامل معها؛ لا يمكنني التعامل أيضًا مع مشكلات ويل. احتجتُ إلى الاستمرار في فترة مقاطعة الرجال. حشرت ورقة عنوانهما في عُمق كيس القمامة، مخططة للعودة إلى المنتجع بمجرد الانتهاء من التنظيف. بعد خمس عشرة دقيقة، أخرجتها مرة أخرى.

عندما دخلت السيارة، بدلًا من التوجه إلى الطريق السريع، حجزت في فندق، استحممت، ثم جلست إلى المكتب لكتابة قائمة أسباب تجعل من واجبي محو ويل باكستر من هاتفي ومن حياتي.

لكن بينما كنت أحدق إلى الصفحة الفارغة، لم أتمكن من التوقف عن التفكير في ويل وهو في الرّابعة عشرة، غاضبًا ومستاءً ومفتقدًا لأمه.

وويل في العشرين من عمره، شاعرًا بالذنب لأنه يعيش في فانكوفر، وقلقًا على أخته. قبل عشر سنوات، ساعدني ويل لأرى نفسي بوضوح، وقررت أن أتحمل مسؤولية مستقبلي. عندما خرج من شقتي ذاك الصباح، عرفت أن حياتي على وشك التغير. لم أعرف أن حياته ستتغير أيضًا.

قلقتُ أن أبدو مختلفًا.

هذا هو السبب الذي قاله لي ويل لعدم لقائي قبل تسع سنوات. عندما وجدت الرسم في كوخه، اعتقدت أنه كذب عليَّ. ولكن بمجرد أن تفكرت فيما قالته أنابيل لي، تساءلتُ ماذا لو لم يكن يكذب، ولم يستطع أن يخبرني بالحقيقة الكاملة.

اصطدم ويل بحياتي مثل نيزك مرتين، وفي المرتين، تركني فارغة من الداخل وبي هوَّة. لكنني لم أفكر يومًا في أن هذا الاصطدام ربما ألقاه خارج محوره.

جلست إلى مكتب الفندق، وفكرت في ويل عند الثانية والثلاثين، ناجحًا ومتحفظًا وصبورًا، وجد طريقه للعودة إلى الفن ببطء، جرب الدخول في علاقة بأطراف أصابعه، مطالبًا بقطعة من السعادة لنفسه. تمكنت من سماع صوته يخترق الظلام في تلك الليلة عندما طرقت باب كوخه بملابس النوم.

ماذا تريدين، فيرن؟

نظرت إلى تلك المفكرة ساعة، وبدلًا من كتابة جميع الأسباب التي تُحتم عليَّ ترك ويل، أعددت قائمة مختلفة تمامًا.

وها أنا الآن، خارج منزل ويل باكستر. خائفة ومُغرمة ومستعدة للقتال من أجل ما أريده. من أجل ما أعتقد أن ويل أيضًا يريده.

تمنيت فقط لو لم أشعر بالغثيان.

التقطت الرسمة من المقعد المجاور. ارتجفت أصابعي بينما أضغط على الجرس، وأخذت نفسًا عميقًا. لكن عندما فتح ويل الباب، مات الكلام الذي حضرته في حلقي.

لم يكن يشبه نفسه على الإطلاق. أولًا؛ غطت لحيته وجهه ورقبته. تُركت بلا حلاقة فترة طويلة، حتى أوشكت أن تكون مُهمَلة. تدلت هالات داكنة تحت عينيه، وشعره غير ممشط. كان يرتدي بنطالًا رياضيًّا واسعًا وقميصًا مبقّعًا. حالما لاحظ وجودي أمامه، انتفض كمن أصابته صعقة كهربائية.

فتحت فمي، وكل ما تفوهت به ذاهلة هو: «تبدو فظيعًا.»

«فيرن.» نطق اسمي بطريقة لا تشبه أي شخص آخر، كأنه يحمل معنى أعمق بكثير من مجرد اسم. لكنه جفل بعد ذلك، بدا أنه يتذكر نفسه. عندما تحدث مرة أخرى، كان صوته قد هدأ عدة درجات. «ماذا تفعلين هنا؟»

هناك كثير مما أود قوله، لكن بدأت بالشيء الأصعب، والأبسط. «اشتقت إليك.»

الاحمرار الذي زحف من تحت عنق قميصه هو العلامة الوحيدة على أنه تأثر.

فردت كتفيّ، محاولة عدم السماح لمظهره بإرباكي. لقد رأيت هذا من قبل؛ النظرة الفارغة، الصوت الأجوف، الطريقة التي يجيدها في

فصل نفسه وتجريدها من كل العواطف، والبقاء في أمان. ويل في حالة انعزال. «وأنا هنا لكي تطلب مني أن أسامحك.»

هزّ رأسه، لكن قبل أن يتكلم، ناولته الرسمة.

«ولتشرح تصرفاتك.»

لقد فحصتها كل يوم منذ أن وجدتها في كوخه، باحثة عن أي دلالة قد تحكي قِصّة مختلفة عن تلك التي أعرف أنها حقيقية.

أخذ الورقة من بين أصابعي ودرس الرسم كأنه لم يره من قبل، ممررًا يده على خده. الرسمة عني، جالسة على حافة المرفأ بملابس السباحة والسروال القصير. شاخصة ببصري نحو المياه، أبدو ضجرة أو ربما حزينة، مرتدية القبعة التي أحضرتها لويل. بجانبي الحقيبة التي تحتوي على واقي الشمس والشطيرتين ومشروب الليمون الفوار.

ثمة قرص مدمج به أغانٍ منوعة في الحقيبة أيضًا. وعليه ملصق أبيض كُتِبَ عليه بقلم عريض أخضر «أغانٍ لويل».

عندما عادت عيناه لتنظرا في عيني، كانتا ممتلئين بالندم الأسود.

«فيرن» قالها مرة أخرى.

قلت بصوت متكسر: «كنت هناك.»

أومأ: «نعم. كنت هناك.»

ابتلعت ريقي الذي تكتل في بلعومي وقلت له: «الآن حان الوقت الذي تدعوني فيه إلى الداخل.»

بدا وكأنه على وشك أن يعترض، لكنه أومأ مرة أخرى وأمسك الباب يفتحه.

منزل ويل مبهر. الطابق الرئيس ذو تصميم مفتوح، تمكنت من رؤية غرفة المعيشة والمطبخ من المدخل والنوافذ الضخمة في الخلف. الأرضيات خشبية بلون العسل الدافئ، الأثاث بدا مريحًا، والجدران البيضاء مغطاة باللوحات الفنية، رغم ذلك بإمكاني معرفة أنَّ ويل لم يرسم أيًا منهم.

وضع الرسم على طاولة المطبخ الحجرية وأخذ زجاجتين ماء فوار من الثلاجة. قادني إلى الأريكة الحمراء في الجزء الخلفي من المنزل. من الواضح أنّها مساحة مخصصة للترفيه؛ ثمة صور عائلية مُؤطّرة على الجدار وشاشة مسطحة ضخمة. لصار مريحًا لولا السقف المفتوح بارتفاع الكاتدرائية. ثمة سقيفة زجاجية.

جلست على أحد طرفيْ الأريكة، مر ويل من أمامي ليجلس على المقعد الآخر.

قلت له: «جاءت أنابيل لتراني.» خرجت من أعماق حنجرته آهة خفيضة. أردفتُ: «قالت إن صوفيا ستكون بخير».

قال «نعم.» ولف الخاتم في إصبعه الصغير.

«قالت أيضًا إنك كنت..» واقتبست كلامها: «مجرد كارثة تعاني اليأس، وأستطيع أن أرى أن وصفها دقيق».

نظر ويل إليَّ بجانب عينيه وقال: «لم أتوقع أن يأتيني زائر.» بدا صوته مثل ورق الصنفرة عندما يحتك بمعدن.

أخذت نفسًا مرتجفًا. لا أعتقد أنني قلقتُ هكذا من قبل في حياتي. «هل تريد أن تخبرني لماذا تبدو وكأنك من قطّاع الطرق؟»

«كان أسبوعًا صعبًا.»

«أعرف أنه كذلك.»

«لم أنم كثيرًا.»

«واضح.» سكتت ثم استكملت كلامي: «كنت قلقًا على ابنة أختك؟»

«الأمر كذلك، نعم.»

«و؟»

رجع ويل إلى الوراء على الأريكة، رأسه مال نحوي، لكنه لم يتحدث.

«بدا وكأن هناك شيئًا آخر. هل هناك مثل هذا الشيء؟» خانتني الاختلاجة في صوتي.

قال: «أعتقد أنك بالفعل تعرفين أن هناك شيئًا آخر.» نخر هذا حائط الخوف الذي تسلقته لأكون هنا.

قلت له: «أعتقد أنني أعرف أيضًا، لكنني أريد أن أتأكد.»

نظر ويل نحو السقيفة الزجاجية. فتح فمه، ثم أطبقه مرة أخرى، قابضًا على فكه.

«لأنك غادرت دون أن تتفوه بكلمة، وبعد ذلك لم ترد على أي من رسائلي، ثم بعدها قلت إن علينا التوقف عن العيش في الخيال؟»

هز رأسه في حركة خفيفة، ثم استقرت نظرته على عيني. قال: «لا.» وتفتت قلبي إلى ملايين القطع المتهرئة. أجبرت نفسي على البقاء جالسة بدلًا من الهروب من الباب للخارج. انتظرت، ضاغطة يدي بين فخذيّ، حتى تحدث مرة أخرى.

قال ببطء: «لم يكن عليّ فعل تلك الأشياء، وأنا آسف، فيرن. أنا آسف. كنت مضغوطًا ولم أفكر بشكل صحيح. لكن هذا ليس السبب في عدم قدرتي على النوم أو الأكل أو محو صورتك وأنتِ جالسة بمفردك على المرفأ قبل تسع سنوات من رأسي.»

همستُ: «لماذا إذًا؟»

«فيرن، يجب أن تعرفي...» أخذ صدره يعلو ويهبط، وزفر طويلًا. حدقت إليه بعينين مفتوحتين.

قال بصوته الهادئ: «لم أشعر بالرغبة في أي شيء لنفسي كما شعرت بالرغبة فيكِ. أنا مغرم بكِ تمامًا.»

تنهيدة عميقة اندفعت من حلقي، وفورًا ارتحت.

«لكنني لا أعرف إن كنت قادرًا على فعل هذا.» قالها بينما أقترب منه. «أنا لا...»

وضعت أصابعي على فمه. وقلت: «يمكنك فعل أي شيء.» تلطفت نظرة ويل.

قلت: «سأقدم لك نصيحة قدمها لي شخص ذات مرة. كان متغطرسًا تخرج في جامعة فنون، لكنه عرف ما الذي يتحدث عنه.» تبسمت شفتاه ابتسامة طفيفة تحت أصابعي. «أعرف كم تعني لك عائلتك، ولن أشكك في ذلك أبدًا. لكن هذه *حياتك*، ويل».

ظل صامتًا.

«لذا أظن أن ما أحتاج إلى معرفته هو إن كنت تريد وجودي فيها.»

أخذ ويل يدي عن فمه ولف ذراعيه حولي. بقينا على هذه الحالة، نتنفس وأحدنا مضموم إلى الآخر، دقيقة كاملة.

سألته ووجهي دُسَّ في صدره: «هل هذا يعني نعم؟» شعرت بابتسامة هادئة تدمدم في صدره. «لأن هناك كثيرًا من الأمور التي يجب أن نتحدث عنها، ولكن لا شيء منها مهم في الحالة الأخرى.»

تراجع للوراء، وقد دسّ أصابعه في شعري، ثم نظر إلى عينيّ. قال: «أنا آسف.» بدأت أرجع للخلف، لكنه لم يسمح لي بالابتعاد. «انتظري. قلت لك سابقًا إنني سيئ في ترتيب أولوية العلاقات بجانب كل شيء آخر. ظننت أنني أستطيع حل الأمر هذه المرة.» مرر إبهاميه على وجنتيّ. «كدت أخبرك بحقيقة وجودي هناك قبل تسع سنوات، لكن كلما قضينا وقتًا معًا هذا الصيف، صَعُبَ الأمر. أنا آسف لأنني لم أخبرك.»

خرج الكلام من شفتي بصعوبة: «ما الحقيقة؟»

«فكرت في رؤيتك كل يوم مدة عام. قطعت منتصف المسافة من التل إلى البحيرة، ثم، أخيرًا، رأيتكِ. كنت في غاية الجمال. أردت أن أجلس على ذاك المرفأ بجانبك».

همست: «لماذا لم تفعل ذلك؟»

«المشكلة ليست فيكِ. افهمي ذلك من فضلك. كان سن صوفيا أربعة أو خمسة أشهر، وذلك وقت صعب عندي. صرتُ محطمًا.» انحنى للوراء، مرر يديه على وجهه. «وأعتقد أنني كنت محرجًا. بعد كل ما كتبته في تلك القائمة، ها أنا ذا: كنت أعمل من الساعة التاسعة صباحًا حتى الخامسة مساءً في مكتب؛ بالضبط ما قلت إنني لن أفعله قبل عام. في ذلك الوقت، كرهتُ وظيفتي. علمتُ أنك ستلاحظين ذلك على الفور. ستستطيعين رؤية أنني تغيرت، أنني لست سعيدًا. لوبختني بسبب ذلك».

قلت: «ربما. أو ربما لأعجبت بما قمت به. كان بإمكانك أن تقول مرحبًا على الأقل.»

«هذه هي المشكلة. لم أستطع أن أقول مرحبًا فقط. كنتِ جالسة هناك مرتدية ذاك البكيني الأخضر، وتذكرت بالضبط كيف سارت الأمور بيننا. كنا سنتحدث. وأخبرك بأنني تخليت عن فني، وستبدين مندهشة. لن أقدر على التظاهر بأن كل شيء على ما يرام. لم أرغب في رؤية نفسي من خلال عينيك. ظننت أنني لو قلت مرحبًا، فلن أرغب في قول وداعًا. ربما لم أكن لأرغب في العودة إلى أختي وابنتها. أو وظيفتي. ربما لأصبح أنانيًا. لم أستطع المخاطرة بهذا».

«أتمنى لو فعلت. أتمنى لو تركتني أدخل حياتك في ذلك الوقت.»

ضممت وجنتيه براحتيْ يديّ وأردفت: «أنت الأقل أنانية من الأشخاص الذين قابلتهم، لكن أن ترغب في شيء لنفسك ليس بأنانية. إنها إنسانية».

أطلق ويل نفسًا طويلًا. قال: «عندما كنت بجانبك، في البحيرة، بعيدًا عن كل هذا؛ كأنني تذكرت مَن كنت في الماضي، وماذا كنت أريد. لم أعرف إن ما زلت أريد تلك الأشياء. لا أعرف حقًّا من أنا، فيرن.» توقف لحظة، وأنا لم أتحرك، لم يطرف جفني، لم أملأ رئتي، حتى تحدث مرة أخرى. «لكنني أعرف أنني أريدك في حياتي.»

ملست على فكه بأصابعي، وصولًا إلى ندبته. نظرت في عينيه، بدا مرهقًا. بل أكثر من ذلك. إنه مُستَنزَف. تذكرت ما قالته أنابيل هذا الصباح عن إفراغ مشاعري على ويل في وقت سيئ.

قلت له: «حجزتُ غرفة في الفندق. لماذا لا ننهي هذه الليلة ويمكنني العودة غدًا؟ أنت تبدو مريعًا حقًّا.»

تغضن وجه ويل قليلًا. «لا أريدك أن تذهبي.»

لم أرد قول بقية ما يجب أن أقوله في حين أنه لا يستطيع إبقاء عينيه مفتوحتين. عضضت على خديّ من الداخل وقلت: «ماذا لو ارتحنا لفترة؟» بإمكاني التظاهر بأنَّ هذه الليلة مثل أيّ ليلة.

وافق ويل، استلقينا على الأريكة بشكل مريح، عُرض على الشاشة إعادة حلقة من مسلسل Frasier. في النهاية، لاطفته حتى يستلقي برأسه على حجري، وعندما غفا، أغلقت التلفاز وجلست في آخر شعاع من ضوء الغروب، متأملة الصور المعلقة فوق الأريكة. هناك ثلاثة منهم. أنابيل تحمل صوفيا الرضيعة في حديقة، يلامس أنف إحداهما أنفَ الأخرى. صوفيا فيما يبدو أنه أول يوم لها في المدرسة، حقيبة ظهر وابتسامة بلهاء متأصلان في الصورة. والصورة التي جعلت دقات قلبي تتسارع: ويل الصغير بالشعر الداكن وهو يحدق إلى طفلة صغيرة وردية اللون بين ذراعيه.

عندما فتحت أنابيل الباب الأمامي، ما زال ويل نائمًا.

صرخت متفاجئة بنا جالسين على الأريكة في الظلام: «يا إلهي، اللعنة.»

همست: «آسفة. لم أُرد أن أحركه من مكانه.» اقتربت في هدوء. قالت: «أخيرًا، نام.»

ملست على شعر ويل وأزحته عن جبينه.

قلت لها: «أنا سعيدة أنك وجدتني.»

ابتسمت: «أتمنى أن أكون كذلك أيضًا.»

عندما شعرت بتنميل أسفل ظهري، لكزتُ ويل برفق. نظر إليَّ مندهشًا، وهَمَّ أن يتكلم. أسكته وقلت: «دعنا ننقلك إلى السرير.»

ارتقينا طابقين للوصول إلى غرفته، ارتمى ويل على فراشه.

قال وهو يمد يده إليَّ: «ابقي.»

قلت له بينما أرفع الغطاء: «حسنًا. لن أذهب إلى أي مكان.»

استيقظت قبل ويل. البيت كان هادئًا. إما أن أنابيل لم تستيقظ بعد، وإما أنها خرجت بالفعل.

غرفة ويل في الطابق العلوي من المنزل، ذات أسقف مائلة، وحمام ضخم براق، وباب زجاجي جرار يفتح على شرفة. لا أعمال فنية هنا. إنه مكان رائق. كل شيء أبيض وأفتح درجة من الأزرق، يشعرك وكأنك بين السحب.

بدلت القميص الذي أخذته من ويل أمس وارتديت ملابسي في صمت كي لا أزعجه، ثم هبطت درجات كثيرة إلى المطبخ حتى أجد ماكينة القهوة الأنيقة لديه، وأجلب له شيئًا ليأكله. وجدت علبة توت أحمر في ثلاجته ذات البابين، لكن بعد ذلك لمحت الحليب والبيض. بحثت عن الطحين وخميرة الخَبز والزبدة. أعرف وصفة أمي عن ظهر قلب.

كان ويل جالسًا باستقامة على السرير عندما عدت، الغطاء ملقى حول كاحليه. لا يزال مرتديًا القميص المتسخ، لكن البقع البنفسجيّة تحت عينيه تلاشت. أردت دفعه تحت المياه ليغتسل ويستعيد رائحته المذهلة.

قال بصوت مبحوح: «أنتِ هنا.»

«أنا هنا.» وضعت القهوة على المنضدة بجوار السرير وناولته طبق الفطائر. «وعدتك أن أطبخ لك ذات يوم. غمرتها بكمية هائلة من شراب القيقب.»

ابتسم، تفرعت التجاعيد حول عينيه. *ها هو*، فكرت.

قال بعد أول لقمة: «لذيذة جدًّا.»

«كُل. ستحتاج إلى طاقتك.»

رفع حاجبيه.

قلت: «ليس من أجل ذاك الشيء.» بحثت في حقيبتي عن ورقة فندق مطوية. جلست بجانب ويل، استندت إلى ظهر السرير الأبيض الكتاني بينما يأكل. بمجرد أن انتهى، ناولته الورقة.

قال: «ما هذا؟» وفتح الورقة.

التزمت الصمت بينما أخذ يقرأ، الاستجمام داعب زوايتيْ شفتيه عندما وصل إلى النهاية.

قلت: «هذا ما أريده.» ثم توقفت معيدة التفكير. «في الواقع، إنه أكثر من ذلك. هذا ما أحتاج إليه.»

خفَّت ابتسامة ويل، وقرأ الورقة مرة أخرى. لم يكن ثمة كثير من الكلمات في الصفحة، لكنه أخذ وقته.

«هل هذا كل شيء؟»

«هذا كل شيء.»

«هل تريدين أن تعطيني أي مضمون إضافي؟»

«إنه عن كيف تكسبني مرة أخرى. خطة من خمسة بنود.»

مِلت إلى كتفه، ونظرنا إلى القائمة معًا.

أسرف في الاعتذار.

كن أمينًا؛ لا مزيد من الأسرار.

دعني أساعد.

ارتدِ مئزرًا. دائمًا. أنا جادة في ذلك.

ارسم لي صورة.

قلت: «البند الأول في منتهى الوضوح.»

استند ويل إلى ظهر السرير، ومد لي يده، شبكنا إصبعينا الصغيرين معًا. أخذ يرقبني، بتعابير وجه جادة. قال: «لا أعتقد أن اعتذارًا يكفي لأعبر عن مدى أسفي، فيرن. لقد قضيت سنوات نادمًا لأنني تركتك وحيدة على ذلك المرفأ، وأكره كيف تعاملت معك الأسبوع الماضي؛ الأشياء التي قلتها على الهاتف. آسف على الهروب بهذه الطريقة ولأني جعلتك تقلقين. لا يمكنني أن أصدق أنك هنا بعد كل شيء. أنا آسف، لكنني أيضًا شاكر جدًا لأنك ظهرت على بابي أمس.»

زفرتُ وقلت: «كان هذا اعتذارًا جيدًا. الجزء التالي أكثر أهمية.»

قرأ ويل: «كن أمينًا؛ لا مزيد من الأسرار.»

أومأت وقلت: «مثل حقيقة أنك عرضت على أمي المساعدة في المنتجع.»

جفل ويل وسأل: «أنابيل أخبرتكِ؟»

«نعم. وبالمناسبة، أعجبت بها.»

استغرق ثانية في التفكير ثم قال: «لم يفاجئني ذلك. لقد أدركتُ أنكِ لم تثقي بي منذ وصولي، وأردت بشدة أن توافقي على عملنا معًا.

قلقتُ أنك إن عرفت أنها فكرتي، يزداد ارتيابك. شربت القهوة مع والدتك، وعندما شرحت لي التحدي الكبير الذي تواجهه في العمل، وجدت نفسي أتطوع للمساعدة. أظن أنها اعتقدت أنني أفعل ذلك من باب الأدب، لكننا تراسلنا عبر البريد الإلكتروني مرتين بعد ذلك، وعرضت عليها الأمر مرة أخرى. ولا، لم أكن لأفعل ذلك لو لم تكن والدتك، ولو لم يكن منتجعك. ونعم، التصور الذي في أحلامي، أنك كنت ستظهرين بينما أكون هناك هذا الصيف، طامع جدًّا لممارسة الجنس بإفراط في الزوارق.»

ضحكت قائلة: «لا يمكنك أن تمارس الجنس في زورق.» حتى أنا وجيمي لم نحاول فعل ذلك في تلك الأيام.»

قال ويل مبتسمًا: «خيالي في العشرينيات من عمري يختلف تمامًا.» ضحكت مجددًا.

«هل هناك أي شيء آخر تريد أن تعترف به؟»

مرر ويل يده في شعره. قال: «أعتقد أن الوقت الحالي هو الوقت المناسب لأخبرك بأنني أتناول أدوية للقلق.»

قلت ببطء: «حسنًا، لم يكن هذا ما أعنيه حقًّا، لكنني سعيدة أنك أخبرتني.»

ابتلع ريقه وقال: «أعتقد أنك يجب أن تعرفي أن الأمر يمكن أن يسوء. أول مرة بدأت الدخول في هذه الدوامة بعد رحيل والدتي. هاج عقلي، لكنني لم أفهم ما يحدث في ذلك الوقت. ثم عندما ولدت صوفيا...» هز رأسه. «كان الأمر فظيعًا، أفكار سوداوية اجتاحت عقلي. أفكار مرعبة. وصور أيضًا. لم أعرف ما يحدث، ولم أتمكن من

التخلص منها...» انقطع عن الكلام. فكرت في الكلمتين الموشومتين تحت ترقوته «*محض أفكار*» ضغطت على إصبعه الصغير.

«يمكنك أن تخبرني عندما تكون جاهزًا. لن أحكم عليك، لكنك غير مضطر للاستعجال.»

أومأ وقال: «كنت خائفًا من البقاء وحيدًا مع الطفلة، واكتشفت أنابيل أن هناك شيئًا غير طبيعي. طلبت المساعدة وأخذتُ أتناول الأدوية. حتى أنني ذهبت إلى جلسات العلاج الجماعي.»

غيرت وضعي وجلست أمامه متربعة الساقين. قلت: «آسفة أنك مررت بذلك.»

قال: «قد يحدث ذلك مرة أخرى، إذا رزقت بأطفال.» استطعت أن أفهم أن هذا بمثابة تحذير. «وما زلت أشعر بالقلق. قلقي مزمن.»

قلت: «حسنًا.» ثم سكتت للحظة وأردفت: «لا شيء من ذلك أعتبره سببًا لإنهاء العلاقة، إذا كان هذا ما تفكر فيه. لكنني بحاجة إلى أن تُخبرني بما يحدث في حياتك. أريد أن أعرف عندما يثير شيء ما قلقك أو يزعجك. إذا قمنا بذلك...»

غُلِق باب في مكان ما في المنزل، ووصلنا صوت فتاة من الطابق السفلي. استمعنا إلى تحركات أنابيل وصوفيا للحظة.

قلت له: «عندما غادرت بهذه الطريقة، شعرت وكأن جميع مخاوفي المتعلقة بعلاقتنا تأكدت.»

«أية مخاوف؟»

«ظننت أنك كنت، لا أعرف، تتظاهر أمامي؟ لا أريد أن أكون مع شخص يُبقي أجزاء من حياته منفصلة عني. لا أريد أن أكون مهربًا. أريد أن أكون الواقع.»

مال ويل نحوي حتى لامس أنفه أنفي. قال: «فيرن، أنت لست مهربًا. أنت كل شيء.»

همست مبتعدة قليلًا: «فعلًا؟ لأنك لم تخبرني عن المكالمات الهاتفية حتى أجبرتك على ذلك. لم تسمح لي بالدخول في حياتك.»

أومأ وقال: «أعرف. لكن بقدر ما يعتقد بعض الناس أنهم متصالحون مع وجود أختي وابنتها، وحقيقة أنني أوصلهما وأجلبهما وأطهو العشاء تقريبًا كل ليلة، أحدث ذلك مشكلة أكثر من مرة. أنا فقط لم أهتم بذلك حتى الآن. لم أكن أريد أن أجذبك إلى كل مشكلات عائلتنا. أردت أن أكون أنانيًا. أردتك أن تكوني لي.»

قلت له: «أستطيع أن أفهم ذلك. لكنك لن تستطيع إبعادي عن أهم اثنين في حياتك. لا مزيد من المكالمات الهاتفية السرية.» أشرت إلى السطر الثالث في القائمة -*دعني أساعد*- حينما سمعنا صيحة غاضبة من أنابيل. «أريد أن أكون جزءًا من المشكلات. أريد أن أكون جزءًا من كل شيء.»

ابتسم ويل وقال: «هناك كثير من المشكلات.» ثم أصبح جادًّا: «كانت أنابيل تهدد بالانتقال للعيش في مكان آخر منذ فترة، لكني لم أعتقد أنها جادة في ذلك. قالت لي بعد وصولي إلى المنتجع أنها عملت مع وكيل عقاري، لذلك في بعض الأحيان كان هذا هو فحوى مكالماتنا. وبعض المكالمات تشاجرت معي لأصارحك بمشاعري. بعضها أسئلة عن استخدام الموقد. لكننا كنا نتجادل.»

«لأنك تريد أن تبقيا؟»

«نعم. أعلم أنه -بطريقة ما- من الجيد لي إن استأجرت مكانًا لهما. أعرف أن أنابيل تعتقد ذلك. هي مستاءة لأنها بقيت هنا لفترة طويلة، لكنني اعتدت وجودهما حولي. *أحب أن تكونا حولي.*» ألقى عليّ نظرة اعتذار وقال: «أعرف أن أغلب النساء لا يرغبن في سماع هذا، أنني أريد أن أعيش مع أختي وابنتها.»

هززت ساقه بخفة وقلت: «أنا لست أغلب النساء. وأنت لست أغلب الرجال.»

زمجر متشككًا: «أنا حاملٌ معي كثيرًا من الفوضى.»

أكره سماع ويل يتحدث عن نفسه بهذه الطريقة. أشعر بالأمان تجاه ويل الذي قابلته قبل عشر سنوات، لكنني أريد أيضًا الدفاع عن الرجل الذي أعرفه الآن. تسللت إلى حجره وضممت وجهه بيدي. قلت: «اسمح لي أن أقول لك شيئًا عن نفسي: أنا شخصية انتقائية جدًّا فيما يتعلق بالناس. ولا سيّما أنني لا أحب معظمهم. لدي معايير عالية جدًّا لأولئك الذين أدخلهم في حياتي هذه الأيام. وأنت عندي، يا ويل باكستر، الأفضل من بينهم جميعًا.»

بدا مدهوشًا: «أنا؟»

«نعم أنت. أحبك أكثر من الجميع.»

اتسعت عينا ويل، ثم صارت شفتاه على شفتيّ، بعجالة وتعطش، وكأنها المرة الأخيرة التي سنقوم فيها بذلك. وضعت ذراعي حول رقبته وأبطأت الوتيرة، ذائبة في قبلته. طعمه كان مثل القهوة وشراب القيقب والعودة إلى المنزل بعد يوم طويل. *لن أذهب إلى أي مكان،* أخبرته بذلك بكل جوارحي.

قال ويل هامسًا، وهو يمرر إبهامه على شفتي السفلية: «أنتِ تحبينني.»

قلت له: «نعم. وخصوصًا الأجزاء المليئة بالفوضى. خلافًا لذلك، أنت مثالي للغاية. وهذا مزعج، حقًّا.»

ابتسم، ثم قبّل فكي. قال: «فيرن.» قبّل خدي، وهمس في أذني، «أنا أيضًا أحبك.» وضع شفتيه على أنفي وقال: «بشدة.»

قلت له: «جيد؛ لأن ذلك سيجعل البند الرابع والخامس أسهل.»

«هل تحبين المئزر؟»

ألصقت جبيني إلى جبهته وقلت: «أعشق المآزر.» ضحك.

«وأريدك أن تستمرّ في الرسم.»

غمغم ويل.

«أو التلوين، أو تزيين الأكواب بصور كلاب الشيواوا المطبوعة. لا تتخلَ عن الفن مرة أخرى. تلك القائمة التي كتبناها قبل عشر سنوات كانت خاطئة. يمكن للفن أن يكون هواية.» قبّلته وقلت: «ابدأ برسم صورة واحدة فقط.»

تنهد طويلًا ثم قال: «حسنًا. نظرًا إلى إنها في القائمة، سأفعلها من أجلك.»

«ومن أجلك أنت أيضًا. يمكنك أن تمتلك شيئًا يخصك وحدك.»

جذبني ويل إليه، أسندت رأسي إلى صدره، مستمعة إلى صوت قلبه، شاعرة بارتجاج صوته على خدي عندما قال: *أحبك مرة أخرى.*

لكن بعد ذلك سمعنا خطوات أقدام ترتقي الدرج.

نادى صوت فتاة من خارج الغرفة: «خالي ويل، هل يمكنني تناول إحدى هذه الفطائر؟ قالت *أنابيل* أنني يجب أن أسأل.»

رد ويل: «حاولي مرة أخرى يا صوف.»

«حسنًا، قالت *ماما* إنني يجب أن أسأل.»

قال ويل: «هذا أفضل. اذهبي وخذي إحداها. سأنزل بعد دقائق قليلة. هناك شخص أريدك أن تقابليه.» رجعت للوراء ورفع حاجبيه.

قالت صوفيا: «حسنًا.» تسارعت خطواتها عائدة إلى الأسفل وهي تصرخ، «*أنابيل*، قلت لك إنه لن يمانع.»

قال ويل: «يمكنك أن تقولي إنها نضجت مبكرًا.»

«آه، فعلًا؟»

«وهي شيطانة مثيرة للفوضى تمامًا، أنا أحذرك الآن».

قلت: «ممتاز. أحب الفوضى.»

دسّ خصلة من شعري خلف أذني وقال: «هل أنتِ متأكدة أنك تريدين كل هذا؟»

قلت له: «أنا متأكدة. أريد كل شيء.»

28

الآن

قضيت أسبوعًا كاملًا تقريبًا مع ويل والفتاتين في المدينة. حضرت فطائر لصوفيا في الصباح، وأوصلتها إلى مخيم صيفي حتى يتمكن ويل من النوم، وتتمكن أنابيل من الوصول إلى العمل مبكرًا. في فترة ما بعد الظهر، كنا نتجول أنا وويل طويلًا في تورونتو. نسير ونتحدث، ونضع خططًا محاولين إنجاح الأمور على المدى البعيد. سيزورني ويل في عطلات نهاية الأسبوع بقدر الإمكان، سنتحدث كل مساء بعد العشاء، ووعدني بإرسال صورة كلما ارتدى المئزر.

أعطيت بيتر يوميات أمي الأخيرة فور عودتي إلى المنتجع. قلت له إنني لا أعتقد أنها لمانعت أن تعرف ما فكرت فيه كل تلك السنوات الماضية، وقد تكون مفاجأة سارة. في رأيي، قراءة يوميات أمي لم تشبه سماعها مرة أخرى؛ مارجريت بروكبانكس التي عرفتها مختلفة عن الشابة التي كتبت هذه الصفحات. لكنني أعتقد أن الأمر قد يكون مختلفًا لدى بيتر. عرف تلك الشابة؛ الثرثارة والمتفائلة والجزعة. لقد أحب ماجي تلك مثلما أحب نسخة أمي التي عرفتها.

بقيت منشغلة. اشتركت في ليلة الألعاب الشهرية مع وتني وكام وقضيت وقتًا مع جيمي، منحنيًا على طاولة المطبخ، مستعرضًا المخططات التفصيلية لمنزل أحلامه. كنت أزور بيتر في مطبخ

الحلويات تقريبًا كل صباح، وفي يوم مشمس من أواخر أكتوبر، سمعت الموسيقى قبل أن أدخل. شغل بيتر أغاني آن موراي. صادقت أصحاب متجر الشرائط المسجلة الموجود في البلدة. اشتريت جيتارًا وشاهدت دروسًا على يوتيوب. تخيلت أن أصبح شجاعة وكريمة بما يكفي لأقدم عرضًا مفاجئًا في حفل الرقص والمواهب في أغسطس القادم. عملت بجد.

لكن في منتصف الليل، وأنا وحيدة في المنزل، عاد ألم مألوف إلى بطني. تسللت إلى النافذة ونظرت إلى كوخ رقم 20، لكن لم يُنِر الضوء من بين الظلام. ويل ليس هناك مطلقًا.

مع مرور الشهور وتساقط الثلوج، مسلطًا القمر ضوءه الشاحب على الأشجار المتجمدة، ازداد الألم مع وعيي بوجوده. لم أعد أرغب في افتقاد ويل بعد اليوم.

في ليلة رأس السنة، تمايلنا على مسرح الرقص. شغل منسق الأغاني الأغنية التي طلبتها. إنها أغنية Elvis وهي مبتذلة، لكنها مناسبة تمامًا للحظة التي سألت فيها ويل عما إن كان سيرغب في العيش هنا في أحد الأيام. تلألأت الغرفة بالشموع وأضواء الكريسماس وكرة الديسكو الضخمة التي أقنعني جيمي بتعليقها، لكن لا شيء لمع بقدر ابتسامة ويل.

استغرق وقتًا ليعيد ترتيب عمله لجعل ذلك ممكنًا، لكن في مايو، بعد عام من وفاة أمي، انتقل ويل إلى المنزل للعيش معي. أصبحت الغرفة الزجاجية هي مكتبه الآن. بيتي أصبح الآن بيته. عندما أنزل

إلى الطابق السفلي في الصباح، أجد القهوة قوية والموسيقى تعزف، وويل في المطبخ.

من أجل راحته، وافقت أنابيل على البقاء في منزله في تورونتو. لا يزال قلقًا، وهي تتصل أو ترسل رسائل نصية لكل منا تقريبًا يوميًا لتسأل أسئلة عن الطبخ، لكن ويل يسافر للعمل في المدينة يوم في الأسبوع على الأقل، لذا فهو يرى الفتاتين بانتظام. طليت غرفة الضيوف باللون الأرجواني الداكن من أجل صوفيا؛ فستقضي معنا أسبوعين في وقت لاحق من هذا الصيف. ما زالت الخزانة ممتلئة بثياب الحفلات الخاصة بأمي. قالت صوفيا إنها كبرت على لعبة ارتداء الأزياء، لكنني رأيت كيف كانت تنظر إلى سترة البوليرو المطرزة بالخرز الوردي. أراهن أن بإمكاني إقناعها بحضور حفل شاي واحد على الأقل معي أنا وبيتر.

وظفت طاهيًا تنفيذيًا جديدًا وغيرت اسم المطعم إلى «ماجيز». من بين جميع التغييرات التي أجريتها في المنتجع، هذا هو التغيير الذي أحببته أكثر. في بعض الأحيان، عندما أريد أن أشعر بالقرب من أمي، أذهب إلى غرفة الطعام. لكن عندما أشتاق لها أكثر، أجد نفسي متوجهة إلى مرفأ العائلة. أجلس على الكرسي في الجهة اليسرى وأنظر إلى البحيرة وأطلعها على كل ما يحدث. في بعض الأحيان، يمكنني سماعها تقول: *نحن محظوظتان جدًا*.

رغم أن استقرار المنتجع جيد هذا العام، مرت أيام طويلة وصعبة وفي غاية الملل. لكن ويل موجود الآن، عندما أعود إلى المنزل. يذكرني في أثناء إعداده للعشاء بكل الأشياء التي حققتها وكم أحب ما أقوم

به، بينما أنظر إليه وهو يرتدي مئزر أمي ذا التفاح المرسوم، غير متأكدة مما إن كان شخصًا رائعًا مثله يمكن أن يكون حقيقيًا.

صرت أنام بشكل أفضل مما كنت عليه منذ وقت طويل، ولكن في بعض الأحيان أستيقظ بعد الساعة الثانية صباحًا وأجد أن ويل ليس بجانبي. أتسلل بهدوء إلى الطابق السفلي وأسحب القلم الرصاص من يده وأعيده إلى السرير. إن لم يتمكن ويل من النوم، يرسم.

أشعر بأن كل يوم مميز، إلا أن الرابع عشر من يونيو كان بمثابة هدية.

جدفت أنا وويل إلى الشريط الساحلي حيث جلسنا معًا قبل ما يقرب من عام. على عكس تلك الفترة، تلألأت الشمس فوق البحيرة، ولم تعترض أشعتها سحابة واحدة. النظارات الشمسية كانت ضرورية. وضع ويل الأغراض في سلة ومن ضمنها زجاجة شمبانيا، رفعنا كوبينا البلاستيكيين للاحتفال بالذكرى السنوية ليوم لقائنا.

استرخينا تاركين قدمينا في المياه، شابكين إصبعينا الصغيرين على الرمال، متذكرين يوم الرابع عشر من يونيو، عندما هاج النسيم، مطيرًا شعر ويل على جبينه، وانقطعت أنفاسي. لقد أقنعته بأن يترك شعره ليطول قليلًا، فبدا تمامًا كما كان في الثانية والعشرين من عمره. مسترخيًّا وأشعث الشعر ومذهل. اعتقدت للمرة الألف خلال العام الماضي أن هذا قد يكون هلوسة. من الصعب عليّ أن أصدق أننا هنا معًا، إلى الأبد.

اتخذت قرارًا جريئًا عندما ظهرت على عتبة باب ويل في أغسطس الماضي. قلت لنفسي إنه إذا كان هناك شخص واحد يستحق المحاربة من أجله، فهو ويل، وإذا كان هناك علاقة تستحق الجهد، فهي العلاقة التي بدأنا نبنيها. رغم أننا لم نصنفها، فإنني ووي نبني شيئًا. قلت لنفسي أن بإمكاننا تعزيزه.

عندما ازدادت حرارة الشمس، خلع ويل قميصه، نظرت إلى انحناءات بطنه وتجاويف وسطه ووشمه الأسود، حتى ألقى بقميصه ذي الياقة المفتوحة على وجهي.

ضحكت: «ماذا؟»

«لسانك تدلى للخارج.»

«هه. كنت معجبة برسومات الوشم ببساطة.»

جذبني ويل لأقف على قدمي، أمسكتُ يديه ووضعت شفتيّ على أحدث وشم له، وهو سعفة سرخس على باطن معصمه، لكن بعد ذلك فك ويل أزرار سروالي القصير.

قبّل أنفي وقال: «هيا لنسبح.»

تعمقنا في البحيرة حتى وصلنا إلى منطقة عميقة وباردة، وطفونا على ظهرينا، أغلقنا أعيننا، ووجه كلينا للشمس. في نهاية المطاف، جذبني ويل نحوه وتبادلنا القبلات بينما رقصت المياه حول خصرينا، انزلق إصبعه تحت حافة البكيني وفعل ما فعله ليستثيرني.

بعد أن جففنا أنفسنا وانتهينا من أكل الشطائر وحلوى الليمون التي يعرف بيتر أنها أكثر ما يحبه ويل، بدأت في تعبئة أغراضنا في الزورق. وضعت السلة في منتصفه، وعندما استدرت، وجدت ويل

راكعًا على الرمل، وعلبة خضراء قطيفة صغيرة في يده. لكن قبل أن يقول أي شيء، ألقيت بذراعي حول عنقه فسقطنا أرضًا. قبلته من بين دموعي، وغمغم بأنه لم يقل أي شيء، لكنني غُمرتُ بالمشاعر لدرجة تجعلني لا أهتم، لأن ويل باكستر هو الشخص المفضل لدي، وسأبقيه معي إلى الأبد.

قال ويل ضاحكًا: «ألا ترغبين في رؤية الخاتم؟» أخبرته أنني لا أهتم نهائيًّا بالخاتم. كل ما أردته هو سماع ذلك الصوت السعيد ينبعث من فمه كل يوم من حياتي.

قال: «إنه ذو معنى عندي.» ابتعدت للخلف قليلًا، ناظرة إلى ويل من تحتي، وحلقي جف. ضم وجهي بين يديه. «قفي لحظة، حسنًا؟ هناك أشياء أريد أن أقولها».

وقفت على قدميّ، وركع ويل أمامي، حاملًا العلبة المغطاة بالرمل. استقر بداخلها خاتم ذهب بسيط. لا أصدق أنني لم ألحظ أنه لم يكن يرتديه.

قال وهو يُخرِج خاتم جده من العلبة: «لقد غيرت مقاسه. إنه أهم شيء لدي، ولم أعتقد أنك سترغبين في أي شيء لامع».

أخبرني ويل كم هو محظوظ لأنه التقى توأم روحه قبل أحد عشر عامًا، وأكثر حظًّا لأنه وجدني مجددًا. أخبرني أنني أعز صديقة لديه. قال إنه لم يعتقد أنه من الممكن أن يصير سعيدًا بهذا القدر مثل الآن، معي. أخبرني أنني الشخص الأكثر شجاعة ممن يعرفهم. أخبرني أنه يحب ولائي وقوائم الأغاني وأنفي. قال إنه يحبني أكثر من أي شخص آخر. تبادلنا القبلات وبكينا وعانق أحدنا الآخر، وتدحرجنا

في الرمال حتى بدأ جمع من المراهقين في أحد القوارب يصفّرون ويطلقون الأبواق.

ثمة مجموعة من الأشخاص انتظرونا عند المرفأ. حدقت بينما نجدف نحوهم، محاولة تمييز أشكالهم. صوفيا باتت واضحة. تمكنت من رؤية قميصها الأرجواني الذي صبغته هي وويل، من بعيد في بحيرة سموك. كنا بعيدين عن الشاطئ، لكنها قفزت بالفعل وأخذت تلوح بيدها.

قال ويل عندما استدرت من مكاني في المقدمة: «لم أتمكن من إبقاء كثير من الأمور سرًّا. أنت تعرفين كيف تكون أنابيل.»

أعرف كيف تكون أنابيل. منذ لحظة إعلاننا أن ويل سينتقل إلى هنا، بدأت ترسل إليَّ مجلات الزفاف وروابط لمصممي الزهور ولوحات ملهمة على موقع بنتريست. إنها تحب المناسبات تقريبًا بقدر ما يحبها جيمي، وبمجرد أن تشعر بالرغبة، فلا يمكن إيقافها. إنها أكثر عنادًا من ويل، وعلى الرغم من أنها لن تعترف بهذا أبدًا، فهي تحميه بقدر ما يحميها. أخبرتها أن التخطيط لحفل زفاف هو آخر ما يجول ببالي، والأهم من ذلك، أنني لا أريد القيام بدور العروس أبدًا. أنا لست ضد الزواج، لكن حفلات الزفاف؟ كنت أعتقد أن العِرق في جبيني قد ينفجر.

استدرت لأواجه المنتجع. لقد اقتربنا قليلًا، تمكنت من رؤية أنابيل وكذلك هيكل بيتر الضخم. جيمي كان هناك أيضًا، واقفًا بجانب وتني وكام.

وصلوا إلينا قبل حتى أن نربط الزورق. لفّت صوفيا ذراعيها حول خصر ويل بمجرد أن خرج من الزورق واحتضنته أنابيل بذراع واحدة، جذبتني إليها بالذراع الأخرى.

شخص آخر ضمني من ظهري، كان بإمكاني معرفة أنها وتني من رائحة غسول شعرها.

قالت: «تعالي هنا.» شعرت بمزيد من الأذرع تحيط بنا في عناق جماعي متشابك.

قالت أنابيل: «سأجهز لكما حفل خِطبة. حاولي منعي إن استطعتِ.»

رغبت الفتاتان في أخذ الزورق، وعندما انفضَّ الحشد، راقبتهما أنا وبيتر بينما ساعدهما ويل على الركوب.

قلت لبيتر: «أعتقد أنني رزقت بشخص جيد.» أعلم أنه موافق. منذ انتقال ويل إلى هنا، لم يمر أسبوع دون أن يقدم لنا بيتر نوعًا من حلوى الليمون.

قال: «أنتما حققتما ذلك. حسنًا، من الأفضل أن أعود إلى المطبخ.» قبّل جبيني وقال: «تهانينا، يا بيا.»

حينما بدأت الفتاتان في التجديف، جلست وويل على حافة المرفأ، حيث كنا من المفترض أن نلتقي قبل عشر سنوات. دارت أنابيل وصوفيا في دوائر؛ لا أحد منهما يعرف كيفية التجديف.

قال ويل: «ليس لديهما أي فكرة عما تفعلانه.»

قلت موافقة: «نعم، ليس لديهما فكرة.» ابتسمت حينما مالت صوفيا إلى جانب القارب لتنثر بيدها الماء على وجه والدتها. صاحت أنابيل وتزحزحت حتى حافة المقعد. تأرجح الزورق.

قال ويل: «قد تنقلبا.» ربت على ركبته.

قلت له: «لن تنقلبا. وإن حدث ذلك، فنحن هنا.»

ثم، بابتسامة شريرة، رفعت أنابيل مجدافها ودفعته بقوة في الماء، بللت ابنتها. صرخت صوفيا بسعادة. ضحك ويل ولف ذراعه حولي، جذبني بقوة لحضنه.

جلسنا هناك معًا، حتى ملّت الفتاتان من الزورق، وتجولتا نحو الشاطئ.

جلسنا هناك، رأسي على كتف ويل، حتى غابت الشمس في السماء، ملوِّنة البحيرة بالأرجواني والذهبي.

جلسنا هناك ساعات، أنا وويل باكستر، نخطط للمستقبل، للأحلام التي سنتشاركها معًا.

نظرت إلى قدمينا المتدليتين في المياه، ثم رفعت بصري إلى ويل وقلت: «أحيانًا لا أستطيع أن أصدق أننا هنا.»

قال: «أعرف هذا الشعور. ولكن ها نحن ذا، فيرن بروكبانكس. هنا حيث يفترض بنا أن نكون».

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

خاتمة

لا أعرف كيف أبدأ. لم أكتب يوميّات من قبل.

أخبرني ويل أن عليَّ التفكير فيها على أنها خطابٌ أكثر من كونها مذكرات. قال إنه من غير الممكن ألا تجدينها يومًا وتقرأينها.

أعتقد أنني -في هذه الحالة- لا ينبغي أن أسمّيه ويل. بل يجب أن أسمّيه والدك.

لا أستطيع رؤية قدميّ بسبب بطني المنتفخ، لكن لا يزال من الصعب تخيُّل أنك ستكونين هنا قريبًا. ابنتنا.

يعتقد والدك أن التحدث معكِ قد يكون مفيدًا. يضع أنفه على بطني ويترنَّم بأغاني النوم، أو يشرح دروسًا عن تاريخ الفن، لكنني أشعر بالغباء حينما أهمس إلى علامات التمدد على بطني. لذا أعتقد أنني سأفعل هذا بدلًا من ذلك. سأكتب عن جميع الأشخاص الذين ستقابلينهم بمجرد مجيئك إلى هنا. بيتر ووِتني وجيمي. أنابيل وصوفيا. السيد والسيدة روز. الرجل المذهل الذي أسميته ويل والذي ستسمينه بابا. وسأكتب عن الأشخاص الذين لن تلتقيهم. سأخبرك عن هذا العالم الصغير الذي ستعيشين فيه.

بعد ذلك، وفي يوم من الأيام، سأعطيك هذا الدفتر. سأحضّر القهوة -أرجوكِ قولي إنك ستشربينها- وسنسير على الممر الموصِل إلى كرسيين معدنيين قديمين بجوار البحيرة. سأجلس في مكان أمي

القديم، وستجلسين أنتِ في مكاني. سنشاهد الأمواج المتلاطمة فوق الصخور، وسأشاركك كل شيء. سيكون هذا مكاننا. أنتِ وأنا، عند البحيرة.

شُكر وعرفان

أجلس هنا على أريكتي في تورنتو، مُحاولة أن أقرر ما سأحكيه لكم من التحديات التي واجهتها في أثناء كتابة رواية *قابلني عند البحيرة*. إنه يوم غائم من أكتوبر -ذروة ألوان الخريف- والسُّحُب رماديّة داكنة. كل فترة تطلع الشمس؛ فتكسو قمم الأشجار بالبرتقالي، الأحمر والذهبي. غدًا، سأتوجَّه شمالًا مع زوجي والصبيين إلى خليج باري؛ للاحتفال بعيد الشكر. أشعُر أنه الوقت المناسب لأكتب هذا الشكر؛ فهناك كثيرون يستحقون الشكر.

قرائي على رأس القائمة. ليس لديّ من الشكر ما يوفي تجاوبكم المذهل مع روايتي الأولى *كل صيف تلاه*، والكمّ المهول من رسائل الترقّب قبيل إصدار رواية *قابلني عند البحيرة*. طريقتكم في قراءة *كل صيف تلاه* بنهم، وتوصيتكم لأصدقائكم وعائلاتكم بأن يقرؤونها مثلكم، لهو كرم حقيقي منكم، وشيء في غاية السرياليَّة. أعرف أن كثيرًا منكم أرادوا مزيدًا من بِرسي وسام. تلقيت طلبات يومية لقصة تشارلي. أحببتُ مقدار حبكم لهؤلاء الشخصيات، وأرجو أن يستحوذ ويل وفيرن على مكان مماثل في قلوبكم.

من السهل أن أحكي لكم عن كتابة رواية *كل صيف تلاه*؛ التجربة واحدة من المُتع الخالصة. كنت أعمل بدوام كامل صحفيّة، لدي طفل صغير في المنزل، وحبلى في طفلي الثاني، ولم يستغرق الأمر

سوى أربعة أشهر فقط لكتابة المسودة الأولى. شعرتُ -في أواخر الثلاثينيات من عمري- أنني وجدت صوتي المميز.

الحكي عن تأليف رواية *قابلني عند البحيرة* أصعب، لكنكم أعطيتموني الكثير؛ لذلك سأعطيكم القول الأمين. قضيت ما لا يقل عن خمسة أضعاف الوقت في كتابة هذه الرواية، مقارنة برواية *كل صيف تلاه*. حررتها وراجعتها عددًا هائلًا من المرات. أعدت كتابة ما يقرب من نصف الرواية في أثناء مراجعة المسودة الثانية (واستمتعت بذلك). ومع كل مسودة، كانت رواية *قابلني عند البحيرة* تتطور وتقترب أكثر من الشكل الذي من المفترض أن تكون عليه. لكن المسودة الأولى أحبطتني.

قبل أن أبدأ، أتذكر أنني اطّلعت على المذكّرة التي احتفظت بها في أثناء كتابة *كل صيف تلاه*، مُحاولة أن أعرف كيف استطعت أن أكتب رواية. بدا وكأنه شيء مستحيل فعله مرة أخرى. لا بد أن رواية *كل صيف تلاه* كانت مجرد حظ. لا بد أنها كانت سحرًا.

عندما جلست كل يوم لكتابة المسودة الأولى، خضت معركة ضد الأصوات الصاخبة في رأسي، تخبرني أنني لا أعرف ماذا أفعل، وأن كتاباتي سيئة، وأنه من المستحيل أن تكون روايتي الثانية جيدة مثل التي سبقتها. آلمني ذلك. استمررت في الكتابة، وفي النهاية حصلت على شيء. لم يكن رائعًا، ورواية *قابلني عند البحيرة* التي تقرأونها الآن أفضل بمراحل. لكنني فخور بالنتيجة النهائية، وبالمسودة الأولى الفوضوية، بالقدر نفسه. ربما كان هناك بعض من السحر في كتابة *كل صيف تلاه*، لكن كتابة مسودة *قابلني عند البحيرة* تطلّبت عزمًا وإصرارًا.

كما توقعتم بلا شك، تطلّب هذا الكتاب توجيهًا ودعمًا تحريريًا هائلًا. أماندا برجيرون، أود أن تعلمي أنني أذرف الدموع الآن، محاولة العثور على كلمات تعبّر عن جزء ولو بسيط من مدى عرفاني لكِ. من غير المعقول أننا لم نلتقِ شخصيًّا حتى الآن، لكنني بدأت أظن أن هذا جيد؛ لأنني قد أعانقكِ بقوة عُظمى ولمدة طويلة جدًّا، وبعدها سأجهشُ في البكاء، وهذا سيكون غريبًا. أنتِ بارعة.

أنا محظوظة لأنني حظيتُ بالموهوبة بجدارة ديبوراه سان دي لا كروز في صفّي. ديبوراه، أنا مبتهجة لأنك تعيشين في تورنتو، وبالتالي يمكنني مُعانقتك بطريقة شِبه عادية دون أن أفقد هدوئي. شكرًا جزيلًا لمساعدتي في إبراز شخصية ماجي أكثر، ومنح عنوان الكتاب معنى أعمق.

تايلور هاجرتي، لو هذا الشكر قائمة موسيقية، فأغنيتك هي «Wind Beneath My Wings» لبيت مِدلر. أنتِ بطلتي. وبفضلك، يمكنني الآن أن أبدأ الجُمَل بعبارة «تقول وكيلتي...» أرجوكِ انظري إلى ما كتبته لأماندا بخصوص العناق المصحوب بالدموع في الحياة الحقيقية. (من أجلكِ، قد أنحني إعجابًا وتقديرًا أيضًا.) جاسمين براون، سآتي إليك بعد ذلك. شكرًا لك على كل ما تقومين به.

شكر عظيم، وبشكل أكثر احترافية، للعقول الرائدة في بيركلي: سارير خادر، بردجت أوتول، تشيلسي باسكو، إيرين جالاواي، كريستين سيبولا، بيرك، إيفان هيلد، كريستين بول، كلير زيون، جين ماري هدسون، في-آن نغوين، أنتوني راموندو، كريستين ليجون، ميغا جاين، جوان ماثيوز، ليان بمبرتون، ليندسي تولوش. أنا مبتهجة لأنني أعتبر بيركلي بيتي.

لقد حذَّرت الناس الطيبين في شركة بِنجوين كندا من أنني الآن أكتب بدوام كامل، وليس لدي مكتب فيه زملاء؛ لذلك فجميعهم مسؤولون. كريستين كوكران، نيكول ونستانلي، بوني مايتلاند، بيث كوكيرام، دانيال فرنش: العمل معكم جميعًا بمثابة هدية. إيما إنجرام: أعشقكِ أنتِ وفساتينكِ.

عندما أشعر بالقلق فيما يتعلق بأمور الكتب، أفكر في الأشخاص الاستثنائيين الذين يحيطون بي. هولي روت، سمعتكِ ذات مرة تصفين الوكلاء الأدبيين بأنهم يرتدون سترات طويلة ويرسلون رسائل البريد الإلكتروني. لا أتذكر السياق، ولكن في بعض الأحيان، عندما أشعر بالقلق، أتخيلكم جميعًا في شركة Root Literary بسترات ذات أزرار جميلة، فأشعر بالاطمئنان فورًا. هيذر بارور شابيرو، شكرًا على إتاحة كتبي للجمهور العالمي، هذا ما حلمت به تمامًا. بمناسبة الأحلام، كارولينا بيلتران؛ من دواعي سروري أننا عملنا معًا. شكرًا لكِ، شكرًا لكِ، شكرًا لكِ!

لإليزابيث ليني، التي ظهرت لوحاتها على غلاف كل من رواية *كل صيف تلاه* ورواية *قابلني عند البحيرة*: شكرًا على إحيائك للبحيرة.

شكرًا للدكتور جوناثان أبرامويتز على الحديث معي حول اضطراب الوسواس القهري بعد الولادة عند الرجال والوالدَين بالتبني. عملك وخبرتك في محل تقدير عظيم.

واحدة من أروع الأشياء لكونك كاتبًا ولديك كتب منشورة، هو أنك تتظاهر بمعرفة كتاب آخرين أكثر روعة، حيث يكونون في بعض الأحيان لطيفين بما فيه الكفاية للإشارة إليك على وسائل التواصل

الاجتماعي، أو يكتبون مقدمة لكتابك، أو يشاركونك إحدى الفعاليات، أو يردون على رسائلك إليهم. شكرًا أشلي أودرين، كارما براون، إيمان حريري كيا، إميلي هنري، آمي ليا، وأنابيل موناجان، هانا أورنشتاين، جودي بيكولت، أشلي بوستون، جيل سانتوبولو، ماريسا ستابلي؛ لأنكم جعلتوني أشعر وكأنني جزء من المجموعة. أشكر أيضًا كولين هوفر؛ التي ذكرت *كل صيف تلاه* على إنستجرام مرتين، والآن صار الناس يعتقدون أن بإمكاني أن أُعرِّفهم عليها. (لا يمكنني إخفاء الأمر: لسنا على تواصل إلى هذا الحد).

أصحاب حسابات الكتب على إنستجرام، تيك توك، كتّاب المراجعات، الصحفيين، أصحاب البودكاست، أمناء المكتبات، بائعي الكتب: شكرًا لكم على شغفكم وتفانيكم وإبداعكم. أنا مندهشة من العمل الذي تقومون به لبناء مجتمعات من القراء. عالم الكتب أفضل بوجودكم. شكر خاص لأوائل المعجبين برواية *كل صيف تلاه*. لقد صرختم بصوت عال، ومرحى! الناس استمعوا. (نعم، ليانا، صوتكِ كان الأعلى. خارج المنافسة).

شكرًا لساديا أنصاري، وميريديث مارينو، وكورتني شيا، وماجي روبيل على قراءة هذا الكتاب في صورته الأولية والأكثر تشتتًا، وعلى كل الدعم والتشجيع خلال هذه الرحلة المثيرة.

ليان جورج، شكرًا لك على التوجيه وعلى الصداقة، وخاصةً على مواعيد القهوة. تستحقين رقصة جماعية.

روبرت نيدا، سأقدّر وقتي في الكوخ إلى الأبد. لك خالص شكري.

شكرًا لعائلتيْ أورسي وبالومبو على الحماس والإثارة والكربوهيدرات. جريس، شكرًا على إيمانك وعلى الساعات اللا نهائية التي اهتممت فيها بالأولاد. (هل يمكن أن يناموا عندك الليلة؟)

إلى عائلة فورتشن: أغنيتنا بلا شك هي أغنية تينا تيرنر «The Best». أعتقد أن رابطة New South Wales Rugby سيشاركوننا إياها. شكرًا لأنكم غرستم قيمة العمل الجاد فيّ، ولأنكم أثبتتم أن المنزل ليس بالجدران التي نعيش بداخلها، بل بالأشخاص الذين يعيشون فيه. أمي، أنا محظوظة جدًا.

ماركو، أعرف أنك اقترحت أن أخصص هذا الشكر بأكمله للتحدث عن مدى عظمتك (أنت عظيم جدًّا!)، لكنني أهديتُ إليك الكتاب وأنا أحضّر شرائح اللحم للعشاء؛ لذا آمل أن يُحدِث هذا التأثير المرجو. شكرًا لأنك لم تسمح لي بالتراجع عن الاستقالة من وظيفتي. شكرًا لأنك أخذت إجازة من عملك لمدة عام حتى أتمكن من كتابة هذا الكتاب. لقد كنت والدًا رائعًا مقيمًا في المنزل. شكرًا لكونك جاهزًا للاحتفال معي بقدر جاهزيتك لمساندتي في حال الفشل. ليس لدينا أغنية معينة، لكن أعتقد أن السبب هو أن لدينا كل الأغاني.

وإلى ماكس وفين: أحبكما بلا حدود. لعلكما تكبران ذات يوم لتصبحا رجلين يقرآن كتب والدتهما، لكن لا يمسّان يومياتها.

ما وراء الكتاب

رسالة إلى القارئ: شكرًا جزيلاً لك على قراءة رواية قابلني عند البحيرة. آمل أن تكون قد عايشت منتجع بروكبانكس وتورنتو التي أحبها كثيرًا. والأهم من ذلك، آمل أن تترك قصة فين وويل قلبك عامرًا. أعتبر بعض أجزاء هذا الكتاب شخصية للغاية؛ وهي موضوع هذا المقال «ما وراء الكتاب». أريدك أن تعرف أنني سأتحدث عن أمور صعبة. إن لم تكن في حال تسمح لك بالقراءة عن حقوق الإنجاب والقلق والأفكار المزعجة التطفليّة؛ فأنا أشجعك أن تؤجل القراءة لوقت آخر.

جاءت أولى أفكاري عن رواية *قابلني عند البحيرة* مثلما تجيء كثير من أفكاري: في منتصف الليل. كان ذلك بعد عدّة أسابيع من ولادة طفلي الثاني، لم أستطع النوم. لم يكن النوم من مهاراتي يومًا. لكنني عانيت أرقًا مزمنًا في أثناء فترة الحمل، استمر بعد ولادة فين. كنت أتساءل -وقت استلقائي في السرير مستيقظة- عما سأفعله بشأن كتابي القادم. كتابة روايتي الأولى *كل صيف تلاه* في عام 2020 تجربة ممتعة، وعقلي ممتلئ بأفكار عن قصص مستقبلية. لكن في ربيع عام 2021، كنت فارغة. كما كنت في خضم حالة قلق ما بعد الولادة للمرة الثانية.

أجد أن الكتابة تشبه القراءة من ناحية أنني يجب أن أسافر حيثما توجد شخصياتي. في تلك الليلة، سألت نفسي أين أود أن *أكون*. أغمضت عينيّ ورأيته: منتجعًا ساحليًّا كلاسيكيًّا في موسكوكا، ذا مبنى رئيس على قمة التل وأكواخ صغيرة تطل على المياه. ورأيت فيرن، تدير المكان رُغمًا عنها بعد وفاة والدتها. فكرت أيضًا في يوميات ماجي، وكيف ستروي قصة حبها، وتُظهِر -بشكل جوهري- حُب الأم لابنتها. كتبت رواية *كل صيف تلاه* كهروب جزئي من الحياة في عام 2020، لكنني خلقت منتجع بروكبانكس لأهب لنفسي عالمًا أهرب إليه. (بالمناسبة، بحيرة سموك موجودة فعلًا، لكنها تقع ناحية شرق موسكوكا وداخل حديقة الجونكوين الشهيرة في أونتاريو. لا منتجعات على شواطئها.)

هناك أجزاء مني مبعثرة في رواية *قابلني عند البحيرة*. امتلك والداي مطعمًا ونُزلًا وأنا صغيرة. وهبت فيرن الأرق الذي أعانيه وحبي لكل من المدينة والبحيرة. حصلت ماجي على التفاني في مجال عملي ومخاوفي من ألا أكون جيدة في أي شيء عدا العمل. ووهبت لويل باكستر الخوف الهادئ والخفي من قلق ما بعد الولادة.

تطورت رواية *قابلني عند البحيرة* على مدار عملية الكتابة، لكن منذ أول محادثاتي مع محررتي، كانت دائمًا تتناول فكرة أن الحياة لا تسير دائمًا كما نخطط لها. لكنني لم أنطلق لاستكشاف الطرق التي تؤثر بها الأبوة والأمومة علينا؛ ربما هذا ما يحدث عندما تبدأ في كتابة رواية عن أم وابنتها بعد بضعة أشهر من ولادة طفلك الثاني.

خلال مراحل التحرير الأخيرة لرواية قابلني عند البحيرة، ألغت المحكمة العليا في الولايات المتحدة قرار روي ضد ويد[1]، وشعرتُ بالقلق من أن الحملين غير المخطط لهما في الرواية (وحقيقة أن ماجي وأنابيل قررتا أن تصبحا أُمين) قد يُفسَّران على أنهما تأييد لتلك القرارات. لكن هذا ليس هدفي. أنا أؤمن بشدة أن كل من يملك رحمًا في جسده، له حق الاختيار في استمرارية الحمل وأن يُرزَق بطفل. حقوق الإنجاب، بما في ذلك الوصول إلى وسائل منع الحمل والإجهاض الآمن، هي أمور أساسية لسلامة الفرد والمجتمع بشكل عام. لطالما اعتبرت نفسي مؤيدة لحق الاختيار. عندما أصبحت أمًّا، عزز ذلك من موقفي.

مرت لحظة في أثناء ولادتي الأولى، عندما امتلأت غرفة المستشفى بالأطباء والممرضات، وجوههم مشدودة، حيث اعتقدت أنني قد أموت. لم تكن حياتي هي التي في خطر، كما اتضح في النهاية؛ إنما حياة الطفل. بإيجاز: احتاج الطفل إلى الخروج من جسدي بأسرع وقت ممكن، وقد ولد عن طريق استخدام ملقط الولادة القوي. استغرق الأمر خمس عشرة دقيقة من الولادة النشطة لكي يأتي ماكس إلى هذا العالم، وساعة ونصف للأطباء لكي يخيطوا جسدي مرة أخرى.

---

(1) هو قرار قضائي صدر عن المحكمة العليا في الولايات المتحدة في عام 1973م يحمي حق النساء في الإجهاض. مما أدى إلى إلغاء كثير من القوانين المتعلقة بالإجهاض. وأثار نقاشًا مستمرًا في الولايات المتحدة عن مدى شرعية هذا الأمر، وما دور القيم والمعتقدات الدينية في الحياة السياسية. (المترجمة).

من ذلك اليوم وحتى الأسابيع والأشهر الأولى من حياة الطفل، شعرت أنني أقاتل من أجل البقاء؛ بقائي وبقاء الطفل. كان ثمة تحديات مكثفة في تلك الأيام الأولى، ومواجهتها في غاية الصعوبة؛ لأن ذهني أصبح مكانًا مخيفًا جدًا. بصفتي صحفية، كتبت عن بعض التحديات التي واجهتها وأنا أم جديدة، لكنني لم أتحدث علنًا عن اضطراب ما بعد الولادة الذي أصابني.

من المحتمل أنك سمعت عن حزن ما بعد الولادة أو اكتئاب ما بعد الولادة، ولكن من غير المرجح أنك سمعت عن اضطراب الوسواس القهري لما بعد الولادة. أنا أعلم أنني لم أسمع عنه. (خلال فترتين الحمل، لم يذكره لي أي اختصاصي طبي.) إنه اضطراب قلق خطير قابل للعلاج، ولكن بسبب أعراضه المرعبة، نادرًا ما يشعر أحد بالارتياح للتحدث عنه، وغالبًا ما يُشَخَّص خطأ ولا يُبلغ عنه. على الرغم من اسمه، يمكن أن يؤثر هذا الاضطراب -ليس فقط على الآباء والأمهات البيولوجيين- لكن أيضًا على الآباء والأمهات بالتبني، وأي شخص يلعب دور أحد الوالدين، مثل ويل.

لم أعاني الوسواس القهري، ولكنني مثل ويل، تقصف عقلي أفكار وصور متكررة واقتحاميّة. اتخذت قرارًا واعيًا بعدم وصف أفكار ويل؛ لم أعتقد أنه سيكون مستعدًا لمشاركتها مع فيرن، وبصراحة، كنت قلقة من أنك قد تحكم عليه. استغرقت أشهرًا لأخبر زوجي بما يدور في رأسي. واستغرقت سنوات لأخبر أمي بذلك. فكرة تقديم ذلك إلى العالم تجعلني أشعر بضيق في صدري. لا أرغب في أن أثقلك باضطرابي، وبما جعلني خائفة من أن أبقى وحدي مع الطفل كل يوم،

وبما جعلني واثقة بأنني سأدخل مصحة نفسية إن أخبرت أحدًا. لكن سبب كتابتي عن ذلك (وبأقصى قدر من الغموض) هو في حال إن وجدت نفسك في موقف مماثل.

إن أصبحت مُهددًا بأفكار عن إيذاء لطفلك، إن استمرت الصور البشعة نفسها في اقتحام عقلك، إن ملأتك سكاكين المطبخ، أو الدَّرَج، أو السكك الحديدية بالهلع؛ فأنت لست وحدك. هذه الأفكار هي *محض أفكار* حتى لو خشيت من فقدان السيطرة. لن تفقدها. في الواقع، قيل لي إن الأشخاص الذين يعانون هذه الأفكار قد يكونون أكثر حرصًا. ستكون بخير. طفلك أيضًا سيكون بخير، لكنك بحاجة إلى إخبار شخص ما. في الواقع، الخطوة الأولى لتصبح بخير، هي أن تخبر أحدًا. نحن نمر بأصعب اللحظات بمفردنا، لكننا نخرج منها بمساعدة.

قلق ما بعد الولادة كان مختلفًا في تجربة ولادتي الثانية. جاءتني بعض الأفكار والصور غير المرغوب فيها، لكنني استعددتُ بشكل أفضل للاعتراف بها، واعتبارها أفكار مزعجة، وتجاهلها. ومع ذلك، كان قلقي تقريبًا يُضعفني. لقد عانيت الأفكار القلقة قبل ذلك، لكن لا شيء يُقارَن بربيع عام 2021. الأمر كما لو أن كل المشكلات التي يمكن أن أواجهها في حياتي بحاجة إلى حل. تطلَّب النهوض من الفراش كل صباح جهدًا هائلًا.

محادثاتي المفعمة بالدموع مع أمي (عن مدى فشلي الأموميّ) ومع زوجي (عن مدى هلعي من المستقبل) ساعدت. المشي ساعد. العلاج النفسي ساعد. ويل وفيرن ساعدا.

في خاتمة رواية *قابلني عند البحيرة*، نكتشف أن فيرن حبلى في طفلة. لا أعتقد أنني شخص أكثر تحققًا كوني أمًّا. عندما يخبرني شخص ما أنه لا يريد أطفالًا، أتفهم ذلك. أحيانًا أحسدهم. ولكن في هذه القصة، أردت أن أعطي فيرن فرصة لإيجاد طريقها الشخصي إلى الأمومة؛ لتقرر أي من المبادئ في علاقتها بأمها تريد الحفاظ عليها، وأيها ستفعله بشكل مختلف.

ربما أهم ما أردت أن أظهره هو أن القلق الذي يعانيه ويل لم يمنعهما من إنجاب الأطفال، وأن الصراع العقلي لا يعني أنك لا تستطيع أن تكون والدًا رائعًا. أحب أن أعتقد أنه عندما ناقش فيرن وويل قرار إنجاب الأطفال، فعلا ما فعلناه -أنا وزوجي- قبل أن ننجب طفلنا الثاني: تحدثا عن إمكانية عودة أفكار ويل المزعجة، ووضعا خطة لضمان حصوله على الدعم.

ما أعجبني في كل من ويل وفيرن هو أنهما يحبان بقوة. ليس من السهل على أي منهما أن يفتح قلبه، ويخاطر بالرفض والانتقاد والفشل، ويتعثر في الطريق. في نهاية الكتاب، تعطي فيرن فرصة لويل لشرح أفعاله. تقرر أن تمد يدها له. هذا، في رأيي، واحد من أصعب الأمور الشجاعة في المراحل الأولى من أي علاقة. وهو أيضًا ما جعلهما أقوى. نحن جميعًا نرتكب أخطاء. نمر بصدمات نفسية، وفقد، وأيام سيئة قديمة عادية. لقد سقطنا جميعنا بوجوهنا على الحصى المتناثر. ولكن لحسن الحظ، يقف شخص بجانبنا، يمد لنا يده.

أسئلة للنقاش

1. نشأت بين ويل وفيرن رابطة قوية في يوم واحد فقط. هل سبق وشعرت بهذا النوع من التواصل القوي والسريع مع شخص آخر، سواء ذلك في العلاقات الودية أو الرومانسية؟ إن كان الأمر كذلك، فما السبب من وجهة نظرك؟
2. كيف أثرت مراحل حياة فيرن وويل في صداقتهما عندما التقيا لأول مرة؟ هل تعتقد أنهما كانا سينجذبان بالقدر نفسه إن تقابلا في وقت آخر من حياتهما؟
3. في الفصل الخامس: فكرت فيرن بينها وبين نفسها في أن الأسرار عنصر أساسي لإنشاء صداقة وثيقة. هل توافق على ذلك؟ هل تعتقد أن فيرن ما زالت مؤمنة بذلك في نهاية الكتاب؟
4. كيف ترى تطور صداقة وتني وفيرن؟ هل لديك صداقات طويلة الأمَد، لها نجاحات وإخفاقات مماثلة؟
5. ما رأيك في علاقة فيرن وجيمي، في الماضي والحاضر؟ هل تعتقد أنهما كانا سيبقيان معًا لو لم تلتقِ فيرن بويل أبدًا؟
6. عرف ويل أن أخته حبلى بعد قضائه أربعًا وعشرين ساعة مع فيرن. هل تعتقد أن وقتهما معًا أثَّر في قراره بالعودة إلى تورنتو ومساعدة أخته في رعاية الطفلة؟

7. في الثلاثينيات من العمر، قاطعت فيرن العلاقات العاطفية؛ لأنها لم تعتقد أنها تستحق الجهد. لكنها قررت إعطاء علاقتها بويل فرصة، بالرغم من تصرفاته والأسرار التي أخفاها، هل كنت ستفعل مثلها؟

8. لدى فيرن شعور عميق بالذنب فيما يتعلق بوالدتها. ما رأيك في علاقة ماجي وفيرن؟ هل تعتقد أن قرار فيرن بالبقاء في المنتجع ناتج عن شعورها بالذنب؟ أم شيء آخر؟

9. هل تعتقد أن قصة حب ماجي وبيتر هي قصة سعيدة أم حزينة؟

10. حقيقة أن الحياة لا تسير دائمًا كما خططنا لها هي تيمة هذا الكتاب، هل حياتك كما تخيلتها في صغرك؟

مكتبة ياسمين

telegram @
yasmeenbook

قليل من الكتب التي قرأتها (وأحببتها) في أثناء كتابتي لرواية *قابلني عند البحيرة:*

- A Hundred Other Girls by Iman Hariri-Kia Book Lovers by Emily Henry
- The Heart Principle by Helen Hoang
- Twice Shy by Sarah Hogle
- Something Wilder by Christina Lauren
- Exes & O's by Amy Lea
- The Road Trip by Beth O'Leary
- The Dead Romantics by Ashley Posto
- The One That Got Away by Charlotte Rixon Seven
- Days in June by Tia Williams

telegram @
yasmeenbook

مكتبة ياسمين

قابلني عند البحيرة

Meet Me at the Lake

في العشرينيات تعارفا، وضع أحدهما للآخر خطة لعام واحد يقوم فيها كل طرف بما يُحبُّه، ثم اتفقا على لقاء على شاطئ بُحيرة لم يتم. يلتقيان في صدفةٍ غير متوقعة، في المكان نفسه، بعدما تغيّر كل منهما إلى الأبد ولم يُنفذا الخطة، فهل تهديهما الحياة فرصة ثانية قبل أن يضيع الحب؟

في الثانية والثلاثين من عمرها، لا تسير حياة فيرن كما تخيلتها. لم ترحل إلى المدينة كما خططت، بل بقيت في مسقط رأسها لتدير منتجع والدتها على ضفاف البحيرة، فعلت تمامًا ما تعهدت لنفسها ألّا تفعله، والأسوأ أن حبيبها السابق الذي تعهدت ألّا تسقط في حبه مجددًا هو مدير المنتجع. ثم فجأة يظهر الحل، في هيئة عرض على لسان رجل رشيق يصل إلى المنتجع في زيه الرسمي، رجل عرفته منذ تسع سنوات لكنه تغير كثيرًا حتى أمست لا تعرفه.

كارلي فورتشن

صحافية كندية حازت جوائز عدة في مجال الصحافة، وتعمل محررة في عدد من الجرائد الكندية الهامة. "قابلني عند البحيرة" ثاني أعمالها بعد رواية "كل صيف تلاه" التي ترشحت لجائزتين من جوائز الجودريدز لعام 2022، ووضعت الكاتبة على قوائم الأكثر مبيعًا.

9 789778 242362

الرواق للنشر والتوزيع